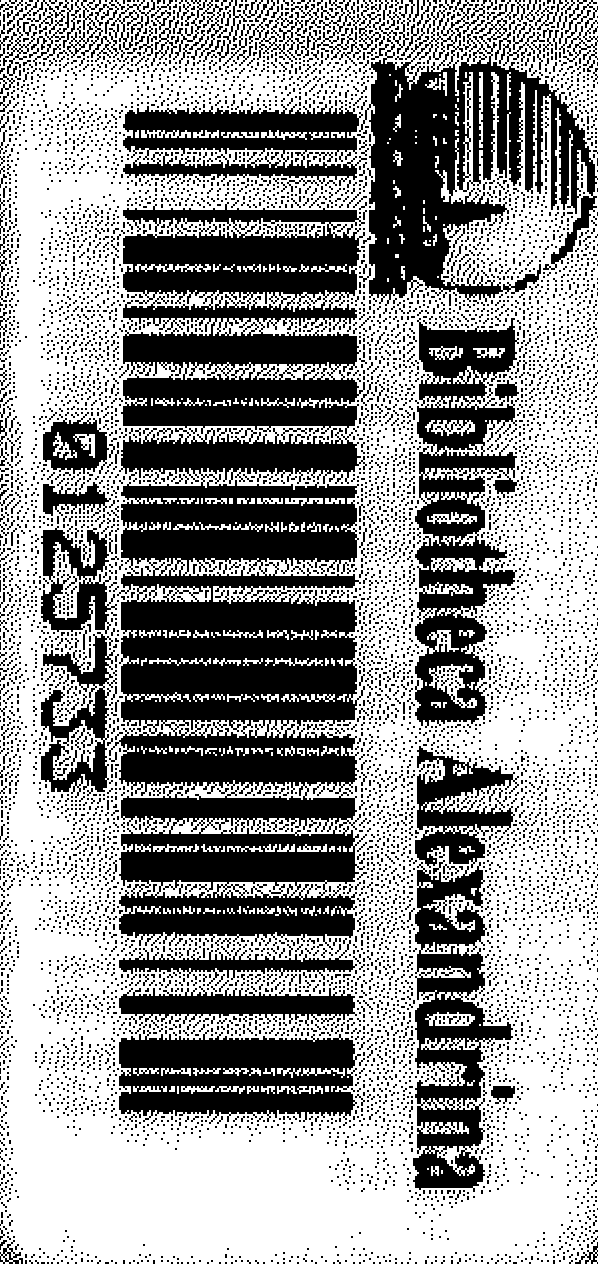
أحمد عبد الكريم

أضواء على تجربة الوحدة



اضواء على تجربة الوحدة

* أضواء على تجربة الوحده

* أحمد عبد الكريم

* الطبعة الثانية ١ / ١٩٩١

* الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - ص ب ٩٥٠٣ - هاتف ٤٢٠٢٩٩ - تلكس ٤١٢٤١٦

أحمد عبد الكريم

أضواء على تجربة الوحدة

مقدمة الطبعة الثانية

لا أجد كلمة تعبر عن مشاعري وأنا أحاول تقديم الطبعة الثانية من كتاب «أضواء على تجربة الوحدة» الذي صدر في نهاية عام ١٩٦٢ إلا قول الشاعر العربي :

رب يوم بكـيـت منـه فلما ... حرت في غيره بكـيـت عليـه

ويذكر القارىء الكريم أن الطبعة الأولى من هذا الكتاب ظهرت بعد مرور عام واحد على انهيار الوحدة بين مصر وسورية (ايلول ١٩٦١) . يومها كان الجو مكفهراً يسوده القلق والغموض، وتتعالى فيه أصوات أجهزة الإعلام الرسمية والشعبية على اختلاف أنواعها ومشاربها ، تطالب بكبش فداء يضحى به ثمناً للكارثة، وكانت تتنافس باستخدام فنون البلاغة وأساليب الإثارة، تحاول منها التملص من مسؤولية ما حدث، وتبرىء من تنطق باسمه (شخصاً كان أو مجموعة أو فئة أو نظام)، وتلقي مسؤولية الكارثة على الآخرين . وأدى ذلك إلى اختلاط الأمر على الناس وأصبح كل من عمل في السياسة والحقل العام من رجال أو منظمات شعبية أو أحزاب أو عسكريين، معرضاً لأن يكون هذه الضحية . لذلك كانت جميع الخطب والتصريحات والتعليقات والكتب مشحونة بالعواطف

الجيـاشـة والحـماس ، مما أبعدها عن العقلانية والموضوعية والبحث الجدي ، الذي يتـوخى الكشف عن الحقـائق واستخـلاص الـدروس والعـبر التي لابـد منهـا ، لاستئنـاف العمـل من أجـل الـوحدة العربية . وقد استمر الوضع على هذه الحال حتى جاءت ثورة ١٤ رمضـان في العـراق وثـورة ٨/ آذار في سوريـة عام ١٩٦٣ ، ووضعتـا نهايـة لما سمي بـ«أنظمـة الانفصال» في القطرين ، لاقت هاتان الثورتان التأييـد والـترحيب الـرسمي من القـاهـرة . كما لاقتا التأييد من جماهير الشعب في سوريـة والعـراق ، وهـدأت النفوس واطمأنت بعد قلق واضطراب استمر عامين ، واستبشر الرأي العام في العالم العربي قاطبة عندما بدأ الاتصال بين الحكومات في البلدان الثلاث ، وتم الاتفاق على مباشرة المفاوضات الرسمية بغرض إقامة وحدة ثلاثية .

وفي مسـاء يوم ١٤ / آذار/ ١٩٦٣ عُقـد في قصـر القبة بالقاهرة أول اجتماع رسمي لمبـاحثـات الوحدة ، اشتركت فيه ثلاثة وفود رسمية من الجمهورية العربية المتحـدة (مصـر) والجمهـورية العراقية ، والجمهورية العربية السورية ، وكان على رأس الـوفـد المصـري الرئيس المرحوم جمال عبد الناصر . استمرت المباحثات مدة شهـر ونيف عقـد خلالهـا عشـرة اجتـماعـات رسميـة ، نوقشت فيهـا جميـع الأمور والمـواضيـع المتعلقـة بإقـامـة «وحـدة ثلاثيـة» مدروسة ، تستفيد من تجربة الوحدة الانـدمـاجيـة المصـريـة السـوريـة لعـام ١٩٥٨ ، وتتـلافى جميـع سلبيـاتها وتأخذ بإيجابياتها ، وتراعي الظروف الموضوعية في كل قطر لكي تكون قادرة على الصمود في وجه التحديات والبقاء والتطور بشكل يغري الأقطار العربية الأخرى للانضمام إليهـا أو دعمهـا ، وتستقطب حولهـا جماهـير الشعب في الأقطـار الثـلاث لرعايتها وحمـايتهـا . وتـدل محاضـرات جلسات مباحثات الوحدة . . كما نشرت بالقاهرة في سلسلة «كتب قومية» بتاريخ ١٧/ نيسان/ ١٩٦٣ ـ أنها تميزت ، بالصراحة والجدية والشعـور بالمسؤولية ، والرغبة الصادقة لدى الأطراف الثلاث بالوصول إلى قاسم مشترك صلب تقام عليه دولة الوحدة العتيدة .

وسأحاول هنا إيراد فقرات معبرة من الكلمات الافتتاحية التي القاها رؤساء

الـوفـود أو بعض الأعضاء المشتركين بالمباحثات، لاعتقادي أنها تمثل الإطار العام الذي تناولته المباحثات:

ففي الكلمة التي ألقاها الرئيس المرحوم جمال عبد الناصر في الجلسة الأولى مساء يوم ١٤ / آذار/ جاء مايلي:[1] «. . . . إن هذا اليوم من أعز الأيام، إذ نلتقي من أجـل الـوحـدة وخـاصـة بين مصر والعـراق وسورية . . . نحن طلاب وحدة ووحـدويـون عن اقتنـاع بدليل أننا قبلناها في عام ١٩٥٨ والجميع يعلم أنها كانت صعبة . . ولكننا اليوم نريدها وحدة لا انفصالاً مغلفاً في شكل وحدوي، لأن الأمة لا تحتمل جريمة انفصالية أخرى . . . إن الوحدة أو الاتحاد المطلوب هو ما يتمناه الشعب، ولكن لابد من أن نتناول الأمر بمنتهى الصراحة والوضوح . . . . وأضاف . . .

هناك اقليمية في مصر . . وأخرى في سورية . . ومن الخطأ أن نتجاهل هذا الاعتبار . . هذه مسألة، ومسألة أخرى هي : أننا لابد أن نتعامل على نور . . هل المطلوب منا أن نقيم وحدة مع حزب أم وحدة مع سورية؟ . . اذا كانت الوحدة مع حزب . . فأنـا على غير استعـداد للبحث على الإطـلاق، وأنـا لاأتكلم كعبـد الناصر، ولكني أتكلم كرئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة (مصر) . . .

ماهـو المطلوب؟ هل المطلوب وحـدة أم وحـدة اتحـاديـة؟ . . وهـل هنـاك شكـوك؟ . . نعم هنـاك شكـوك بغير جدال . . وهناك أخطاء حدثت أثناء الوحدة السابقة . . . وفيما يتعلق بالتجربة السابقة فإني لم أكن شخصياً أحكم سورية وإنما كان يحكمها السوريون . . !!

وانتهى الـرئيس عبـد الناصر إلى القول . . . علينا أن نقرر هل نريد وحدة حقيقية تقوم على مبدأ المشاركة أم وحدة وكل واحد يعمل اللي عايزه؟ . . .

وجـاء في كلمـة المرحوم علي صالح السعدي رئيس الوفد العراقي ما يلي:[1]

---

(١) محاضـر جلسـات مبـاحثات الوحدة ـ كتب قومية ـ القاهرة ـ ١٧/ نيسان/ ١٩٦٣، صفحة ٧ ـ ٨.

«. . . إننـا فعـلاً لم نحضـر لنقيم وحـدة لاتنفصم وطلبنا الآن هو أن تعلن الدول الثلاث أنها في سبيل تحقيق «وحدة اتحادية» ثم تكون هذه الخطوة مفتاحاً للدخول الى هذا الشيء. . . وأضـاف. . . قد تطـول الـدراسـة سنة أو سنتين أو ثلاث، ولكن المهم أن نعلن ذلك فوراً وأن نباشر الدراسة. . . .

وهنا تدخل المرحوم نهاد القاسم من الوفد السوري فقال مايلي: «. . . إن ما قالـه الأخ علي. . . قد يكـون منـاسبـاً للوضـع في العـراق ولكن ليس بالنسبـة لسـوريـة. . . ففي سوريـة من ينـادي بوحدة فورية، وهناك من يطلب وحده بين مصر وسورية. . وأن ما صرح به الأخ علي يُعتبر عملية تحذير لطلب الوحدة!. .

ويـرد المـرحـوم عبد الكريم زهور من الوفد السوري فيقول: «. . لقد تمت الـوحـدة السـابقـة عام ١٩٥٨ ونحن الآن في عام ١٩٦٣ وقـد تغـيرت الظـروف كثـيراً. . اليمن ثار وتـدافع قوات الجمهورية العربية المتحدة مع قوات اليمن عن ثورتـه. . . والعـراق ثار، وها هي سورية ثارت. . إذن هنا ظرف جديد ويقتضي التفكير بشكل جديد للوحدة. . وأضاف:

يا سيادة الرئيس هناك خطر في المترق العربي أن يظل بعيداً أو تظل مصر بعيـدة. . لذلـك كان من اللزوم العمـل مخلصـين لوحـدة الأقطـار الثلاثة. . لذا ينبغي أن تعلن في هذا الاجتـماع التمهيـدي أننـا سائرون نحو الوحدة وأن نشكل لجنة من الأقطار الثلاثة لتبدأ الدراسة الفعلية للوحدة . .[٢]

وتـدخـل بعد ذلك السيد طالب شبيب من الوفد العراقي فقال: «. . . إن ثورة ١٤ رمضان لم تكن ثورة عراقية إقليمية. . ولكن يوجد في العراق مليون كردي لا يرحبـون بالـوحـدة، وهنـاك اختـلاف طائفي الى غير ذلك. . . كذلك كانت القـاهـرة وبغـداد في أغلب الأحيـان في تنافر تنفيذاً لسياسة استعمارية قديمة. . . ويجب وضع هذا موضوع الاعتبار والتريث قبل اتخاذ قرارات سريعة». . .[٣]

---

(٢) محاضر جلسات مباحثات الوحدة ـ كتب قومية ـ القاهرة ـ ١٧ / نيسان ١٩٦٣، صفحة ٩.

(٣) نفس المصدر صفحة ١١

وهكذا استمرت المباحثات خلال عشر جلسات، وتناولت جميع الملاحظات والآراء التي أوضحت وجهة نظر الوفود الثلاثة حول تجربة الوحدة السابقة، والمبادىء التي ستقام عليها الوحدة الثلاثية الجديدة، وأظهرت وجود تباين في المواقف يكاد لا يخرج عن حدود الملاحظات الرئيسية التي وردت في الكلمات الافتتاحية والتي يمكن إيجازها بما يلي:

- الوفد المصري: يرفق إقامة وحدة مع حزب، ويشكك بموقف الوفد السوري ويلقي مسؤولية أخطار الوحدة السابقة على السوريين الذين كانوا يديرون شؤون الإقليم.

- الوفد السوري: منقسم إلى فئتين: الأولى يمثلها المرحوم نهاد القاسم وتطالب بإعادة الوحدة الفورية بين مصر وسورية كمرحلة أولى، وتنضم إليها العراق عندما تحل مشاكلها، ولا ترى ضرورة للدراسة، وتبدي الشكوك حول موقف الوفد العراقي من الوحدة والفئة الثانية تمثل وجهة نظر حزب البعث، وهي قريبة من وجهة نظر الوفد العراقي، وترى ضرورة الدراسة.

- الوفد العراقي: يرى وجوب عدم التسرع ومراعاة ظروفه الخاصة.

وقد استطاعت الوفود رغم تباين وجهات النظر أن تصل الى اتفاق حول وضع ميثاق مشترك يلتزم الجميع فيه كمبادىء وبرنامج لإقامة الوحدة، وبتاريخ ١٧/ نيسان/ ١٩٦٧ صدر هذا الميثاق ووقعت عليه الوفود الرسمية وأذيع في عواصم البلدان الثلاثة، واستقبله الرأي العام بالتأييد. وأقيمت في عواصم ومدن الأقطار الثلاثة الاحتفالات والمسيرات تعبيراً عن فرح الجماهير بهذا الحدث التاريخي.

غير أن الأحداث التي تلت صدور الميثاق لم تكن منسجمة مع نصه وروحه؛ إذ سرعان ما كشفت عن مدى الهوة التي تفصل بين وجهات نظر المسؤولين في الدول الثلاث الموقعة على الميثاق، والفارق الهائل بين الخطب والتصريحات النظرية وبين الواقع العملي، وظهرت في الأسابيع اللاحقة أن بعض اطراف ائتلاف الحكم في كل من سورية والعراق تُصر على أقامة وحدة فورية

وتحاول، استغلال حماسة الشارع لاتخاذ خطوات سريعة غير مدروسة، وأعطت أجهزة الإعلام في القاهرة الانطباع بأنها تؤيد وتشجع هذه الأطراف مما أدى إلى وقوع أحداث خطيرة أدت الى دفن ميثاق ١٧ / نيسان، ووصلت الى حد القطيعة بين عواصم البلدان الموقعة عليه، واستئناف الحملات الدعائية بأقصى ما يمكن من العنف تذكر الرأي العام بالحملات التي كانت تشنها أجهزة الإعلام في القاهرة ودمشق أيام الانفصال. واستمرت القطيعة ولم تهدأ الحملات حتى وقعت حرب حزيران ١٩٦٧ التي انتهت باحتلال اسرائيل لسيناء والجولان وقطاع غزة والضفة الغربية.

كانت كارثة حزيران من الضخامة بحيث لم تقتصر آثارها المأساوية على البلدان التي اشتركت في الحرب، بل شملت كافة البلدان العربية في المشرق والمغرب، وتجاوزتها إلى العالم الإسلامي وحركات التحرر، والدول الصديقة في البلدان الاشتراكية. وكانت ردود الفعل المباشرة على أشدها في مصر، فقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر استقالته، وظهرت تحركات مشبوهة في القوات المسلحة المصرية وعلى رأسها «شلة» المشير عبد الحكيم عامر ووزير الدفاع شمس بدران. ولكن جماهير ا الشعب المصري هبت بشكل عفوي وانهالت كالطوفان في شوارع القاهرة والمدن الكبر ى تهتف بحياة عبد الناصر وتصر على بقائه بالرئاسة، وتسقطت الخونة والمتآمرين، واستمرت الملايين في الشوارع إلى أن أعلن عبد الناصر نزوله عند رغبة الشعب والعودة عن الاستقالة . . . وانتهت الأزمة بانتحار المشير عبد الحكيم عامر وتصفية «شلته» من القوات المسلحة والمراكز الأساسية في الدولة.

وكشفت الهزيمة والمؤامرة التي تلتها عن وجود عناصر متآمرة وصراع حقيقي على السلطة في مصر، منذ أزمة السويس في عام ١٩٥٦، ساهم في انهيار الوحدة في عام ١٩٦١، وفي كارثة حزيران ١٩٦٧.

وقد أشار الرئيس الراحل عبد الناصر الى هذه العناصر ووجود مراكز قوى متصارعة مهدت للكارثة، كما أكدها الدكتور ثروت عكاشة أحد الأعضاء

المؤسسين لحركة لضباط الأحرار ووزير الثقافة والإرشاد في مذكراته، استناداً الى ملاحظاته الشخصية واحاديثه الخاصة مع المرحوم الرئيس عبد الناصر.

والخلاصة لقد كتب الكثير عن «تجربة الوحدة». . ومن المؤسف أن تاريخ هذه التجربة لم يكتب بنزاهة وموضوعية حتى الآن. كما لم يبد كل الأشخاص الذين كانوا في ذروة السلطة في مصر وسورية قبيل وأثناء الوحدة بآرائهم، ومن المؤسف أن بعض الذين كتبوا عن هذا الموضوع أعطوا لانفسهم أدواراً بطولية حاسمة في عمليات التمهيد للوحدة وبالدفاع عنها والبكاء عليها، ووصل بعضهم الى حد احتكار كل ذلك ولم يتركوا للشعب السوري ولقواه ومنظماته أي دور. . .

والحقيقة التي يجب أن تقال بهذه المناسبة أن شخصية الزعيم المرحوم جمال عبد الناصر وانتصاراته وتبنيه لفكرة الوحدة العربية والسياسة العملية التي سار عليها منذ عام ١٩٥٤ كانت أحد العوامل في استقطاب تأييد غالبية الشعب العربي في سورية للوحدة مع مصر بزعامته، كما أن إجماع الأحزاب السياسية في سورية ـ باستثناء الحزب الشيوعي ـ واجماع القوات المسلحة على ضرورة الوحدة، لا كخوف من الشيوعية أو هروب من المسؤولية كما ادعى السيد هيكل ـ هو العامل الحاسم الذي أدى الى قيام الوحدة بالسرعة التي تمت عليها في عام ١٩٥٨.

والحقيقة الثانية المؤلمة أن جماهير الشعب في سورية والأحزاب والمنظمات التي كانت وراء الوحدة في عام ١٩٥٨، وساهمت فعلاً في صنعها عن إيمان حقيقي نزيه، لم تكن في وضع تتمكن فيه من زج قواها للدفاع عن الوحدة عند سقوطها المفاجيء السريع والسهل في عام ١٩٦١.

والحقيقة الثالثة التي لابد من اعلانها وهي أن الزعيم عبد الناصر الذي خرج من أعماق صفوف الشعب المصري كان في حياته أعظم رجل في تاريخ مصر وتاريخ الحركة العربية الحديثة، وأحد كبار قادة العالم الثالث الذين ساهموا في صنع التاريخ في الربع الثالث من هذا القرن. قاد ثورة اجتماعية وسياسية وقومية حقيقية، أعادت لمصر حريتها وكرامتها وفتحت الطريق لجماهير الشعب المصري

العظيم لكي يتسلم مقـاديـره بيـديـه لأول مرة في تاريخه الحديث، ويضع مشروعاً حقيقيـاً لبنـاء دولـة حديثة بهوية عربية أصيلة والعمل الجدي لإقامة وحدة عربية. وقـد استطـاع خلال أعـوام قليلة أن يعيد للشعب المصري ثقته بنفسه وبالمستقبل ويـربـط مصيره بمصير الأمة العربية، وإن ينتزع احترام العالم واعجابه، ويعطي لمصـر مكـانة دولية واقليمية تليق بتاريخها ويضعها في مقدمة العالم العربي بل وبين الطليعـة من بلدان قارات افـريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، فتصبح منارة تهدي بها حركات التحرر ويصبح عبد الناصر شخصياً رمزاً للنضال العربي من أجل التحرر والوحدة.

ولابـد من القـول بهذه المناسبة أن غياب عبد الناصر أحدث فراغاً هائلاً في مصر بالذات أدى ماشرة إلى انحرافات آذت الحركة العربية وأضعفتها في مواجهة التحدي الصهيوني ـ الامبريالي، وكادت تخرج مصر من الصف لولا إيمان شعبها العظيم بوحـدة المصـير العربي. ولكن عبد الناصر المناضل والإنسان سيبقى علماً في تاريـخ الحـركـة العربية تهتدي به القوى الحية الفاعلة في مسيرتها نحو التضامن والتكـامـل والاتحـاد والصمـود للتحـديـات والتطلع لدور أسـاسي للأمة العربية يتنـاسب مع تاريخهـا وامكـانياتها وموقعها الجغرافي ـ السياسي. أما ما يتعلق بدور القـوى والمنظـات والجيش والجـماهـير السـورية في مناهضة المخططات الأجنبية والصهيـونيـة ودعم النضـال القـومي عامـة، وصنع الوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨ وتكـريس الأمـر الـوحـدوي، فيـترك الحكم فيـه للتاريخ الذي لا يتأثر في النهـايـة بالمهـاتـرات والمـزاودات والمخططات المشبوهة التي حاولت وتحاول طمس الأدوار الحـاسمـة التي لعبتها سورية في مسيرة الحركة العربية الوحدوية وبذلت في سبيلها التضحيات الجسام.».

وأخـيراً فإن الـدروس البليغـة التي عاشتها الأقطار العربية منذ قيام الوحدة المصرية ـ السورية عام ١٩٥٨، وانهيارها عام ١٩٦١، التي وضعت الأمة العربية على بدايـة الطـريق الصحيح وكشفت للعالم عن قدراتها وأعادت للشعب العربي من الخليج إلى المحيط ثقته بنفسه وبالمستقبل، وماتلا حرب تشرين من صراعات

عربيـة وتمـزق أضـاعت الكثـير من الفـرص وبددت الكثير من الثروات وأعطت للعـدو الصهيـوني الـوقت ليسـترد أنفـاسـه ويستعيـد غطرسته ويستأنف سياسته التوسعية، ان هذه الدروس على أهميتها ووضوحها لم تنعكس عملياً على مسيرة وسيـاسـات الـدول العـربية كما كان متوقعاً، وهو أمر يدعو للتفكير والتساؤل، في زمن يتميز بالأحداث والتغيرات الخطيرة التي سيكون لها أعظم الأثر على مستقبل الأمـة العـربيـة ودورهـا الأقليمي والـدولي. بل وبقاءها. ومن واجب الجميع أن يرتفعـوا الى مستـوى المسؤوليـة الجـماعية ويبدأوا الحوار المخلص النزيه ويستأنفوا التضـامن العظيم الـذي أفـرز حرب تشـرين، ليضعـوا الأسس الراسخة لسياسة تشـرين عربيـة منفتحة على التكامل والاتحاد وليتمكنوا من المراهنة على المستقبل الذي بدأ مع بداية التسعينات.

دمشق ٣٠/ ٧/ ١٩٩٠

أحمد عبد الكريم

مقدمة الطبعة الأولى

أخي القارىء العربي:

يهمني أن تعلم وأنت تقرأ لي في هذا الموضوع الدقيق أن ما أقدمه لك ليس «مذكرات» أو «تاريخاً» كما لا يمكن أن أدعي لنفسي القدرة على البحث العقائدي والفلسفي، وإنما قصدت بتواضع مخلص أن أضع بين يديك بعض الحقائق التي عشتها أو اطلعت عليها في حدود معرفتي أو مساهمتي المتواضعتين في الأحداث التي مرت على سورية العربية خلال السنوات الأخيرة على شكل تقرير أو اعتراف يخالطهما النقد أحياناً والتحليل احياناً أخرى. على أني حرصت كل الحرص ألا أذهب بعيداً في هذين المجالين لكيلا اتهم «بالتبرير» والتملص. وحاولت أن التزم السرد الموجز البسيط للوقائع كما استطعت ان أفهمها، تاركاً لغيري، من السادة الذين عاشوا التجربة وهم أكثر خبرة وأكثر صلة بالأحداث وأوسع معرفة، رسم الصورة الكاملة لهذه الفترة بالأسلوب الأدبي والسياسي الذي تستحقه، وللقارىء الحكم الأخير لنا أو علينا.

واعلم أيها الأخ الكريم انني لم أفكر قط في دخول معركة المهاترات والسباب، ولا أدل على ذلك من أن جميع ما ستقرؤه هنا يعود تاريخ كتابته إلى الفترة الواقعة بين بداية عام ١٩٥٩ خلال وجودي في القاهرة وبين أواخر شهر آب (أغسطس) عام ١٩٦١. ولم يكن يدور في خلدي أي نوع من التهجمات أو التجني على أحد، ولكن الذي كان يسيطر علي آنذاك انما هو نوع من الشعور بالمسؤولية حيال هذا الشعب الذي أؤمن بأنه المرجع الأول والأخير. هذا الشعور بالواجب دفعني إلى تسجيل بعض الحوادث والملاحظات التي قد تكون مفيدة لك أيها الأخ

العـربي ، فتلقي بعض الضـوء على جوانب تجربتنـا الكـبرى التي أصبحت ملكاً لكـل الشعـوب العـربية ليس في سورية ومصر فحسب وانما فى كل البلاد العربية .
ولهـذا أرجـو أن يغفـر لي ان أخطأت ، أو غفلت ، كما أطلب المعذرة إذا تجرأت فذكرة أسماء بعض الأشخـاص أو الفئات ، بشكل صريح أحياناً ومستتر أحياناً أخرى ، لأنني ، وايم الحق ، لا أقصــد المــدح أو القـدح ، بقـدر حرصي على الصـراحـة والحقيقــة . على اني رغم كل هذا لا أريــد التهــرب من مسؤ وليات ما كتبت ، وأستعيذ بالله من الجبن كما اعوذ به من الوقاحة والظلم .

أخي القارىء :

لعلك تذكر تلك الأسئلة الكثيرة التي كانت تتردد عن ألسنة المواطنين منذ قيام «الوحدة» بين سورية ومصر ، بل لعلك لا زلت تسمع الكثير من التساؤ لات التي يرددهـا المـواطنـون رغم كل ما كشفت عنـه الأحـداث ومـا أوضحتـه بعض الاعـترافـات ، او البيـانـات ، التي أعلنهـا بعض المسؤ ولـين ممن عاشوا التجربة ، وكانت لهم أدوار متفاوتة الأهمية في سير الأحداث .

والحقيقة ان الرأي العام العربي لا يزال متعطشاً لسماع المزيد من الحقائق ، بل ومن حقه أن يعرف كل شيء عن «أول تجربة للوحدة» ، واعتقد ان من واجب كل المسؤ ولين عن هذه المرحلة ان يعلنوا للملأ كل ما يعرفوه عن تاريخها ، أو على الأقل كل ما يسمح به أمن وسلامة الشعب العربي بنشره حالياً .

ولئـن كانـت بعض الظـروف تبرر الـصمت ، يوم تحول الحـديث في هذا المـوضـوع إلى نوع من المهـاتـرات والتضليـل على أيـدي أجهزة الاعلام وألسنة أصحـاب المصـالـح الخـاصـة ، إلا ان الاستمـرار بالصمت بعـد كل الذي جرى ويجـري ، اصبـح يحمل المسؤ ولين والعارفين جزءاً من جرائم التضليل التي ترتكب صبـاح مسـاء ، فتسيء ، إلى المثـل العليـا التي آمن بها شعبنـا ونـاضـل من أجل تحقيقها ، كما تجرح بعض العناصر والفئات التي تعتبر من طلائع الشعب العربي ، وتـزرع الشكـوك في قلوب المـواطنـين ، وتضعف ايـمانهم بقـادتهم وبـالشعـارات

والمبادىء التي يحملونها . وفي هذا الأسلوب «اللا أخلاقي» الكثير من الأخطار على مستقبل شعبنا وعلى تطوره ومصيره .

لقد خيِّل للبعض أن انقلاب ٢٨ ايلول كانت انتصاراً لأعداء الوحدة وللقوى الرجعية من الاقطاعيين والانفصاليين ومحتر في السياسة ، بل لقد جرت محاولات جدية لتكون كذلك . . غير أن الأحداث التي مرت على سورية منذ ذلك التاريخ حتى هذا اليوم أكدت تمسك الشعب العربي في سورية «بمبدأ الوحدة» واصراره على حمل رسالتها مهما لاقى في سبيل ذلك من متاعب ، كما برهنت بما لا يقبل الشك أن الغالبية العظمى من شعبنا ترفض العودة إلى الوراء وتؤمن بأن القبلية والاقطاعية ، وان الارتزاق من وراء السياسة أصبحت كلها من مخلفات النصف الأول من هذا القرن الذي نعيش فيه ، وان الدفاع عنها والتمسك بها أصبح ضرباً من ضروب المغامرات والمغالطات الفاشلة ، وانه لا بد للعمل السياسي من أن يكون نوعاً من النضال الجدي في سبيل تحرير الشعب من الاستغلال ومن آثار التخلف ، ومن بقايا النفوذ الاستعماري ، ولا بد قبل هذا ، وفوق كل هذا ، من وجود التنظيمات السياسية الجماهيرية التي تعمل ضمن أطر عقائدية واضحة ومناهج علمية دقيقة تحدد المفاهيم والأهداف وترسم الطرق الموصلة لها بشكل لا يدع مجالاً للأخطاء الكبرى والانحرافات المهلكة ، ويساعد على تعشيب الميدان السياسي من العناصر الفاسدة والانتهازية والمغامرة والمرتزقة .

اننا نذكر بكثير من الأسى تلك المحاولات اليائسة التي قامت بها القوى الرجعية للقضاء على مكتسبات العمال والفلاحين ، والغاء جميع التشريعات التقدمية التي صدرت في أواخر «عهد الوحدة» والتي أراد من ورائها الرئيس عبد الناصر ان يستعيد ثقة الشعب في سورية بعد أن خابت آماله . غير أن وقفة شعبنا من هذه المحاولات ومقاوماته الدامية لها من جهة ، وموقف القوات المسلحة في الثامن والعشرين من آذار من جهة ثانية ، احبطا تلك المحاولات ، واكدا تمسك الشعب عامة والطبقة العاملة خاصة بكل المكاسب التي لم يصل إليها الا بالنضال المرير والعرق والدماء . كما اكد شعبنا من جديد حرصه على «مبدأ الوحدة» عندما

أعلن على لسـان الحكـومـة بعد ١٧ نيسان ١٩٦٢ استعداده لتصفية آثار النكسة واعـادة العـلاقـات الاخـويـة مع الشعب العـربي في مصـر. غير أن الرئيس عبد الناصر لم يستجب لهذه الدعوة وسخر منها، وتجاهل مسؤولياته وأخطاء وانحرافات اجهزة الحكم التي أدت بالوحدة إلى هذا المصير المحزن. ورفض ان يعترف بان الوحدة التي تقوم على تسلط بلد على بلد آخر لا يمكن ان تسمى وحدة» إلا اذا أردنا استغلال العواطف لفرض نوع من الاستعمار الجديد، والنظام الذي يبنى على الحكم الفردي المطلق، والارهـاب، وخنق الحـريـات، ووأد الفكـر، لا يمكن ان يدوم حتى ولو كان محمياً بأسنة الحراب وبرجال المباحث والمخابرات.

ولهـذا أصبـح من واجب القـوى التقـدميـة في سوريـة أن تعيـد النظـر في الشعـارات الغـامضـة التي رفعتهـا، وناضلت من أجل تحقيقها عشرات السنين، حتى اذا سمحت الظـروف بنقـل هذه الشعـارات من مجال الفكر إلى ميدان التطبيق، رأينـا بعض هذه الشعـارات المسـروقـة تنصب كالشـراك: للقـوميـين الوحدويين، وللاشتراكيين، وللديمقراطيين خاصة ولغالبية الشعب بشكل عام.

وليس من العيب أن اعترف بأنني كنت من بين من سقطوا في هذه الشراك، وساقني إلى هذا المصير مع رفاقي، قرفي من الحكم البرلماني الديمقراطي المزيف الـذي أضـاع الكثير من فرص التطور الثمينة على شعبنا في سورية، وبدد الكثير من طاقـاتـه الروحية والمادية، وكان في كل ألوانه التي عرفتها في بلدي منذ وعيت، ستـاراً خداعـاً يحمي الاقطـاع، والعشـائرية، والاستغلال، والفساد. وأصبحت تحت تأثـير هذه العـواطف احمـل الكثـير من الازدراء للأفكار السوداء التي تختفي وراء برقـع «الـبرلمـان» الجميل، خاصة واننا لم نكن نعلم الكثير عن طبيعة الحكم الدكتاتوري في مصر.

ومن هنا كنت أعتقد بأن السبيل إلى تغير هذا المجتمع المتخلف هو العمل الثـوري وكنت أحسب ان الانقـلابات العسكرية هي هذا العمل الثوري وهكذا اعتقد رفاقي في القوات المسلحة كما اعتقد الكثيرون من أبناء هذا الشعب، إلى أن خبرنـا عدة انقـلابـات عسكـريـة بين عام ١٩٤٩ و ١٩٥٤ ورأينـا عملياً أن

«الثـورة» ليست بالبسـاطة التي يتخيلها أصحاب النوايا الطيبة والعواطف الجياشة وانه لا بد للثورة من مدرسة ولا بد لها من عقيدة، ولا بد لها من قاعدة شعبية متينة واعيـة، وان الانقـلابـات العسكرية رغم أنها كانت تدعي بأنها استجابات لارادة الشعب، إلا انها لم تستطع ايجاد الحلول الجذرية لمشاكلنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وأصبحت بحكم طبيعتها معزولة عن الشعب

وأيقنت مع بعض الـرفـاق في السلاح أن تبديل المجتمع يحتاج إلى التفكير والتخطيـط المنظم أكثـر مما يحتـاج إلى الشجـاعة والمغامرة، وان الحماس والتهور في العمـل الثوري لايقلان خطراً عن الانتهازية والجبن. ومنذ ذلك الوقت لم نقلع عن التفكـير بالانقـلابـات العسكرية فحسب، بل قررنا الوقوف في وجه المغامرين في القـوات المسلحـة حتى ولـوكان هؤلاء من أقـرب الناس الينا. وهناك أمثلة كثيرة تؤكد ذلك بين أعوام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨ لا مجال لذكرها الآن، ولكنني أسوق احدى الأمثلة البارزة التي تجسد الخط الذي قررنا العمل على أساسه في القوات المسلحة وبذلنا ما استعطنا للتقيد فيه، ألا وهو:

«السهـر على سلامـة البـلاد وأمنها، والحيلولة دون تسرب النفوذ الأجنبي اليهـا، ومقـاومة الأحلاف العسكرية، وحماية الحياة الديمقراطية والحريات على اسـاس ان القـوات المسلحـة للشعب بكـامله، وليست لفئة او لطبقة ذات نفوذ، رغم عطفها الواضح على القوى التقدمية النزيهة».

ففي عام ١٩٥٥ عندما اشتد الصراع على كرسي الرئاسة الأولى في سورية واصبح واضحاً تدخل الأيدي الأجنبية في هذا الصراع وأخص بالذكر دول حلف بغـداد وفي طليعتهـا حكومة العراق الهاشمية. وقد ارادت الحكومة العراقية فرض بعض الأشخـاص المعـروفـين بميولهم الهاشمية والغربية وعملت المستحيل لتنفيذ هذه الـرغبـة، وعنـدما عجزت أرادت تسخير القوات المسلحة لتحقيق أهدافها، فعـرضت علينـا بواسطـة سفـيرها في دمشق السيد عبد الجليل الراوي عن طريق أحـد أصـدقـائـه السـوريـين مبلغ خمسـة ملايين دينار عراقي توضع باسم ضباط

الأركـان العـامـة للجيش السـوري ومن يرون من الضباط الآخرين في أحد بنوك سويسرا أو أي بلد آخر لتنفيذ أحد الأمرين التاليين :

١ ـ اما منع عودة السيد شكري القوتلي إلى سورية لحرمانه من خوض معركة الرئاسة ومساندة أحد المرشحين الثلاثة الذين اختارتهم ولا مجال لذكرهم .

٢ ـ او القيام بانقلاب واقامة حكم عسكري يحافظ على الوضع الراهن في سورية ويقف موقف الحياد من الصراع بين مصر والعراق الذي احتدم بعد دخول العراق في حلف بغداد .

وكانت نتيجة هذا العرض ان قيادة الجيش قررت عدم الوقوف في وجه عودة السيد شكري القوتلي وترشيحه للرئاسة بصرف النظر عما كان يحمله من مشاعر شخصية للجيش الذي أبعده عن الرئاسة في انقلابه الأول عام ١٩٤٩ . وأمكن بعد اطلاعنا على خطة حلف بغداد ان نحول دون تنفيذ مؤامراته . وهكذا أمكن انتخاب السيد شكري القوتلي رئيساً للجمهورية بأكثرية ساحقة في المجلس النيابي[1] عام ١٩٥٥ .

واستمرت قيادة الجيش على هذه السياسة حتى قيام الوحدة مع مصر في بداية عام ١٩٥٨ . وخيل لنا آنذاك كما خيل لكل الشعب العربي في سورية أن المباديء والشعارات التي ينادي بها الرئيس عبد الناصر انما هي نفس المبادىء والشعارات التي نؤمن بها ونعمل من أجل تحقيقها ، كما خيل الينا أن ثورة البكباشي «أ. ح جمال عبد الناصر» شيء آخر غير الانقلابات العسكرية التي عشناها بين عام ١٩٤٩ ـ ١٩٥٤ ، وان الوحدة ستفك الحصار عن سورية وتعدل التوازن الستراتيجي لصالح الدولة الجديدة بمواجهة اسرائيل . فاستسلمنا لهذه الآمال الكبيرة . وهكذا قامت الوحدة بين مصر وسورية على الشكل المعروف وبالسرعة التي أذهلت الاستعمار وأعداء العرب (أو على الأقل هكذا كنا نعتقد) ،

١ ـ ومن المستغرب أن السيد القوتلي أرسل الى محكمة الشعب في بغداد رسالة ثني بها على السيد عبد الجليل الراوي بعد ثورة ١٤ تموز وشاركه بذلك السيد محمود رياض سفير مصر بدمشق .

كما أيقظت مشاعر الثورة ضد العزلة والأنظمة الرجعية في العالم العربي وطوحت ببعضها كما حدث في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق.

ولم يمض إلا بعض الوقت على قيام الوحدة حتى بدأت خيوط النظام القائم في مصر والذي أصبح بعد الوحدة يشمل تراب الجمهورية العربية المتحدة باقليميها، بدأت خيوط هذا النظام تتكشف يوماً بعد يوم وظهر جلياً لكل ذي بصيرة أنه نظام ديكتاتوري مطلق لا يختلف عن الانقلابات التي مرت على سورية «الا بالأسم، والأجهزة والامكانيات الضخمة المنظمة. وسرعان ما ظهر لنا أن هذا النظام يقوم أساساً على القواعد الرئيسية التالية:

١ ـ القوة: ممثلة بالقوات المسلحة وقوى الأمن بعد تحويلهما إلى قوى مرتزقة خانعة وتصفية جميع العناصر القوية الشريفة.

٢ ـ الدعاية: وتقوم بها أجهزة اعلام ضخمة تسيطر على جميع وسائل النشر والاذاعة والكلام بشكل يمكنها من حقن وتأصيل عبادة الفرد في أذهان الشعب وخاصة الأجيال الصاعدة واغراق الشعب بوابل من التوجيه يسد عليه كل نوافذ المنطق السليم والتحليل العلمي للأحداث، ويرغمه على الاستسلام «للوقائع» المتكررة التي ترجمه بها أجهزة الاذاعة والتلفزيون والصحف والمنشورات المختلفة ليل نهار.

٣ ـ تخريب المنظمات السياسية والنقابية: باعتبارها الوسائل الفعالة لتثقيف الجماهير الشعبية وتحصينها بالعقيدة الواضحة والمنطق العلمي السليم، ضد الخداع والزيف، وتؤهلها للنضال من أجل تطوير المجتمع. بل هي المدرسة الثورية الوحيدة التي ترسم الحدود الفاصلة بين المغامرات السياسية وبين العمل الثوري العميق.

٤ ـ المخابرات والمباحث: وهما الدعامة الأساسية لهذا النظام الذي لا يثق بالشعب ولا يؤمن بدوره الأساسي في بناء المجتمع. وبواسطة هذه الأجهزة يمكن رصد حركات الأفراد والجماعات واحصاء أنفاس الشعب وتطورات الرأي العام وقمع كل مقاومة جدية قبل أن ترى النور.

أمـا «الـوحـدة» فقـط ظهـر من سيـاسـة الـرئيس جمال عبد الناصر وسلوك المسؤولـين المصـريين ورفضهم المطلق لمبدأ التفاعل الفكري بين الاقليمين في كل المستـويـات، انهـا ليست سوى امتـداداً «لمصر» على نفس الطريقة التي فهم فيها الـوحـدة حكام مصر القدماء منذ أيام «رمسيس الثاني». ولعل الكثيرين ممن زاروا «الاقليم الجنـوبي» أيـام الـوحـدة، شاهـدوا كما شاهـدت، في بعض مدارس الجمهورية العربية المتحدة الرسمية، اللوحات التي تصور «رمسيس» وهو يسلم السيد «الرئيس عبد الناصر» «صولجان الحكم» ويقدم له «باقة من الورود الملونة» مكتـوب عليهـا «القـوميـة العـربية». . . هكذا وببساطة تصور «الوحدة العربية» للأطفال المصريين العرب في المدارس وهو تجسيد أمين لمفهوم الوحدة عند اخواننا المصـريـين تعجز عن تصويره أعظم البحوث والمؤلفات. . . واعتقد ان الكثيرين قرأوا مثـلي العـدد ١٧ من «سلسلة اخترنا لك» التي يشرف على اصدارها السيد عبـد القـادر حاتم وزيـر الدولة لشؤون الرئاسة والاعلام، ويقدم لها الرئيس جمال عبـد النـاصـر بقلمـه، ولا شك أنهم صدموا مثلي عندما اطلعوا فيه على الأفكار المعـاديـة للعـروبـة التي تستـوحي منهـا الطليعـة الفكـريـة في مصر مفاهيمها عن العلاقات بين الشعوب العربيـة، وبالتالي مفهومها للوحدة العربية، وفيما يلي بعض الفقرات الهامة من هذا الكتاب شبه الرسمي الذي يحاول رسم طريق مصر:

«وقـد كنـا نمـر سراعاً بعبارة تقليدية في تاريخ كل فرعون تقول: «وقاد حملة إلى سوريـا وهـزم البـدو الليبيـين وغـزا النـوبـة». . . فلما تقدمنا مع الدرس وزاد ادراكنا للتاريخ أدركنا ان هذه العبارة انما هي تاريخ مصر كله. . ص ١٢».

«ان مصـر تنـازعت تاريخها ثلاث قوى: افريقيا وآسيا والبحر المتوسط. وان القـوة الأولى تلاشت في منتصف الـدولـة الحديثة. . وأما الثانية فقد فرضت على مصـر فرضـاً (أي العروبة والاسلام). . أما القوة الثالثة فهي العنصر الأساسي في تاريخ هذا البلد. . ص ٢٤».

«لقد أنشأت مصر امبراطورياتها دائماً في بلاد آسيا، ولكنها لم تطمع يوماً في جار افريقي. . ص ٤٥».

«عنـدمـا فتـح العـرب مصـر عام ٦٤٠ كانت ولايـة بيـزنطيـة تحكم من القسطنطينية. وعندما غزا الفرنسيون مصر عام ١٧٩٨ وجدوها ولاية عثمانية تحكم من نفس القسطنطينية.. ولم يكن حالها عام ١٧٩٨ بأحسن من حالها عام ٦٤٠، كان النـاس في بؤس وذل وكـان البلد في خراب.. فكأن اثني عشـر قرناً من تاريخ هذا البلد ضاعت سدى، كأن هذه السنـوات الكثـيرة قد انقضت ونحن نيـام بعيـدين عن الـوجـود. شيء لم يحدث في تاريـخ بلد مثل مصر أبداً.. تصور اثني عشـر قرنـاً ونصف تذهب سدى. قد يقـال: قامت خلالهـا دول وكـانت أمجاد.. ولكنهـا تلاشت كأن لم تكن بالأمس، وعـاد المصـري ـ وهـو مدار هذا التـاريـخ ومقيـاسـه ـ بالضبـط كما كان في أواخـر عصر الرومان.. ما الذي حدث؟, الذي حدث أننـا تخلينـا عن رسالتنا، واتجهنا بكلتينا نحو الشرق، فاختل ميزان تاريخنا، وكان ذلك الانكسار العظيم.. ذلك ان حكام مصر الاسلامية من الفتح العربي إلى أوائل القرن التاسع عشر كانوا آسيويين.. ص ٨١ و٨٢».

«وهـاتـان الحقيقتـان تقـومان كالرمز على نوع صلاتنا بالعرب، فهي صلة نسب قبل أن تكون صلة عقيدة ولغة وحضارة.. ص ١٠٠».

«وفي خلال هذه الفترة الطويلة التي مررنا بها، وهي نحو الخمسين وستمائة عام كانت الشام تابعة لمصر، أو كانتا دولة واحدة تحكم من مصر.. ص ١٠٩».

«وبـذلـك أصبحت الدولة المصرية تشمل مصر والشام والحجاز، واتسعت هذه الحدود السياسية التي تحدد جانباً من حدود مصر الحضارية ناحية الشرق.. ص ١١١».

ولنـترك كتـاب مصـر ورسـالتها وننتقل إلى العدد (٣) من سلسلة «اخترنا لك»، ونطـالـع معـاً بعض الفقرات التي خطها الرئيس جمال عبد الناصر نفسه في «فلسفـة الثـورة» ونفتش عن المفهـوم الحقيقي للوحـدة العـربيـة بين سطـور هذا الكتـاب، وسنـرى أن كل ما كتب في هذا المجـال لا يصـل إلى مستـوى العقيدة القـوميـة ولا يمكن اعتبـاره إلا محاولـة ذكيـة لوضـع «مشـروع لاستراتيجية مصر السياسية». واليكم الخطوط العريضة لهذه المحاولة التي لا تختلف عن سابقتها:

«أيمكن ان نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا؟».

«أيمن ان نتجاهل أن هناك قارة افريقية، شاء لنا القدر ان نكون فيها؟».

«أيمكن ان نتجاهل أن هناك عالماً اسلامياً تجمعنا واياه روابط لا تقربها العقيدة الاسلامية فحسب. . . ؟».

«فليس عبثاً أن بلدنا في جنوب غرب آسيا يلاصق الدول العربية وتشتبك حياته بحياتها».

«وليس عبثاً ان بلدنا يقع في شمال شرق افريقيا، يطل من علٍ على القارة السوداء التي يدور فيها اليوم أعنف صراع بين مستعمريها البيض وأهلها السود من أجل مواردها التي لا تحد».

«ان ظروف التاريخ أيضاً مليئة بأدوار البطولة المجيدة التي لم تجد بعد الأبطال الذين يقومون بها على مسرحه، ولست أدري لماذا يخيل إلي دائماً أن في هذه المنطقة التي نعيش فيها دوراً هائماً على وجهه يبحث عن البطل الذي يقوم به. . إلى ان يقول: ان احداً غيرنا لا يستطيع القيام به».

«لست أريد بذلك أن أهون من أمر العقبات التي تحول بيننا وبين توحيد الكفاح، (والمقصود به الشعوب العربية) فلا شك أن بعضها معقد تمتد أصوله إلى طبيعة البيئة وظروف شعوبها التاريخية والجغرافية، ولكن المؤكد انه يمكن مع شيء من المرونة القائمة على بعد النظر، لا على التفريط، ايجاد الخط الذي يستطيع الجميع أن يقفوا فيه، بلا تحرج، وبلا عنت، لمواجهة الكفاح الواحد».

وعندما يحاول الرئيس عبد الناصر التدليل على قوة هذا الكفاح الموحد يرده إلى أصول أساسية ثلاثة، أولها: «اننا مجموعة من الشعوب المتجاورة، المترابطة بكل رباط مادي ومعنوي يمكن ان يربط مجموعة شعوب». . وثانيها، «الموقع الستراتيجي الهام الذي يعتبر ملتقى طرق العالم، ومعبر تجارته، وممر جيوشه». . وثالثها: «وهو البترول الذي يعتبر عصب الحضارة المادية». . ولا نعجب اذا لم نجد بين هذه النصوص ما يعتبره فلاسفة القومية من المقومات الأساسية للقومية التي ولدت بعد عام ١٩٥٤ وأريد لها أن تتبوأ مركز «الريادة» للقومية العربية.

وأبلغ من هذا وذاك ما عشناه نحن، وما رآه وسمعه وعاناه شعبنا خلال ثلاث سنوات ونصف من التجربة التي نصر على تسميتها «وحدة» تيمناً بالوحدة التي كنا ننشدها ولا نزال نؤمن بها ونعمل من أجل تحقيقها. وما الطريقة التي تم فيها اختيار العلم والنشيد الوطني للجمهورية العربية المتحدة، الا نموذجاً على مدى تقدير الرئيس عبد الناصر للشعور القومي العميق لدى الشعب في سورية وفي الأقطار المتطلعة للوحدة الشاملة.

واليوم.. ترتفع الأصوات ويشتد النقاش بالاذاعات والصحف وينقسم الناس بسبب مواقفهم من «تجربة الوحدة» إلى فئات متعددة متخاصمة. غير أن الحقيقة التي تكمن وراء كل هذه الظواهر المختلفة ليست، في اعتقادي، سوى **مظهر من مظاهر الصراع بين القوى التقدمية والقوى الرجعية، لأن شعبنا بغالبيته العظمى كان وما زال على ايمانه بالوحدة. وقد يعكس بعضها الصراع الأجنبي على سورية.**

ان رئاسة الجمهورية العربية المتحدة لم تكن في حقيقتها سوى قناع وحدوي يخفي وراءه التسلط والحكم الفردي المطلق، على الرغم من كل الشعارات القومية المستعارة التي تنادي بها، وكل التطورات التي طرأت على شعاراتها منذ قيامها عام ١٩٥٢ حتى هذا التاريخ.. ودليلنا على ذلك فشلها في اقامة قاعدة ثورية شعبية رغم مرور عشر سنوات عليها، كما صرح بذلك الرئيس جمال عبد الناصر نفسه في اجتماعات المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكي العربي، وتشويهها لفكرة الوحدة مما أدى إلى انهيار الوحدة بين مصر وسورية.

ان هدف السياسة المذكورة كان كبح جماح الجماهير الشعبية وضرب الافكار الثورية والغاء دور الشعب في اختيار النظام الذي يرضيه ويحقق أهدافه القومية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والقضاء على الفعاليات الثورية بين صفوف الطليعة بحجة منع الصراع الطبقي، واستغلال الشعارات القومية لاهداف ستراتيجية توسعية. وعلى هذا فان مكانها إلى جانب القوى الرجعية لأنها تعيق نمو الوعي

الشعبي، وتعرقل اقامة الوحدة أو الاتحاد على أسس سليمة، تضمن لها التطور والبقاء.

وقد يتساءل البعض: ولكن كيف يمكن تحديد الجبهة التقدمية رغم ما بين عناصرها من تناقض في الآراء واختلاف بالتسميات نسمع بها ونقرأ عنها صباح مساء في الاذاعات والصحف: «كالوحدويين، والاشتراكيين، والتقدميين، والقوميين، والقوميين العرب، والديمقراطيين، والاصلاحيين إلى آخر ما هنالك من فرق وشيع»...

والاجابة في اعتقادي بسيطة، وهي أن هذه العناصر كانت موحدة الفكر والاتجاه قبل عام ١٩٥٨ وما التناقضات الظاهرية التي بينها اليوم سوى النتيجة الطبيعية لتخريب وتعطيل المنظمات السياسية والنقابية وكبت الحريات وشراء الضمائر خلال مدة لا تقل عن أربع سنوات. ومن الطبيعي أن تكون حصيلة هذه القوى هي التي تدفع عجلة تطور المجتمع إلى الأمام نحو المستقبل الأفضل والاشتراكية. وإلى الجانب الآخر تقف القوى الخارجية وحلفاؤها في الداخل التي تحاول عرقلة التطور.. «ومسمرة» المجتمع وتجميده بأوضاعه الراهنة التي تحتكر فيها حصة الأسد ومزايا السادة. وهي في سبيل هذا تشن حرباً لا هوادة فيها ولا رحمة ضد القوى الديمقراطية محاولة تمزيقها وابتلاع بعض عناصرها وتسخير عناصر أخرى للغم الوحدة الوطنية. ولن تجد فيها إلا القلة الذكية التي تحاول التمسك «بشعرة معاوية» مع اليسار وهي ولا شك بقايا الدم الفتي الذي يعطي اليمين قوته وحيويته.

ولهذا فان القوى الرجعية في المرحلة الراهنة رغم كل ما فيها من تناقض داخلي تبدو بعد «الهدنة» التي استمرت لصالحها مدة ثلاث سنوات ونصف، تبدو على أتم ما يمكن من الانسجام ووحدة الصف والهدف.

أما القوى التقدمية فقد مزقتها «الهدنة» المذكورة، وعندما فاجأتها الرجعية بالصراع بعد ٢٨ ايلول، لم تجد عندها من القوى إلا مايكفي للصمود الداخلي مقدمة بذلك ضحايا جديدة من صفوفها تدخل بواسطتها النشوة إلى قلوب أهل

اليمـين المتطـرف الـذي يحتفلون بزوال الديكتاتورية ويمهدون لإقامة نظام يلائم مصالحهم دون سواها.

بقي أن نتسـاءل ومـاذا عن «الـوحـدة» وهي هي المقصـودة بحـد ذاتها من الصـراع الحـالي، وأني لاعتقـد جازماً بان «الوحدة» ستبقى سليمة وقوية ما دامت فكرة الوحدة حية في قلوب الغالبية العظمى من شعبنا العربي الأصيل، وستفرض نفسها رغم كل الحواجز الرسمية التي يقيمها الحكام بين الأقطار العربية. وفي هذا المجـال أذكـر حديثـاً جرى بيني وبـين بعض رجـال المـال والاقتصاد السوريين في مكتبي بالوزارة المركزية في القاهرة عام ١٩٦٠ وكان ذلك بعد استقالتي الأولى:

قلت للاقتصادي الكبير: ما رأيك باستقالة الوزراء المركزيين السوريين؟...

قال: أتـريـد الحقيقـة؟ لقـد تخلصنـا من شركم وشر الاشتراكيين منذ قيام الوحدة وأعاد عبد الناصر الطمأنينة إلى قلوبنا.

قلت: ولكن ماذا عن رأيكم في طريقة تطبيق الوحدة وتسلط المصريين على الشعب السوري وتسكعكم على أبواب مكاتب الموظفين المصريين في القاهرة أيام وليالي لتلبية مطاليبكم بعد ان كنتم تحلونها بسهولة في دمشق؟

قال: الحقيقـة لا تهمنـا السيـاسة رغم كل ما نعانيه، الذي يهمنا هو الربح والاطمئنان على رؤوس أموالنا.

وعنـدمـا قابلت هذا المـواطن الكـريم بعـد ٢٨ ايلول ١٩٦١ بادرني مهنئاً بانتهاء عهد الطغيان الذي استباح كرامات الشعب وأموال الناس؟؟!!..

وكان يتكلم بحزم الواثق ويشعرني بأن الذي وضع حداً للوحدة هو قرارات التأميم ولولاها لاستمر شهر العسل بين الرأسماليين والحكم الديكتاتوري.. رغم أنه كان قد فقد كل صلة له بغالبية الشعب من العمال والفلاحين والمتنفعين. وفي هذا دليل على موقف الرجعية من الوحدة والانفصال. وفيه الدليل أيضاً على أن مشكلة الرجعية ليست في جوهرها مشكلة «وحدوية أو انفصالية».. ومن هنا تظهر المهمـة العظمى الملقـاة على عاتق الطليعـة العـربيـة الواعية (أوما يسمى باليسار

العربي) وخاصة منها رجال الفكر السياسي والمنادين بالحرية والوحدة والاشتراكية والـديمقـراطيـة. فعليهم في هذه المـرحلة أن يكـونـوا أكثـر موضـوعية وأمتن صلة بالـواقـع. وليعلم هؤلاء أن مرحلة الشعـارات الغامضة قد ولت إلى غير رجعة، لأن هذه الشعـارات الغـامضـة هي التي وأدت الـوحـدة، وسـاقت الاشـتراكيين والوحدويين إلى حتفهم وغررت بالشعب من ورائهم. ولا يجوز لهم أن يجعلوا من الشعب «مـزرعـة» لتجـاربهم الفجّـة، وعليهم في هذه المرحلة الجديدة أن يحددوا معـاني: الـوحـدة والحـريـة والاشـتراكية. والديمقراطية. وأن يرسموا الطريق والوسائل التي توصلهم إلى هذه الأهداف وأن يكونوا أكثر ايماناً بالشعب وبامكانياته ودوره، وأن يتـواضعـوا فيهبطـوا من ابراجهم العالية إلى مستوى الغالبية من هذا الشعب الطيب المخلص. وأن يركـزوا جهـودهم للخروج من هذه «الدوامة» التي تبتدىء بالـبرلمـانيـة الـزائفة وتنتهي بالدكتاتورية الغاشمة، وان يفتشوا عن الوسائل التي تضعنا على درب الاشتراكية بهدوء دون أن نفقد كرامتنا وانسانيتنا وقبل ان تتمكن الرجعية من رقابنا.

لهذا أدعـو القـارىء العـربي الكـريم أن يرفـع صوتـه معي، لاتحاد القوى الـوطنيـة الـديمـوقراطية، للتخلص من الدكتاتورية والرجعية معاً وخلق الظروف الصـالحـة لوحـدة أو اتحـاد يقوم على التكافؤ بين الأقطار العربية المتحررة ويصلح قاعـدة لتحـريـر بقيـة الـوطن العـربي من الصهيـونيـة والاستعمار والتخلف وبناء المجتمع الاشتراكي الذي يحرر الانسان العربي ويفجر طاقاته الخيرة.

وأخيراً، يجب أن نكف عن البكاء ولطم الخدود، لأن البكاء لم ينفع في نشر رسـالـة الاسـلام بعـد وفـاة الرسول العظيم، فكيف به في عصر الأسلحة النووية وسفن الفضاء؟.. وعلينا أن نعاود النضال من جديد مستفيدين من هذه التجربة العظيمة، لأن العالم من حولنا يسير ولا يمكن لقوة مهما عظمت أن توقف سيره، وشعبنا يتطلع بلهفة وتصميم للحاق بركب الحضارة المسرع.

دمشق في ١٠/ ١٠/ ١٩٦٢

الجزء الأول

أضواء على تجربة الوحدة

كان طبيعياً بل يكاد محتوماً اتجاه النضال في سورية خاصة وفي بقية البلدان العربية عامة نحو الوحدة العربية الشاملة والتحرر الكامل منذ مطلع هذا القرن وقبل هذا القرن بكثير. ومرد ذلك أن بلاد الشام لم تكن في كل عصور التاريخ الا جزءاً متمماً متفاعلاً مع جنوبي الجزيرة العربية، وما بين النهرين وشمالي افريقيا، ولقد كانت وما زالت بالنسبة لهذا الجسد الجغرافي العربي بمثابة القلب، وأكد سير التاريخ أيام الدولة الاموية هذه الحقيقة عندما تبلور التكوين النهائي لهذه الدولة في اطار جغرافي حدد البيئة الطبيعية للمجتمع العربي ذي اللغة والتاريخ والثقافة الواحدة والمصالح والآمال والمصير المشترك.

وكان طبيعي، ذلك الانسجام الذي امتازت به دولة الامويين المركزية طوال قرن كامل. وكان طبيعياً أيضاً أن تنهار هذه الدولة العربية منذ بداية الحكم العباسي عندما تسلل إلى رأس الدولة النفوذ الأجنبي (الفارسي والتركي) فنتج عن ذلك تفكك أجزاء الدولة تدريجياً وأخذت تقوم على أنقاضها دول ضعيفة يقودها مغامرون وذوو مصالح وبذلك قضي على القوى الحية الدافعة في المجتمع العربي وأصبح النفوذ الأجنبي والتجزئة ينهشان قلب هذه القوى فلم ينته القرن الرابع عشر الميلادي حتى أصبحت الأمة العربية الموحدة والحضارة العربية ـ مجرد تاريخ وانطوى الشعب العربي على نفسه بعد أن أعيته المنازعات الداخلية وحكم العناصر الأجنبية والحروب الاستعمارية من صليبية وتتارية. وفي القرن الخامس

عشر عاد الـوطن العـربي إلى نوع من الوحدة تحت ظل الاستعمار المغولي العثماني استمر حتى نهاية العقد الثاني من القرن الحالي. وكان من أهم ميزات هذه المرحلة أنها اعتمدت على الدين كعنصر أساسي يوحد بين أجزاء الامبراطورية العثمانية، وحافظت على المركزية لربط جميع أجزاء الدولة طوال تلك الفترة عدا بعض أقطار شمالي افـريقيـا كالمغـرب العـربي والجـزائر بعد عام ١٨٣١، ومصر بعد الاحتلال الـبريطـاني عام ١٨٧٢، وليبيـا بعـد عام ١٩١١، والمحميـات في جنوب الجزيرة العـربيـة وعلى الخليـج العـربي. وفي أوائل القرن التاسع عشر هبت على البلاد العـربيـة المستعمـرة ريـح الثـورة الفرنسية بغزو نابليون وحملت البعثات التبشيرية والتعليميـة إلى الشـام بذور الفلسفـة القـومية وما ان انتهت الحرب العالمية الأولى حتى كانت طلائع الشعب العربي في كل أجزاء الوطن العربي ترفع شعار الحرية من الاستعمار الاجنبي (العثماني والاوربي) مقروناً بشعار الوحدة العربية الشاملة. تلك كانت الأهداف البعيدة للثورة العربية في المشرق العربي. وثورات الحرية في المغـرب العـربي ومصر والسودان (ثورة الريف بقيادة الخطابي وثورة الجزائر الأمير عبـد القـادر ونضـال الشعب في ليبيـا بقيـادة المختـار وثـورة عرابي في مصر، وثورة المهـدي في السـودان، والثـورة الـوهـابيـة في الجزيرة العربية ودعاة الاصلاح مثل الطهطـاوي، والكـواكبي، ومحمـد غنـدور، والافغاني، وبعض الجمعيات التي نادت بالقومية العربية.

وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء خرجت اوروبا الغربية (فرنسا وانكلترا) منتشية من النصر، ومنهكة من أعباء الحرب، وقد أعمتها النشوة عن تقدير مصالح وحريات الشعوب المتطلعة للحرية والسلام فثابرت على نهجها الاستعماري الذي اقتضته طبيعة التطور الصناعي والرأسمالي وتجاهلت الشعارات الـديمقـراطيـة والانسـانيـة التي كانت تدعي النضـال من أجلهـا طيلة الحـرب، وتنكـرت لجميـع الـوعـود التي قطعتهـا تجاه الشعـوب التي سانـدتها في حربها ضد امبراطـوريـة اوربا المركزية. وكانت البلاد العربية في طليعة الشعوب التي لاقت جزاء سنمار على يد الحلفـاء المنتصـرين (فـرنسـا وانكلترا وايطـاليا). ولعل هذه

الـدول الاستعـمارية كانت في سياستها هذه تحاول اعادة تعمير بلادها، واصلاح صنـاعتهـا وآلتهـا الحربية على حساب الشعوب الضعيفة النامية، فلم تأخذ بعين الاعتبـار ارادة الشعـوب ومن بينهـا شعبنا العربي، ولم تقم أي وزن لكل شعاراتها ووعودها فأجهزت ببربرية غريبة ـ مستغربة على انسان القرن العشرين ـ تتقاسم النفـوذ في شتى أنحاء الكرة الأرضية على أساس اندثار أربع أمبراطوريات كبرى هي : الامبراطورية العثمانية والروسية والنمساوية والألمانية. ولم يعد ينازع انكلترا وفـرنسـا في آسيـا وافريقيا أحد بسبب ميل الولايات المتحدة الاميركية للعزلة وانشغال روسيا بالثورة الشيوعية، الأمر الذي أتاح لهاتين الدولتين اقتسام النفوذ في قارتي آسيـا وافـريقيـا بهدوء، وكـان من نتيجـة ذلـك تقسيم الـوطن العـربي بكـامله إلى دويـلات وامـارات ومحميـات تزيـد على الثـلاثـين خضعت معظمهـا للاستعـمار البـريطـاني، ونـالت فرنسـا أيضاً حصة الأسد من مخلفات الامبراطورية العثمانية عندما استولت على سورية ولبنان بالاضافة إلى المغرب العربي بكامله واستولت ايطاليا على ليبيا والصومال، ولم تسلم من الاستعمار الأجنبي المباشر سوى دولتين عربيتـين هما المملكـة العـربيـة السعـودية، والمملكة المتوكلية اليمنية، على انهما لم تسلما من النفوذ الاجنبي بكل أنواعه.

وكـان طبيعيـاً ألا تضيـع هذه الـدول المستعمـرة أي وقت لكي تمتص دماء الشعب العـربي وتنهب ثروات أرضـه المختلفة لتؤمن حاجة الآلة الجبارة المتزايدة من المـواد الأوليـة، وكـان من المنطقي أيضـاً أن يزداد نهم الصنـاعـة في الـدول الاستعـمارية لهذه المـواد وتتعـاظم حاجتهـا إلى الأسواق كلما ارتفعت مواردها من المستعمرات أو بمعنى آخر كانت مصالح الدول الاستعمارية تتزايد يوماً عن يوم، رغم انتشار وتوسع الوعي في الشعوب المستعمرة ونمو الروح القومية واتساع حركة التحـرر بين هذه الشعـوب حتى شملت ماينوف على مليار نسمة في آسيا وافريقيا كان من بينها بل في طليعتها الشعوب العربية.

ومـع بوادر هذه الثـورة التحـررية الوحدوية في الوطن العربي لجأ الاستعمار

إلى ستراتيجية جديدة يمكن اعتبارها بالنسبة للأمة العربية «ذروة الاستعمار»، وأبرز خطوط هذه السياسة:

١ ـ افناء العنصر العربي في بعض أجزاء الوطن العربي وابداله بعناصر غريبة وخلق أوطان قومية لها وإقامة دول في هذه المناطق مرتبطة بمثل وحضارات وثقافات لا تمت إلى الشعب العربي بأية صلة وتستمد كل وجودها وكيانها واستمرارها من الدول الاستعمارية (الوطن القومي اليهودي في فلسطين، الاوربيون واليهود في الجزائر وليبيا وتونس، العناصر الغريبة في المحميات على البحر العربي والخليج، الخ . . .).

٢ ـ خلق قوميات مختلفة ومتعادية في أجزاء الوطن العربي لتأكيد الأوضاع الانفصالية وتغذية الشعور الانعزالي عن طريق الاحتلال وتمكين العزلة والمصالح الاقتصادية والسياسية المستندة عليها: (القومية البربرية، القومية الفرعونية، القومية السورية، القومية السودانية، الخ . . .) وبذر الشكوك بين أبناء الوطن الواحد عن طريق زرع بعض النزعات العرقية أو الطائفية.

٣ ـ مقاومة الحركات الشعبية التحررية، ودعم الرجعية بجميع أشكالها ومحاربة الثقافة والوعي، واعاقة التطور الاجتماعي والسياسي بالاعتماد على العملاء والطبقات الحاكمة المستغلة في تنفيذ هذه السياسة واستمرارها.

واستطاع الاستعمار رغم كل الصعوبات التي اعترضت سياسته في الوطن العربي أن يحتفظ بنفوذه وبالظروف والعوامل التي تمكن لهذا النفوذ، حتى نهاية الحرب العالمية الثانية التي تمخضت عن نتائج خطيرة معظمها في صالح الشعوب المستعمَرة، وضد مصالح الاستعمار واهمها:

١ ـ القضاء على النظام القديم للحكومات الأوروبية وزوال فرنسا كدولة كبيرة وتدهور الامبراطورية البريطانية كقوة استعمارية عظمى.

٢ ـ أصبحت الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفييتي هما الدولتان اللتان تقودان سياسة العالم بعد أن كانت هذه الصفة مقصورة على دول اوروبا الغربية.

٣ ـ امتداد الحرية وانتشار القومية في آسيا وأفريقيا وقيام هيئة الأمم المتحدة وظهور الكتلة الأسيوية ـ الافريقية كقوة عالمية ذات أثر كبير في السياسة الدولية .

٤ ـ اكتشاف الأسلحة النووية الهائلة ووسائل حملها عبر القارات مما غير بصورة جوهرية الأفكار المتعلقة بالستراتيجية السياسية والعسكرية .

وهكذا أدى ضعف بريطانيا وفرنسا وايطاليا إلى تحرر معظم الدول العربية بين نهاية الحرب عام ١٩٤٥ وقيام الحركات التحررية والثورية في البلاد التي لا تزال تحت الاستعمار ولن تلبث إلا القليل حتى تتحرر. ذلك هو منطق التاريخ . ومع ظهور الدول العربية المستقلة وفي طليعتها سورية عام ١٩٤٥ ، ظهر الاتجاه الحقيقي نحو الوحدة العربية الشاملة ، ولم يخف ذلك على الحلفاء فاضطروا لمسايرته عندما ساعدوا على خلق الجامعة العربية قبيل انتهاء الحرب ، كما لم يستهينوا في تقدير النتائج التي ستترتب على السير نحو الوحدة فبادروا فور نهاية الحرب إلى خلق دولة اسرائيل فوق تراب فلسطين العربية والتمكين لها بتحويلها إلى قاعدة استعمارية تخلف الجيوش التي اضطرت للجلاء عن سورية ولبنان عام ١٩٤٦ وعن فلسطين العربية عام ١٩٤٨ .

أما سياستهم تجاه الدول العربية فكانت تسيرها الستراتيجية المزدوجة التالية :

ـ «ابقاء البلاد العربية حتى المستقلة منها ضمن نطاق النفوذ الغربي والمحافظة على المصالح الستراتيجية الحيوية من قواعد ومواصلات ومواد أولية (البترول) ومقاومة الحركات التحررية والتقدمية تحت شعار مقاومة المبادىء الهدامة أو منع التسلل الشيوعي» .

ولئن اختلفت أساليب التكتيك الغربية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى يومنا هذا ، ولئن زال أو تضاءل النفوذ الفرنسي والبريطاني من المنطقة وحل محلهما أو انضم اليهما النفوذ الاميركي باعتبار امريكا الزعيمة الأولى «للعالم المسمى بالحر» ، إلا أن ستراتيجية الغرب لم تتبدل اطلاقاً. **فالوطن العربي بالنسبة له قطاعٌ جغرافيٌ متممٌ لحزام الأمن المحيط بالكتلة الشيوعية ، ودرعٌ يقي مؤخرة**

أوروبا ودول الأطلسي ومصالحها الحيوية في قارتي آسيا وافريقيا ومواصلاتها مع قارتي امريكا واوقيانوسيا، ومصدر رئيسي للمواد الأولية وخاصة البترول.

هذا بالنسبة للكتلة الغربية بزعامة اميركا، أما بالنسبة للكتلة الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفياتي الذي أصبح كما أسلفنا يتقاسم زعامة العالم مع امريكا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية: **«فلا اقل من ان تكون اهدافه الستراتيجية في هذه المنطقة، مبنية على إزالة النفوذ الغربي نهائياً، وتطوير التعاون بين الدول العربية أو تشجيعها على الوقوف موقف الحياد في الصراع القائم بين المعسكرين. والدخول الفعلي للمنطقة أو لبعض أجزائها على الأقل.**

ومن هنا كان لا بد من ان تخوض البلاد العربية معركة الوحدة والحرية والتطور في خضم الحرب الباردة وأن تصطلي نارها وتتأثر بكل ظواهر ومراحل هذه الحرب التي بدأت قبل نهاية الحرب الثانية ولا تزال مستمرة حتى الآن.

في هذا الجو وهذه الظروف الدولية تابع الشعب العربي نضاله بعد الحرب الثانية، متأثراً دائماً بها ومؤثراً أحياناً، شأنه في ذلك شأن أي حركة تحرير في العالم عدا ما يمتاز به موقعه الجغرافي المتاخم للكتلتين، وثرواته الضخمة.

ولم تكن مجرد الصدف هي التي أدت إلى استقلال سورية عام ١٩٤٥، فقد تزعمت الثورة العربية منذ أول الحرب الأولى وانتزعت استقلالها فور جلاء القوات العثمانية، وأعلن مؤتمر دمشق عام ١٩١٩ وحدة البلاد العربية واتسم النضال ضد الانتداب الفرنسي بالطابع القومي الذي لا يعترف بالحدود والمصالح المصطنعة في أجزاء الوطن العربي، وأصبح شعار الوحدة العربية الشاملة، هو اللواء الوحيد الذي يجمع بين مختلف الهيئات والمنظمات والأحزاب السياسية السورية على اختلاف مبادئها، وأعلن أول دستور للبلاد بأن سورية جزء من الوطن العربي، وعندما بدأت المباحثات حول قيام جامعة الدول العربية عام ١٩٤٣ كانت سورية أول دولة أبدت استعدادها رسمياً للتنازل عن استقلالها في سبيل وحدة عربية مركزية. وكان ذلك على لسان المرحوم سعد الله الجابري رئيس وزراء سورية آنذاك، كما كانت سورية دائماً بشعبها وحكوماتها المتعاقبة المدافع عن قضايا الوطن

العربي في هيئة الأمم المتحدة وفي كل المؤتمرات الدولية متحملة في سبيل ذلك الأعباء الكثيرة التي فاقت في كثير من الظروف امكانياتها السياسية والاقتصادية، مما عرضها إلى كثير من المخاطر وجعلها هدفاً للمؤامرات باعتبارها بؤرة الحركة العربية الشعبية التي أخذت تتبلور على شكل شعارات أساسية قوامها: الحرية، والوحدة، والاشتراكية. وبذلك يكون الشعب العربي أو الجماهير العربية قد تسلمت هي نفسها لواء النضال الحقيقي ليس في وجه النفوذ والمصالح الاستعمارية فحسب، بل وفي وجه الركائز الاستعمارية في الوطن العربي والتي تتمثل: في **التجزئة وأنظمة الحكم الرجعية والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية المبنية على الاستغلال والاقطاع وامتهان كرامة الفرد وحرمانه من حقوقه الأساسية.** وكان لا بد للنضال في هذه المرحلة من التخلي عن الأساليب القديمة وتبني مبدأ النضال الشعبي الثوري.. لكي يتمكن من الانتصار على خصميه اللدودين الاستعمار الأجنبي والرجعية الداخلية ومن هنا أيضاً كان لا بد للشعب العربي من أن يخوض معركة الديمقراطية والاشتراكية في جو مفعم بالمتناقضات، **وكان طبيعياً ان تتركز معظم القوى المضادة رغم تناقضها الظاهري تجاه الحركة التحررية في سورية لأنها وحدوية اصيلة أولاً ولأنها تقدمية لا تفصل بين الحرية والديمقراطية والاشتراكية من جهة وبين الوحدة من جهة اخرى**، وبذلك التقى الاستعمار والحكام والعملاء وبعض أصحاب المصالح من الطبقات المستغلة على صعيد واحد وتحالفوا للقضاء على هذا التيار الجديد وسلكوا جميعاً متفرقين ومتحدين طرقاً شتى لعرقلة سيره، وكان من بين هذه الطرق بل لعله أشدها أثراً **تبني شعارات الحركة التقدمية وتزويرها ثم العمل على وأدها.**

وعلى هذا الأساس نجد حكام العرب الرجعيين من فاروق إلى عبد الله ونوري السعيد وغيرهم، يرفعون شعار الوحدة العربية، كما نلاحظ أن معظم الأحزاب التي قامت قبل وبعد الحرب العالمية الثانية أخذت تدخل في برامجها مبادىء القومية العربية والوحدة بل لقد وصل ذلك إلى حد تضمين برامجها شعارات غامضة عن الاشتراكية والديمقراطية البرلمانية، غير أن ذلك لم يكن

كافياً لاخفاء الحقيقة الكامنة وراء هذه الشعارات عن الشعب، فسرعان ما كان التحالف بين هؤلاء الحكام وبين تلك الأحزاب من جهة وبين الاستعمار من جهة أخرى ضد كل حركة شعبية أصيلة. ولذا نجد ان الحكم الوطني في البلاد العربية أصبح بعد الحرب الثانية يميل إلى معاداة الشعب ومعاداة الحرية والديمقراطية الاشتراكية، بل لقد أصبح في بعض الحالات الاداة الفعالة بيد الاستعمار والممثل الحقيقي له.

واذا كان لكارثة فلسطين من فضيلة فان فضيلتها الأولى هي فضح الحكام العرب وكشف أقنعتهم أمام شعوبهم بشكل جعل استمرارهم في بعض البلدان العربية المتطورة أمراً مستحيلاً. ولهذا كان من السهل جر القوات المسلحة في سورية وتشجيعها على الانقلاب بحجة تلبية ارادة الشعب بكامله وخاصة منه المنظمات السياسية التقدمية والفئات المثقفة الواعية والطبقة المتوسطة من التجار وأصحاب المهن الحرة وكذلك الطبقة الفقيرة من الفلاحين والعمال، وان تقوم هذه القوات بأول انقلاب سلمي لمحاولة ابعاد طبقة الحكام من الاقطاعيين والرأسماليين، والتي تقف في وجه التطور وتحول دون اقامة القوى الفعالة من المجتمع بدورها في حماية الاستقلال وازالة الظروف التي أدت لكارثة فلسطين. وتبع ذلك سلسلة من الأحداث عمت الوطن العربي كله تعبر عن ثورة الشعوب على الاستعمار والحكام العملاء والرجعيين، فقد اغتيل الامام يحيى والملك عبد الله، ومزقت معاهدة بورتسموث[1] وأطاح الشعب والقوات المسلحة المصرية بعرش فاروق، وطرد الشعب الاردني كلوب باشا، وقامت ثورة العراق وأصبحت البلاد العربية بعد عام ١٩٤٧ على فوهة بركان. وبذلك تكون كارثة فلسطين قد اتخذت موضعها الصحيح من التاريخ باعتبارها تحدياً للوسيلة الاستعمارية الجديدة لاعاقة الوحدة العربية بعزل افريقيا العربية عن آسيا وعرقلة تطور المجتمع العربي. وهكذا لم يستطع الاستعمار بواسطة اسرائيل تغيير مجرى التاريخ أو تاخير سيره، وان ما حدث أثر ذلك كان تأكيداً ومسارعاً لسير هذا التاريخ.

١ ـ المعاهدة التي يطلق عليها العراقيون «معاهدة صالح جبر ـ بيفن».

التركيز على سورية :

قلنا أن الاستعمار والرجعية العربية ، أدركت معنى الاحداث التي وقعت في سورية بعد انقلابها الأول عام ١٩٤٩ وبروز الفئات والأحزاب التقدمية فيها إلى الطليعة ووصولها بدعم من الشعب ومن القوات المسلحة إلى مراكز السلطة الفعلية ، الأمر الذي أعطى للحكم في سورية بعد ذلك (أي بعد عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٥٨) طابعاً تقدمياً واضحاً بدل سياسة الدولة بشكل جوهري . وعلى الرغم من عدم الاستقرار الذي امتازت به هذه المرحلة في سورية بسبب الانقلابات المتكررة والمؤامرات الأجنبية الخطيرة المتتالية فان سياسة الجمهورية العربية السورية لم تتبدل ولم تتحول عن المبادىء الرئيسية التالية :

في الداخل :

حكم ديمقراطي برلماني يستمد قوته من الشعب على طريقة الاستفتاء العام المباشر ويكفل الحرية العامة للأفراد والهيئات والنقابات والجمعيات والمنظمات والأحزاب السياسية ويهدف إلى خدمة الشعب وتطوير المجتمع اقتصادياً وسياسياً وثقافياً ضمن اطار من الحرية والديمقراطية كفلهما دستور تقدمي ، ولم يتبدل جوهر هذه السياسة رغم فترات الحكم العسكري التي مرت على البلاد ، التي كان اطولها نظام الزعيم اديب الشيشكلي الذي تحول تدريجياً إلى دكتاتورية عسكرية فردية .

في المجال العربي :

العمل المتواصل لتمتين الروابط بين الدول العربية المستقلة وتطوير هذه الروابط إلى اتحاد أو وحدة بين بعض أو كل البلاد العربية على أساس من التكافؤ والتساوي بين الدول والمواطنين والتحرر الكامل من النفوذ والارتباطات الأجنبية ،

والـديمقـراطيـة التي تكفـل للشعب ممارسة حقوقه ، والقيام بواجباته التي تقتضيها طبيعـة المـرحلة الثـوريـة في اطار من الكرامة والمقومات الانسانية وفي حدود تقاليد وأخلاق مجتمعنا النافعة .

في المجال الدولي :

التحرر الكامل من النفوذ والسيطرة الأجنبية ، ورفض الارتباط والانحياز ، وتبني الحيـاد الايجـابي بالنسبـة للمنـازعات الدولية ، وتأييد الحركات التحررية في جميـع أنحاء العـالم ، والتمسك بمبدأ حرية تقرير المصير وعدم التدخل في شؤون الغـير ، والتعـاون مع جميـع الدول في نطاق هيئة الأمم المتحدة لمنع الحرب وتوطيد السلم وازالـة الاستعـمار من العـالم ومسـاعـدة الـدول النامية للتحرر من مخلفات الاستعـمار ، بالقضـاء على الجهل والمرض ورفع مستوى المعيشة ، وتحسين ظروف الحياة لجميع الشعوب لتلحق بالشعوب الأخرى المتطورة .

ولم يرض الاستعـمار الغـربي عن هذه السيـاسـة فأعلن عليهـا الحـرب منذ البـدايـة واستمر في مقاومتها بأساليبه المتنوعة وامكانياته الهائلة ، فاستعمل أسلوب الضغط المباشر من اسرائيل وتركيا ، بل ومن قوات الاطلسي نفسها ، كما استعمل الحكـام العـرب العمـلاء في بعض الأقطار العربية ولجأ إلى العديد من المؤامرات الـدنيئـة التي أحبطهـا الشعب والجيش الـواحـدة تلو الأخرى ، واستخدم الحرب الاقتصـاديـة ، وحـرب الدعاية ، ولجأ إلى التهديد والاغتيال والاجرام ضد الأفراد (اغتيال الشهيد المرحوم عدنان المالكي عام ١٩٥٥) . . إلا أن أساليبه هذه وغيرها باءت بالفشل الذريع في سورية بفضل وعي الشعب والجيش والتحامهما وبفضل القيـادة المناضلة العنيدة التي وجهت هذا النضال طوال فترة تزيد على عشر سنوات ولم ترهب وعيداً أو تقبل اغراء . ومما لا شك فيه أن جو الحرية الذي امتازت به هذه المرحلة أثبت فعالياته في فضح المؤامرات والمتآمرين على الصعيد الداخلي وكذلك على الصعيدين العربي والدولي .

التقارب بين سورية ومصر:

وكان الشعب في سورية وهو في خضم هذه المعركة التي يحاول الاستعمار صبغها بالطابع الاقليمي، ويصر الشعب بل ومجرى الأحداث نفسه على وضعها في المكان الصحيح من المشكلة العربية الكبرى، ولذا كان طبيعياً أن يتجاوب النضال في سورية مع حركات النضال في كل الأقطار العربية، وعندما رفعت الثورة المصرية بين عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ لواء القومية العربية والتحرر الكامل من الاستعمار ومقاومة الأحلاف وتأييد الحركات التحررية والحياد الايجابي وتبنت الشعارات التقدمية في الداخل بمحاربة الاقطاع والاتجاه نحو بناء مجتمع ديمقراطي اشتراكي.. سارعت سورية شعباً وحكومة لتوحيد الجهود مع ثورة مصر المنادية بالقومية العربية والتحرر من الاستعمار أملاً في تحقيق الوحدة الشاملة وبناء المجتمع العربي الجديد على أسس ديمقراطية اشتراكية، وازالة الاستعمار وآثاره وركائزه، ليس في مصر وسورية فحسب، بل وفي كل البلاد العربية، ذلك لأن سورية منذ استقلالها عام ١٩٤٥ وحتى قبل استقلالها كانت تحمل معظم العبء لوحدها، وتلاقي في سبيل هذه المبادىء أعظم المخاطر، وليس موقفها من قضية الجلاء عن مصر عام ١٩٥١ وموقفها من مشاريع سورية الكبرى، والهلال الخصيب، وكذلك موقفها من قضيتي استقلال تونس ومراكش وثورة الجزائر وثورة عمان، وموقفها من قضية فلسطين بشكل عام ومقاومة مشروع جونسون لتحويل مجرى نهر الأردن عام ١٩٥٣ بشكل خاص وتحملها أعباء المعونة الاقتصادية والعسكرية للاردن بعد طرد كلوب عام ١٩٥٦ وبالتالي موقفها من مصر بعد تأميم قناة السويس، وأثناء العدوان الثلاثي، وأخيراً عندما وقفت في وجه الضغط الأميركي والتركي ورفضت الدخول بالاحلاف أو قبول المساعدات المشروطة كالنقطة الرابعة ومبدأ أيزنهاور وغيرهما. هذا بالاضافة إلى أنها كانت دائماً الملجأ الدائم للمناضلين العرب من المحيط للخليج والقاعدة لدعم الحركات التحررية في كل الوطن العربي.

الوحدة بين مصر وسورية :

وصل التعاون بين هاتين الدولتين العربيتين المستقلتين في مطلع عام ١٩٥٨ إلى الذروة عندما أعلن شعبا الدولتين وحكوماتها قيام دولة موحدة من الاقليمين هي الجمهورية العربية المتحدة ورضيت سورية بزعامة جمال عبد الناصر وجعل القاهرة عاصمة لهذه الجمهورية، واتفقت حكومتا البلدين على وضع دستور موقت لادارة البلاد خلال مرحلة انتقالية لا تزيد عن ستة أشهر يوضع خلالها دستور دائم يحدد نظام الحكم، ويضع الأسس الدائمة للوحدة المتكافئة بين الاقليمين، ويضمن المبادىء الأساسية التي كانت تقوم عليها سياسة كل من البلدين قبل الوحدة وأهمها :

١ ـ العمل لتحقيق الوحدة الشاملة بين البلدان العربية .

٢ ـ اقامة المجتمع الديمقراطي الاشتراكي .

٣ ـ المشاركة الفعلية للشعب في الاقليمين بوضع سياسة الدولة وتنفيذها دون تمييز بين اقليم وآخر أو مواطن وآخر.

وكان اجماع الشعب على الايمان بعبد الناصر والرغبة العامة العارمة بالوحدة بالاضافة إلى الظروف الدولية وموقف الحكام العرب الرجعيين من سياسة مصر وسورية ومن فكرة الوحدة نفسها، واستمرار التآمر على مصر وسورية من دون حلف الأطلسي والصهيونية، كل ذلك أثر على طريقة تنفيذ الوحدة والشكل الذي قامت عليه. ولم يكن مستغرباً من غالبية الشعب آنذاك اللهم إلا الحزب الشيوعي الذي أعلن رأيه صراحة بمعارضة شكل الوحدة، واقترح اقامة اتحاد فيدرالي يحفظ لكل اقليم ظروفه وخصائصه ضمن اطار من الديمقراطية والحريات السياسية كأساس للوحدة بين البلدين .

غير ان ثقة الشعب بنفسه وبقيادته آنذاك وايمانه بالوحدة العربية وثقته بثورة مصر بزعامة عبد الناصر والسياسة التي كان يعلن عنها لرفع مستوى الشعب المصري ومكافحة الاستعمار والحياد الايجابي بالنسبة للمنازعات الدولية ويكررها

في كل المناسبات، وسير الأحداث بعد انتصار مصر على العدوان، وفضح المؤامرات الاميركية ومؤامرات العملاء العرب والنكسة التي وقعت في الاردن وموقف الملك سعود والحكام العراقيين من سورية، والحاح امريكا على تطبيق مبدأ أيزنهاور، كل هذا جعل عملية تنفيذ الوحدة، أي الوحدة بين مصر وسورية أمراً لا يقبل التأخير، خاصة وقد أجمعت عليه غالبية الشعب في سورية وأقره مجلسا النواب في البلدين بالاجماع.

هكذا قامت الوحدة بين مصر وسورية على أساس قيادة عبد الناصر وليس على أساس تسليم عبد الناصر مصير الشعب السوري دون قيد أو شرط كما اعتقد عبد الناصر، ولم تكن الوحدة كما وقعت استسلاماً من جانب سورية لمصر أو العكس، وانما أقيمت على أساس الدستور الموقت لتفادي المخاطر الكبيرة التي كان من المنتظر وقوفها بوجهها، شريطة أن تقوم لجنة عليا مشتركة مؤلفة من عدد متساو من المسؤولين في الاقليمين لرسم الخطط التنفيذية للوحدة ووضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة يراعي كون الجمهورية العربية المتحدة نواة ووسيلة لتحقيق الوحدة الشاملة وبناء مجتمع عربي جديد مبني على الحرية والديمقراطية والاشتراكية.

في طريقة تنفيذ الوحدة:

الحقيقة ان الارادة الشعبية العامة للوحدة بالاضافة إلى الظروف الدولية والعربية والثقة بعبد الناصر وثورته وعدم اطلاع المسؤولين في سورية على حقيقة نوايا عبد الناصر واسلوب حكمه لمصر منذ قيام ثورته عام ١٩٥٢ وغير ذلك من العوامل الجوهرية كانت من أهم أسباب قيام الوحدة بالشكل والسرعة التي تمت بموجبها. غير أن الوقائع التي تكشفت بعد الوحدة أثبتت عدم امكان استمرار في هذه الوحدة لاسباب كثيرة أهمها:

١ ـ في مصر:

أ ـ اذا صح ما يدعيه حكام مصر من ايمانهم الكامل بعروبة مصر، وتبني سياسة الوحدة العربية الشاملة وشعارات القومية العربية، والاشتراكية، والديمقراطية، والتعاونية، فلا يمكن الجزم بايمان الشعب المصري أو طليعته المثقفة بهذه الأهداف والمبادىء، فبالرغم من مضي حوالي تسع سنوات على الثورة، وثلاثة أعوام ونيف على قيام الجمهورية العربية المتحدة[٢]، فان جميع الوقائع تدل على أن الشعب المصري لا يزال بعيداً كل البعد عن هذه المفاهيم وهو يرجع عليها مشاكله الاقتصادية والاجتماعية ولا يصغي لكل الشعارات التي تطلقها الدعايات الرسمية ما دام في مستواه الحالي من الفقر والجهل، وما دامت طلائعه الواعية تناضل من أجل الحصول على الحريات الاساسية في ظروف أشد قسوة من الظروف التي سبقت انقلاب الجيش عام ١٩٥٢.

ب ـ ان ما يجول في رؤوس الطليعة المثقفة وأصحاب النفوذ المالي والاقتصادي حول الوحدة والقومية العربية انما يستقي مصادره من رواسب العلاقات التاريخية بين مصر والبلاد الاسلامية الأخرى في ظل الحكم العثماني ومن العلاقات غير المتكافئة التي قامت بين مصر والسودان منذ أيام محمد علي حتى عام ١٩٥٥ بعد اعلان استقلال الجمهورية السودانية، بل ومن علاقات مصر ببلاد الشام أيام الفراعنة.

ج ـ ان الظروف السياسية والاقتصادية التي كان يعيش فيها الشعب المصري خلال القرون الماضية، وحتى بعد قيام الثورة لايزال معظمها قائماً حتى بعد مضي ثمان سنوات على الثورة:

١ ـ لم يمض على تحرر مصر من النفوذ الاستعماري إلا أربع سنوات منذ العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦.

٢ ـ فالحكم الفردي المطلق رغم ما حققه في مصر، لم يغير من أسلوب

---

٢ ـ من الملاحظ ان هذه المقدمة قد كتبت في أوائل عام ١٩٦١ أي قبل قيام حركة ٢٨ ايلول ١٩٦١.

العلاقات بين الحكام والرعايا المواطنين، فلا حريات ولا تمثيل صحيح للشعب، ولا منظمات نقابية أو سياسية، ولا تزال غالبية الشعب من الفلاحين والعمال والمثقفين تنظر إلى السلطة الحاكمة بخوف ورهبة وكأنها تنظر إلى حكام أجانب عنها.

٣ ـ لا تزال غالبية الشعب من الفلاحين والعمال يخيم عليها الفقر والجهل التام وتكاد نسبة الاميين في مصر تكون أكبر نسبة في العالم بعد الهند وهي تتراوح حتى الآن بين (٦٠ ـ ٧٠٪) وليس في أهداف أو سياسة الثورة مايدل على التركيز أو الاهتمام الجدي لهذه المشكلة. كما ان دخل الفرد وكمية الحريرات التي تدخل في غذائه اليومي أدنى من أي دخل مشابه في العالم عدا الهند، وان نسبة الزيادة السنوية في السكان (٥٠٠) الف نسمة سنوياً لا تغطيها جميع الخطط الموضوعة لمضاعفة الدخل القومي رغم تفاؤ لها.

٤ ـ لم يكن في مصر عند قيام الوحدة بين مصر وسورية أي حزب سياسي ولم يكن يسمح بالنشاط السياسي من أي نوع كما لم يسمح به بعد الوحدة، والأحزاب التي كانت قائمة في مصر ليست الا تكتلات اصحاب المصالح من الرأسماليين والاقطاعيين وركائزهم في المدن والقرى، ولا تزال صورة المجتمع بعد الثورة نسخة مطابقة لما كان قبلها. فالعمد والمشايخ في أدنى سلاسل السلطة، والزعماء والمسئولين في أعلى الهرم من السلطة، وفي الذروة زمرة الحكام. وقد نال هذا النظام الطبقي صفة شرعية في عهد الثورة، وجدد شبابه وقوته، عندما شكل الاتحاد القومي، وجرى تعيين أعضاء مجلس الأمة وأعيد تشكيل النقابات والهيئات والجمعيات والشركات على أساسه.

د ـ ان الوضع الجغرافي لمصر وعزلتها عن العالم العربي وشعورها بالأمن بسبب حدودها الصحراوية والبحرية، ومجاورتها لدول أضعف منها أثر على طبيعة الشعب المصري وعلى علاقاته مع جيرانه وبالتالي مدى ايمانه بالقومية العربية الاصيلة، كما أن لماضي مصر والحضارة الفرعونية أثراً قوياً على تفكير الطبقة المثقفة، وهي تشكل عندهم عقدة التفوق يلازمها شعور بالضعة تجاه الغريب

بسبب الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية الراهنة.

هـ - ان تعداد سكان مصر البالغ (٢٦) مليوناً حسب الاحصاءات الجديدة[٣] يشكل عقدة أخرى في السياسة المصرية، وفي شعور المصريين، فهم من جهة يعتقدون بأن هذا التعداد يعطيهم حق الزعامة والقيادة لكل الدول العربية دون نقاش، كما يجعلهم في قلق دائم وخوف من المستقبل بسبب صعوبة حل مشاكلهم الاقتصادية ورفع مستوى معيشة الشعب، ولذلك نجد أنهم يبطنون دائماً فكرة استغلال علاقاتهم العربية على الصعيد الاقتصادي، ولا تتحرر مواقفهم السياسية العربية خاصة والدولية عامة من هذا العامل.

و- واخيراً فشل الثورة والحكم الفردي في حل المشاكل التي قامت من أجلها واهمها رفع مستوى المعيشة مما دفعها للتفتيش عن سياسة المجالات الحيوية وتبني الشعارات الرائجة لتغطية اهدافها البعيدة، وهكذا نشأت الناصرية.

في سورية:

أ - نالت سورية استقلالها التام عام ١٩٤٥، وقبل ذلك كان لها دستورها الذي يسمح بالاحزاب والمنظمات النقابية والسياسية وبالانتخاب الحر المباشر منذ عام ١٩٤٣، وتطورت الأوضاع السياسية والاجتماعية في سورية منذ الاستقلال حتى عام ١٩٥٨، فأصبحت سورية في طليعة الدول الديمقراطية في آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية رغم صغر مساحتها وقلة عدد سكانها. وسجلت انتصارات كبيرة في نضالها ضد الاستعمار وفي المجالين الاقتصادي والسياسي ما جعلها في طليعة الدول العربية وجعل من شعبها القدوة التي تتطلع اليها كافة الشعوب العربية وأصبحت بعد مناداتها بالوحدة العربية وبالاشتراكية قبلة العناصر الطليعية في كل أجزاء الوطن العربي. واصبحت الجمهورية العربية السورية تمارس بعد عام ١٩٤٥ سيادتها كاملة في جميع المجالات الداخلية

---

٣ - احصاء عام ١٩٦٠.

والدولية، الأمر الذي ميزها عن بقية الدول العربية المستقلة وأكسبها تأييد الشعب العربي كله.

ب ـ أصبح للحرية والديمقراطية في سورية تقاليد عريقة، فالدساتير الثلاثة التي وضعت بعد الاستقلال، كلها تنص على أن السيادة للشعب وأن الحكم يقوم على مبدأ حكم الشعب بالشعب وللشعب كما كفلت حق الاجتماع وتأليف الجمعيات والاحزاب السياسية ضمن الاطار الديمقراطي، كما اتجهت هذه الدساتير اتجاهاً تقدمياً عندما حددت للملكية وظائفها الاجتماعية. وأقرت مبدأ تحديدها، كما أقرت مبادىء التأميم والضرائب التصاعدية، وفرضت على الدولة أولوية في الموازنة لنشر التعليم الابتدائي والريفي والمهني، تحقيقاً للمساواة بين أبناء المواطنين جميعاً، وأوجبت على التعليم العناية الخاصة بتقوية الشخصية والحريات الأساسية.

ج ـ ان التحرر الكامل من النفوذ الأجنبي منذ عام ١٩٤٥ طبع النضال في سورية بطابع اجتماعي واقتصادي وقد تبلورت الاتجاهات السياسية في سورية منذ الاستقلال حتى تاريخ الوحدة على النقاط التالية:

١ ـ تجمع معظم ممثلي الطبقة الرأسمالية والاقطاعية في حزبين يمينيين وكانت تتعاون تعاوناً وثيقاً رغم التناقضات الطفيفة التي تظهر بين مصالح أفرادها، واتجهت أخيراً نحو التضامن والاندماج عندما قوي تيار القوى التقدمية والشعبية.

٢ ـ انقسمت القوى التقدمية بين حزبين هما حزب البعث الاشتراكي والحزب الشوعي، وكان الأول يمتاز عن الثاني بموقفه من القومية العربية ويكاد لا يختلف عن الحزب الآخر في مناداته بالاشتراكية العلمية، إلا بنظرته إلى التطور الديمقراطي الذي لم يظهر تمسكه الدائم به.

٣ ـ أصبحت القوات المسلحة قوة سياسية فرضها واقع الانقلابات منذ عام ١٩٤٩، إلا انها امتازت بين عام ١٩٥٠ و١٩٥٨ بأنها أضحت أقرب ما يمكن للقوى التقدمية، حتى لقد أصبحت بعد عام ١٩٥٤ من أهم العوامل الاساسية لحماية البلاد من المؤامرات الاجنبية وصيانة النظام الديمقراطي وعاملاً جوهرياً في

تحقيق التوازن بين القوى التقدمية من جهة وبين القوى اليمينية التي تشكل غالبية المجلس النيابي من جهة ثانية . كما كانت عاملاً أساسياً في اتجاه البلاد نحو الوحدة مع مصر.

٤ ـ الشعب، في غالبيته ومعظم مثقفيه وعماله وفلاحيه كان يقف وراء الحكم الائتلافي الذي قام بعد عدوان ١٩٥٦ على مصر، وينادي بالحرية وبالوحدة والاشتراكية وعدم الانحياز.

٥ ـ الحريات مصونة لجميع أفراد الشعب ولجميع المنظمات والأحزاب وكذلك حرية الاجتماع والتظاهر. الأمر الذي أوغر صدر الاستعمار وأعداء الحرية فأخذوا يتهمون سورية بالشيوعية ويخلقون لها المتاعب ويدبرون ضدها المؤامرات.

٦ ـ كانت سورية تتطور بسرعة نحو النمو الاقتصادي المستمر وفي عام ١٩٥٧ أقر المجلس النيابي اتفاقية للمعونة الاقتصادية مع الاتحاد السوفياتي وبدأت الحكومة فعلياً بتنفيذ برنامج للتنمية الاقتصادية بالاعتماد على الميزانية الاستثنائية والاتفاق السوفياتي المذكور (مشروع الفرات والمصفاة والتعدين والبترول).

٧ـ وبالرغم من النفقات الضخمة التي كانت تتحملها سورية بسبب سياستها الدفاعية فانها لم تتخل عن استراتيجيتها الدفاعية القائمة أساساً على : **منع اسرائيل من التوسع لحساب سورية وحماية حقوق العرب في مياه الاردن والمساهمة في الدفاع عن كل بلد عربي ودعم الحركات التحررية**، الأمر الذي رفع ميزانية القوات المسلحة إلى ما يزيد عن ٥٥٪ من مجموع الميزانية العامة.

٨ ـ تبلور الوضع السياسي في سورية في عام ١٩٥٦ على أساس الجبهة الائتلافية التي تؤيدها غالبية الشعب، ويدعمها الجيش، وأصبح هدف الحكم بعد ذلك السعي لارتباط أوثق مع ثورة عبد الناصر والمباشرة بتنفيذ برنامج التنمية الاقتصادية في سورية، والاستمرار بسياسة عدم الانحياز على الصعيد الدولي.

٩ ـ ان موقع سورية الجغرافي وعدد سكانها يجعلانها أكثر ما تكون صلة

بالقومية العربية، وأبعد ما تكون عن عقد الزعامة والتفوق أو الشعور بالنقص، كما ان امكانياتها الاقتصادية حررت السياسة فيها من التبعية وجعلت شعبها ينظر إلى المستقبل بكثير من الأمل والصفاء، وينظر إلى الشعب العربي نظرة من يريد مساعدته في حل مشاكله الاقتصادية والسياسية لا من يريد فتح مجالات أوسع للعيش. ولعل مصدر هذا التسامح المفرط والمثالية الخيالية أحياناً، والاخلاقية المتينه، يستمد كثيراً من هذه الحقائق بالاضافة إلى المنابع الاصيلة الاخرى.

د ـ ان شعور الحكم الائتلافي بقوة التأييد الشعبي ودعم القوات المسلحة له، جعلت القادة فيه يفكرون تفكيراً ثورياً في سياستهم العربية، وعندما التقت حكومة مصر بزعامة عبد الناصر معهم تهيأت الظروف للوحدة، بين البلدين.

الظروف الخاصة التي أحاطت بالوحدة:

كان من الطبيعي ان يتكلم عبد الناصر باسم مصر ويعلن قبوله بمبدأ الوحدة، بحكم نظامه القائم والظروف التي يعيش فيها الشعب في مصر. أما نجاحه في املاء شروطه بالوحدة فلم يكن طبيعياً وان كان منطقياً بسبب نظام الحكم في سورية من جهة وبسبب الشكوك والمنافسات الخفية التي كانت قائمة بين عناصر القوى المكونة للحكم الائتلافي، **وبسبب اختفاء قوة المعارضة من المسرح** الفعلي للسياسة قبيل الوحدة، **بعد اتهام بعض قادة حزب الشعب والحزب الوطني وغيرهم بالخيانة العظمى**.فنظام الحكم يجزىء المسؤولية بين رئيس الجمهورية والحكومة والمجلس النيابي وحقيقة القوة السياسية تدخل عنصراً فعالاً هو الجيش، كما يعطى التأييد الشعبي لاحدى فئات الحكم الائتلافي وهي حزب البعث الاشتراكي، يعطيه قوة أضخم بكثير من مساهمته في الحكم، الأمر الذي يحصر القرار الحاسم في الشؤون السياسية الجوهرية، بيد حزب البعث من جهة وبين يدي قادة الجيش، وهذه حقيقة ثانية استمرت أكثر من عشر سنوات في سورية بين

عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٨ . غير أن الصورة ليست بهذه البساطة ، فالجيش تسيطر عليه قوتـان بينهـما بعض التناقضات رغم وحدتها الفكرية وتطابق أهدافهما ، والجماهير الشعبيـة بدأت تحتقن بالحقـد على الـدول الاستعـمارية وامـريكا وتزداد تعلقاً في اسطورة عبد الناصر، المناضل العربي الأول ضد الاستعمار وضد النفوذ الاجنبي والذي يرفع شعار القومية العربية والاشتراكية كما أخذت تحمل كل العطف على مواقف الاتحـاد السـوفيـاتي ، وبهذا تبدلت نظرتها للحزب الشيوعي وللشيوعيين.
ومن هنـا في اعتقـادي أخـذت الأمور السياسية تتحرك تحت ضغط شديد من هذه العـوامـل المتنـافـرة ، ومن هنا أيضاً استطاع عبد الناصر ان يستغل ظروف سورية ويتظاهر بالمثالية والتأفف ، كما استغل آثار عدم الثقة بين السياسيين من جهة (وهنا يجب أن نقـولهـا صريحـة ، كل السيـاسيين) وبين قيادة الجيش ، فأوهـم كلاً منهما بأنه موضـع ثقتـه وانـه لا يوافق على الـوحـدة إلا بعد موافقته ووعد السياسيين بابعاد الجيش نهائيـاً عن السيـاسـة ، كما وعـد العسكريين بخلق قوة عسكرية تحقق آمال العـرب وتعيـد لهم حقـوقهـم وثقتهم بنفسهم وتدعم حركات التحرر في كل الوطن العربي ، وتحمي وتطور مكاسب الشعب ، وكذلك بإقامة الحكم على أسس علمية حديثـة هدفهـا استثـمار امكانية البلاد البشرية والمادية لرفع مستوى الشعب وتحرير أفراده وتصنيع البلاد واستغلال ثرواتها ، والعمل لبناء مجتمع اشتراكي ترفرف عليه العدالة والمساواة والكفاية .

ومن هنا ، ويجب ان نعترف ، دخل عبد الناصر إلى قلوب القادة سياسيين وعسكريين الذين بيدهـم مصير الشعب في سورية فإذا بقوتهم التي ناضلوا بها ضد الاستعـمار وعمـلائـه ، وضـد الـرجعيـة التي حاولت احتكار السلطة طوال عشر سنوات او يزيد ، فإذا بقوتهم تنقلب إلى ضعف وحذرهم يتحول إلى اطمئنان ، وآمالهم تتجلى على شكل حقيقة وتتجسد كلها بالوحدة بزعامة عبد الناصر . ولم يخطـر ببـال أحـد منهم أنهم يفـرطـون بأهـداف شعبهم أو مسؤوليـاتهم تجاه هذا الشعب عنـدمـا تعـاقـدوا مع عبد الناصر . ولم يفطن رجال سورية وقادتها ـ وهذه حقيقـة مؤلمـة ومؤسفـة ـ بان المصير لن يكـون بيـدهم بعـد ان اصبح بيد عبد

الناصر، كما لم يقدروا خطورة دخولهم من أبواب متفرقة على عبد الناصر مما أتاح له اخذ المبادهة بيده وحده، والسير بالوحدة بفلسفة ناصرية واضحة المعالم والأهداف، والابتعاد تدريجياً عن اهداف الوحدة الحقيقية التي أرادها الشعب في سورية وايدها الشعب العربي في بقية البلدان الأخرى وتجاوب معها في البداية وتعاقد معه عليها ممثلو الشعب في سورية في مطلع عام ١٩٥٨. وتبين لهم فيما بعد أن المخطط الناصري يهدف للقضاء على الجهاز السياسي والعسكري في سورية والسيطرة على الاقتصاد والتجارة وربطهما بعجلة الاقتصاد المصري.

وكان أبرز النقاط التي انطلق منها الانحراف بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة هي:

١ ـ النظام الرئاسي الذي أعطى للرئيس السلطة المطلقة.

٢ ـ حل الاحزاب والمنظمات السياسية والنقابية والتعويض عنها بالاتحاد القومي.

٣ ـ تخويل الرئيس حق تعيين أعضاء مجلس الأمة.

٤ ـ عدم تحديد صلاحيات نواب الرئيس والمجالس التنفيذية والوزارة المركزية.

٥ ـ عدم النص في الدستور على تشكيل «لجنة الوحدة» التي ترسم سياسة ومراحل الوحدة وتشرف على تنفيذها.

٦ ـ عدم النص على التكافؤ بين الاقليمين.

٧ ـ عدم تحديد الفترة الانتقالية.

وبالاختصار فان مخطط عبد الناصر كان يهدف إلى القضاء على الأجهزة السياسية والاقتصادية والعسكرية وهدم النظام الاجتماعي السياسي الدائم.

وهكذا لم يمض إلا وقت قصير على قيام الجمهورية العربية المتحدة يكاد لا يتجاوز الشهر حتى ظهر ان السلطة الفعلية في الدولة قد تركزت في القاهرة بشخصية الرئيس وان المجلس التنفيذي في الاقليم الشمالي ونواب الرئيس ليس بيدهم أية صلاحيات حتى في نطاق اختصاصاتهم عندما يتعلق الأمر بالتنسيق بين

الـوزارات أو التخطيـط والبت في الأمـور الجـوهـريـة . وظهـرت منذ الأيام الأولى محاولات خطـيرة غير دستـوريـة من قبل بعض العناصر غير المسؤولة من موظفي الاقليم الجنوبي المنتدبين في الاقليم الشمالي من أمثال محمود رياض وعبد المحسن ابـو النـور، وعدلي حشاد وغيرهم . . أو القادمين اليه بمهمات موقتة، وكانت كلها تهدف إلى اقامة سلطة عليا من المصريين تقف بين الرئيس المقيم في القاهرة وبين نوابـه وأعضـاء المجلس التنفيـذي وبـالتـالي تتحكم بالشعب السوري في الاقليم الشـمالي، وأعطـى هؤلاء لانـفسهم أو أعطي لهم حق مراقبـة أعـمال المجلس التنفيـذي والنظـر في قراراتـه وحصـر الاتصال بالرئاسة بهم، حتى لقد وصل الأمر بالسيـد محمـود ريـاض مستشـار الـرئيس لشؤون الاقليم الشـمالي إلى حد ممارسة صلاحيـات الـرئيس نفسـه بالنسبـة للكثـير من القضايا الادارية والسياسية، كما وصـل الأمـر بالمستشـار العسكـري العميد عبد المحسن ابو النور درجة حاول فيها حبك المؤامرات والدسائس بين الوزراء بالاضافة إلى عمليات التخريب بالجيش وممـارستـه للقيادة الفعلية للقوات المسلحة السورية مستغلا ضعف قائد الجيش الأول المعروف

وعنـدما وقعت ثورة العراق، ونزلت القوات الأمريكية والبريطانية في كل من لبنان والاردن، وتعرضت سلامة الأقليم الشمالي للخطر الأكيد، كان الرئيس غائباً في يوغـوسـلافيـا، ظهـرت لأول مرة تلك الحقيقـة الهـامـة وهي أن نواب الـرئيس والوزراء في الاقليم، وكذلك ممثلو الرئيس في القاهرة ليس لديهم من الصلاحيات ما يمكنهم من المبـادرة بالـدفـاع عن النفس في حالـة العدوان الفعلي على الاقليم الشـمالي، ولم يكن لأي من هؤلاء الصـلاحيـات التي تمكنه حتى من مجرد التعليق على هذا الحدث الخطير الذي يعرض الشعب في سورية لافظع المخاطر كما يعرض المنطقة كلها لأهوال الحرب بل الفناء .

ومـرت هذه الأزمـة وتلتهـا أزمـات كثـيرة في العـلاقات مع العراق والاردن ولبنان والسعودية بل ومعظم الدول العربية، وتعرضت مصالح الاقليم الاقتصادية للخطـر، بل لقـد وصـل الأمـر في كثـير من الاحيان إلى قطع العلاقات التجارية والاقتصـاديـة مع هذه الـدول المجـاورة دون أن يكـون لأحـد من الاقليم رأي في

ذلـك، وتعـرضت حقـوق الاقليم مع شركـات النفط الأميركية للضياع، وعندما حاول المجلس التنفيذي اتخاذ المبادهة للدفاع عن هذه الحقوق، اعتبر ذلك تجاوزا على صلاحيـات الـرئيس وحرم عليه البحث في مثل هذه الشؤون وحصر شؤون البـترول فيـه شخصيـاً. وعنـدما حاول المجلس تنفيذ السياسة الاقتصادية المتفق عليهـا مع الـرئيس، فوافق على قرار وزيـر الاقتصـاد بتقنـين الاستيراد لحمايـة الصنـاعـة، وتـوفـير العملة الصعبـة لمشاريع التنمية، وصل الأمر إلى حد مهاجمة المجلس التنفيـذي بكـامله ونـواب الـرئيس بالصحف المصرية علناً. وفي مجالات اخرى تتعلق بسياسة التعليم وتبادل المعلمين والطلاب ظهر جليا ان السلطة العليا لا تسمـح بمشـاركـة الـوزراء السوريين برسم هذه السياسة وانها ترغب في ارسال سيل من المعلمين المصريين إلى سورية دون فكرة المبادلة. وعندما لفت انتباه وزير الـتربيـة السيـد كمال الدين حسين لاثر ذلك على الوحدة وعلى ازدياد البطالة من المتعلمين في سورية اعتبر ذلك بادرة غير مقبولة ورفع شكوى بذلك للرئيس متهما بعض الـوزراء بالاقليميـة. وفي موضـوع الصحـافة ظهر ان الغاية الاساسية هي مكافحة الصحافة السورية رسمياً لحساب الصحف المصرية، حتى لقد اصبحت ميزانية الدولة تتحمل نفقات نقل الصحف المصرية لسورية وتوزيعها على الباعة في دمشق مع الصحف الصبـاحيـة. وعنـدما عرضت أول ميزانية للاقليم الشمالي على الـرئيس واقـترح عليه توزيع ميزانية الدفاع بنسب عادلة بين الاقليمين ذلك لأن حصـة الـدفـاع الوطني في ميزانية الاقليم الشمالي تصل إلى ٥٥٪ بينما لا تزيد حصة الدفاع في ميزانية الاقليم الجنوبي عن ١٧٪ وكان القصد من هذا الاقتراح توفـير مبلغ ١٠٠ مليـون ل. س لانفـاقـه على الخـدمـات والتنمية في مطلع عهد الـوحـدة، تظـاهر الرئيس بالموافقة على المبدأ وطلب إلى الحكومة اخذ ٢٥ مليون ل. س من ميـزانيـة الـدفاع في الاقليم الجنوبي، غير انه ما لبث بعد ايام قليلة ان فاجأ الـرأي العـام بنـدائـه المشهـور حول انهيـار الـوضـع المالي في الاقليم الشمالي واضطـراره لتغطيـة عجـز الميزانية بمبلغ ٢٥ مليون ليرة سورية من ميزانية الاقليم الجنوبي، وكان ذلك معناه ان الوحدة بين الاقليمين دخلت في محنة عندما صورها

الرئيس بالذات على انها عبارة عن انقاذ لسورية من الافلاس. ولم يلبث فيما بعد حتى وصفهـا بحـديثـه مع الصحفي الهنـدي كراتجيا: على انها انقاذ لسورية من مؤامرة شيوعية.

ورافق ذلـك محاولات متعـددة لوضـع عقبات شتى أمام المجلس التنفيذي كمجمـوعـة وأمـام الوزارات في الاقليم الشمالي وافشال العناصر القيادية السورية المساهمة في الحكم واظهارهم بمظهر العاجز، حتى لقد أصبح معظم المواطنين في الاقليم يفتشـون عن مصـالحهم بين أوسـاط المـوظفـين المصـريـين أو في القـاهرة لقنـاعتهم بعـدم فعالية المجلس التنفيذي ونواب الرئيس، بالاضافة إلى محاولات من نوع آخـر لبـذر الشقاق والشكوك بين أعضاء المجلس التنفيذي، وزرع الفتنة بينهم بشكـل أصبـح بعـده مظهر الحكم عرضة للسخرية. . وأصبح الانسجام في نطـاق المجلس التنفيـذي كمجموعة، معدوماً تماماً، ولم يعد سراً أن هذه السياسة ليست من وضـع المسؤولـين من المـوظفـين المصـريـين، وإنما هي عبارة عن خطة سيـاسيـة رسميـة واضحـة يستخـدم لتنفيـذهـا عنـاصـر غير مسؤولـة من أمثـال ريـاض وأبـو النور والسراج لكي يتمكن من التنصل منها. وبهذا يمكن تصور الجور الـذي كان على الـوحدة بين الاقليمين أن تسير فيه، وكيف كان الوزراء السوريون يبذلون أقصى جهودهم لتكذيب الشكوك والشائعات ويثبتوا للشعب فعالية العهد أثنـاء الـوحدة، ويبرهنوا للشعوب العربية المجاورة ولاعداء الوحدة، الفوائد التي تنطـوي عليهـا الـوحـدة وأسلوب الحكم الثـوري فيهـا إلا ان محاولاتهم كأفـراد وكمجمـوعـة باءت بالفشـل الـذريـع بسبب الاصـرار على هذه السيـاسة وعدم الاصغاء للمسؤولين السوريين.

تشكيل الحكومة المركزية او الفصل الثاني من المسرحية:

وأخـذت الأمور تتردى وتسوء يوماً بعد يوم وبدأت خطط عبد الناصر تتجلى لأعين العناصر الواعية الذي حدا به إلى مواجهة هذا التحرك بالرأي العام إلى قمع

كل بوادر النقد بواسطة المباحث والمخابرات والدعاية والارهاب، وبتصفية القوات المسلحة . . وعندما نوقش الأمر مع الرئيس بصراحة، وعد بمعالجة هذه الأوضاع التي تعتبر طبيعية على حد قوله في بداية الوحدة.

وبادر إلى تشكيل الحكومة المركزية التي أعلن بأنها ستملأ الفراغ القائم بين الرئيس والمجالس التنفيذية في الاقليمين، وتشارك الرئيس في معالجة مشاكل الوحدة، كما تساهم مع الرئيس في وضع الخطط السياسية والاقتصادية والاجتماعية للاقليمين، بشكل يساعد على انهاء الفترة الانتقالية والتمهيد للدستور الدائم، وانجاز بعض التشريعات والاعمال الهامة للاسراع بالتطور والتنمية في الجمهورية والسير نحو تحقيق الوحدة الفعلية بين الاقليمين.

غير أن الوقائع أثبتت ان الوزارة المركزية لم تكن الا ستاراً يخفي وراءه حقيقة الاستمرار في السياسة القديمة، ألا وهي الاصرار على عدم مشاركة احد من السوريين في رسم السياسة في الجمهورية.

وظهر بشكل ملموس لا يقبل الشك ان هناك سياسة مرسومة للوحدة تمتاز بتبعية الاقليم السوري للاقليم المصري وعدم المساواة بين مواطني الاقليمين، وكذلك عدم المساواة بين المسؤولين في الاقليمين. والدلائل على ذلك كثيرة منها أن جميع الوزارات الأساسية التي تجسد السلطة الفعلية في الدولة اختص بها المصريون، كالدفاع والخارجية والاقتصاد والخزانة والتربية والتعليم والتخطيط، كما حرم على السوريين دخول القصر الجمهوري كمسؤولين وأصبح التمثيل في المؤتمرات الدولية والبعثات الخارجية احتكاراً للمصريين وحدهم . . أما في الجيش فسرعان ما اتضح ان السياسة مبنية على التمصير المطلق بعد تصفية جميع الضباط والنقباء وخريجي المدارس العسكرية السورية واعتبار المواطن السوري في كل الميادين غير موثوق به. ومن هذه القاعدة انطلقت مبادىء التعامل مع الموظفين السوريين في شتى الوزارات وحتى في الاقليم الشمالي نفسه. كان ذلك يجري في جو من الارهاب والكبت الذي عم الاقليم بحجة مكافحة أعداء الوحدة والاخطار الشيوعية وغيرها. ورفع شعار الخيانة والتآمر على الوحدة في وجه كل

العناصر الواعية واتجه القمع والارهاب تدريجياً نحو مؤيدي الوحدة الصحيحة حتى أصبحوا أخطر العناصر في نظر السلطات بعد عام ١٩٥٩ .

وفي هذا الجو جرى تصفية الاحزاب والمنظمات النقابية والصحافة والجيش وأعيد تنظيم جهاز أمن الدولة وأقيمت أجهزة جديدة متعددة منها ما هو مرتبط بالرئاسة مباشرة ومنها ما يدار بواسطة بعض العسكريين والموظفين المصريين، ونظمت شبكات للتجسس غطت مدن وقرى الاقليم قوامها المعلمون المصريون والموظفون المنتدبون والمراكز الثقافية في المحافظات والضباط المصريون في الوحدات، الخ . .

وأصبح جهاز الأمن من الضخامة والرهبة بشكل أشاع الذعر في نفوس المواطنين كبيرهم وصغيرهم .

انتخابات الاتحاد القومي او الفصل الثالث من المسرحية :

وكانت أخطر الاجراءات وأبعدها أثراً انتخابات الاتحاد القومي، التي كانت وسيلة لتفكيك عرى الروابط الفكرية والعقائدية واحياء العنعنات والروابط العنصرية والطائفية والمحلية والعائلية، وظهر جلياً أن هذه الانتخابات كانت توجه من قبل عناصر المخابرات المصرية مباشرة، وهدفها القضاء نهائياً على العناصر القوية المساهمة في الحكم وعزلهم تماماً عن الشعب واجتثاث جذور الأحزاب الوطنية وهذا اخطر ما قامت به الوحدة من تخريب باقامة قاعدة شعبية قوامها العائلة والعنصر والطائفة ولا يجمعها هدف أو مبدأ أو مثل أعلى بل تستوحيها من الغرائز والعواطف البدائية والتقرب من السلطة والانتفاع، وبذلك تلقى المجتمع في سورية أعظم ضربة وأصيب بنكسة أعادته إلى الوراء أكثر من ربع قرن عندما اجتثت جذور الأحزاب والمنظمات النقابية والمهنية وجمدت الحريات .

تشبث الرئيس بسياسته وحكمه المطلق :

ولم يقبل الرئيس أي مناقشة أونصيحة في كل من هذه المواضيع ، بل ثابر في سياسته حتى أجهز على كل مكتسبات الشعب في سورية ومنجزاته خلال نضال استمر اكثر من نصف قرن ، وقد استنفذ بعض الوزراء السوريون في مصر كل السبل لايقاف هذه السياسة المخربة للوحدة ، وعندما أيقنوا استحالة عدول الرئيس عن خطته قرروا الخروج من الحكم والرجوع إلى الشعب الذي من حقه وحده الحكم لهذه السياسة أو عليها . واليوم وقد مضى أكثر من عام على استقالة الوزراء السوريون من الحكم[4] دون أن يعلم الشعب ملابسات هذه الاستقالة وأسبابها الاصيلة ، ودون أن يتراجع جمال عبد الناصر عن سياسته التي أصبحت واضحة لدى كل المواطنين من عمال وفلاحين وتجار واقتصاديين ومثقفين ، والتي تهدف إلى جعل سورية مجالاً حيوياً واقتصادياً لمصر ، وقتل كل ملكات وامكانيات الشعب العربي في سورية وتحويله إلى قطيع . اليوم لا بد من وضع الحقيقة كما هي أمام الشعب رغم كل ما يحوط ذلك من مخاطر وارهاب لأن واجبنا تجاه هذا الشعب العظيم وتجاه أمتنا العربية وتجاه ضمائرنا ، كما ان مسؤولياتنا تجاه مبادئنا وتجاه التاريخ تقضي كلها بذلك ، كما تحتم علينا وضع الحلول الملائمة لتقويم هذه الانحرافات بالوحدة والتمهيد بالفعل لاقامة المجتمع الاشتراكي العربي الذي تناضل جماهير شعبنا من أجله . وأرجو ان يوفقني قلمي وذاكرتي إلى سرد الوقائع والاحداث التي رافقت الوحدة وأدت إلى انهيار حكم عبد الناصر في سورية .

---

٤ ـ ارجو الانتباه إلى ان تاريخ هذه الصفحات يعود إلى اوائل عام ١٩٦١ .

الجزء الثاني

وحدة النضال ـ او مقدمات الوحدة

اول مقابلة مع جمال عبد الناصر:

عينت عضواً في الوفد السوري الذي ذهب إلى مصر برئاسة السيد سعيد الغزي رئيس الوزراء وعضوية الاستاذ رشاد برمدا وزير الدفاع في ١٩٥٥/١١/٧ لتوقيع الاتفاقية الثنائية بين سورية ومصر. وقد استقبلنا في المطار السيد عبد اللطيف البغدادي والمشير عامر وبقية الوزراء. وقد حل الوفد في قصر الطاهرة. وكان نصيبي مع العقيد جمال فيصل الملحق الصغير لقصر الطاهرة وهو جزء جديد متمم للقصر كانت تقيم فيه الاميرة فوزية. كما كان فاروق يقضي فيه أمتع أيامه. ولأول مرة في حياتي تتفتح عيني على مدى البذخ والترف الذي كان يغرق فيه ملك مصر السابق وأفراد أسرته.

وفي المساء ذهبنا إلى مقر رئاسة مجلس الوزراء في شارع القصر العيني واستقلنا الرئيس جمال عبد الناصر في مكتبه وبعد حوالي ساعة عقد اجتماع مشترك ضم عدداً من الوزراء المصريين برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر والوفد السوري ممثلاً عن الجمهورية السورية. وتم في هذا الاجتماع توقيع الاتفاقية الثنائية. وقد لاقى الوفد كل ترحاب ووضعت كل الوسائل تحت تصرفنا لتسهيل الاقامة والمتعة في القاهرة. وأهدى الرئيس الأوسمة لاعضاء الوفد. وكان يشد على يدي بحرارة وقوة ويسألني عن اخواني وكأنه يعطيني اهتماماً خاصاً.

وبعـد أسبـوع عاد السيـد الغـزي إلى دمشق وصـدر قرار من وزير الدفاع بتعييني وجمال فيصل في القيادة المشتركة التي أعلن عن انشائها فور توقيع الاتفاقية وأعطيت القيـادة العـامـة للجيشين السوري والمصري للفريق عبد الحكيم عامر. فانتقلنـا من قصـر الطـاهـرة وانتهت أيام النعمة. . ونزلت موقتاً في احد الفنادق بمصـر الجـديـدة الى ان استأجـرت شقة هناك ونقلت جميع أفراد عائلتي قبل نهاية عام ١٩٥٥ إلى مصر.

ولم تتح لي الفرصة للاستماع إلى الرئيس جمال عبد الناصر غير أنني وجدت نفسي سعيداً جداً بالتعرف على قائد الثورة المصرية واعضاء مجلس الثورة وخاصة المشـير عامـر بعـد ان كان الاعجاب يملأ قلبي وقلوب رفاقي الضباط السوريين بالانجازات التي كنا نسمع عن تحقيقها على يد هذه الثورة في مصر. واخص منها بالذات اتفاقية الاسلحة مع الاتحاد السوفياتي التي عملنا على عقد اتفاقية مثلها بين سوريـة والاتحـاد السـوفيـاتي وبـدأنا نعتقد بأن عقدة الشعور بالنقص أخذت تنحل بين المواطنين عامة والعسكريين على وجه الخصوص. لأننا كنا نرى ونسمع عن تدفق الأسلحـة الى اسـرائيـل من الـدول الغربية وكذلك المعونات المالية من امريكا والمانيا الاتحادية ونشهد الإعتداءات الاسرائيلية الغربية على مصر والاردن وسـوريـة في كل أسبـوع بل كل يوم، حتى كاد الشعب يفقـد ثقته بنفسه، كما أثر ذلك كثيراً على معنويات الجيش. وزاد في كراهية الشعب للغرب والحقد عليه.

أول اجتماع مع المشير عامر:

كان ذلـك في مكتبـه بحضـور محمـود فوزي وزير الخارجية المصرية والسيد سعيـد الغـزي رئيس الـوزارة السـوري ووزير الدفاع الاستاذ رشاد برمدا والعقيد جمال فيصل، وكان الاجتماع نتيجة عقد الاتفاقية ويهدف إلى حصر حاجة الجيش السـوري من المعـدات والمسـاعـدات لكي تزداد قوتـه الـدفاعية تجاه الاعتداءات الاسـرائيليـة المتكـررة. وكـان اهم ما نحتـاجه في ذلك الوقت هو المدفعية المضادة

للطـائـرات والطائرات المقاتلة لمنع اختراق الجو السوري من الطائرات الاسرائيلية وتـدعيم الـدفـاع الجـوي عن سوريـة لرفـع المعنويات خاصة بعد ان تأثرت قليلاً نتيجة حادثة طبر يا.

والحقيقـة انني كنت أتصـور انـه سيلبي طلبنـا بارسـال عدد من الطـائرات «ميج» لسوريا وكمية من المدفعية المضادة ريثما تصل الأسلحة التي تعاقدت عليها سورية من الاتحاد السوفياتي ولم يكن يدور بخلدي أن هذه الأمور ليست بالسهولة التي أتخيلهـا فهي مرتبطـة في عوامل سياسية واقتصادية كثيرة. كما كنت أتصور أن الجيش المصـري أصبـح من القـوة بدرجـة يستطيـع معهـا الـدفـاع عن مصر ضد اسرائيل ومساعدة سورية بكل ما تطلبه. غير ان هذه الفكرة بدأت تزول تدريجياً كلما تعمقت في معرفة القوات المسلحة المصرية واعترف بان الفرصة لم تكن متاحة لي بسهـولـة فقـد استغـرق ذلك التطور وقتاً طويلاً استمر معظم عام ١٩٥٦ حتى فترة ما قبـل العـدوان الثـلاثي عنـدمـا تبـين لي نتيجة المناقشات الصريحة ان عدد القـوى الـبر يـة والجـويـة غير كاف وان مستـوى التدريب على الأسلحة الحديثة منخفض وان قسماً كبيراً من الطائرات «الميج» ليس لها طيارون ولا ملاحون كافون.

في القيادة المشتركة:

خصص للقيـادة المشـتركـة عدد من غرف القيـادة العامة للقوات المسلحة المصرية. وعين اللواء سيف اليزل خليفة[1] رئيساً للأركان ومعه بعض الضباط غير المتفرغين أبرزهم العقيد محسن ادريس وهو من مكتب القائد العام.

ومضت أكثـر من ثلاثـة شهور لا عمل لنا فيها اطلاقاً حتى بدأ يتسرب اليأس إلى قلبي، وكثـيراً ما كنت اصـارح الضبـاط المصـريـين بأن القيـادة والضبـاط السـوريـين وكـذلـك الحكومة السورية تنظر إلى القيادة المشتركة بغير النظرة التي ينظر إليها المصريون وانهم لو عرفوا الحقيقة لتأثرت العلاقات بين الجيشين بل بين

١ ـ وهو الآن سفيراً للجمهورية المتحدة في السودان.

البلدين. ولاحظت ان فكرة العروبة وفكرة التعاون الجدي بين مصر والدول العربية ليست موجودة جدياً في رأس الضباط القادة الذين كنا نقابلهم، وأن جميع الضباط في القيادة المصرية لا يعرفون المقصود من تشكيل القيادة المشتركة، ولا يأخذون العمل فيها مأخذ الجد، بل ان معظمهم لا ينظر إليها إلا انها وسيلة لهم لكي يخرجوا بفسحة إلى سورية بحجة هذه القيادة فيتاح لهم اخذ تعويضات ضخمة وشراء «الحاجات» الحلوة من دمشق.. وهكذا.. أما العمل الجدي في القيادة فلم ألمسه اطلاقاً طيلة وجودي في هذه القيادة وحتى قبيل العدوان.

لقد كانوا يدعون بأن القائد العام غير متفرغ وانه سوف يخصص الوقت الكافي للقيادة وانه سيخصص مقر خاص لها، وحجج اخرى واهية كادت تقضي على كل جذوة حماسنا وايماننا بجدوى هذه الاتفاقية العسكرية مع مصر.

وأخيراً خصص مقر جديد للقيادة المشتركة ودخلت اليمن والسعودية وبالتالي الاردن في هذه القيادة. وكنا نقرأ ونسمع عن نشاط سياسي كبير في حقل التعاون العسكري بين جيوش هذه الدول، وكان المسؤولون في كل دولة يعلنون في تصريحاتهم عن أهمية القيادة المشتركة ودورها في الدفاع عن الأمة العربية ضد الصهيونية وكنت ألتفت حولي في القيادة فلا أجد إلا البناء الضخم والاثاث الفخم الذي صرف عليه آلاف الجنيهات، والا الصحف والمجلات المصورة يقرؤها الضباط الذين يعينون في مكاتبهم المريحة ويبحثون في كل شيء ما عدا المهمة التي كان من المفروض ان يقوموا بها.

وكنا نعجب من هدا الموقف ولا نستطيع معرفة أسبابه حتى لقد بدأ الضباط المصريون يخجلون من مواجهتنا ويتهربون من الخوض في الاحاديث الجدية حول الموضوع. وكثيراً ما كنا نلجأ إلى بحث بعض الحوادث والاعتداءات التي تقع على الحدود العربية ونضع المذكرات ونبين آراءنا ومقترحاتنا ويأخذ رئيس الاركان هذه التقارير والمذكرات ويدعي بأنه سيناقش بها القائد العام. ولكن الوقت يمضي ولا نرى ولا نشعر بنتيجة جدية.

ووقعنا في حيرة من أمرنا بالنسبة للقيادة السورية التي أرسلتنا لنمثلها في

مصـر، ونخجـل من حماسنـا الـذي يتحـول إلى عدميـة مستمـرة في أبهـاء القصر الضخم الـذي نقيم فيـه والـذي كان فيما مضى معهداً للصحارى. . فتحول إلى قيادة عليا للجيوش العربية المتعاقدة.

وعنـدمـا كنـا نجتمـع بزمـلائنـا الضباط السوريين وبرئيس الاركان اللواء شوكت شقير كنا نشكو لهم من عطالة القيادة وكثيراً ما حرضت اللواء شقير لبحث الموضوع جدياً مع المشير عامر، ولكن الابهة التي يحاط بها عندما يزور مصر كانت تعقد لسانه اذا لم تكن هناك أسباب اخرى أجهلها.

الاجتماع الثاني مع عبد الناصر:

كان ذلـك في منـزل المشير عامر ولم يكن هنالك سوى الزعيم شوكت شقير والعقيـد ريـاض كيلاني والعقيد جمال فيصل والمقدم جودت أتاسي وأنا من سورية والمشير والرئيس. وقد دعينا على عشاء خاص لنتعرف على الرئيس عبد الناصر، وكم كان لهذا الاجتـماع من أثـر عميق في نفسي عنـدمـا كنت ورفاقي نستمع إلى الـرئيس وهـو يتحـدث بطـلاقة المؤمن وبعقلية الثوري المتحمس وبهدوء وثقة عن ذكـريـاتـه في فلسطـين ثم عن الثـورة، وعن محاولات الضغـط عليه لكي يتجنب التعـاون مع العالم العزبي ويبتعد عن القومية العربية، ويتجه اتجاهاً آخر، واصراره على عقيـدتـه. غير انـه لم يقبـل النصـائـح ولا الاغراءات ولا الضغط لأنه يؤمن بالقومية العربية وبالمصير الواحد للأمة العربية وان مصر جزء لا يتجزأ منها وانها لا يمكن ان تحافظ على حريتها الا بالتضامن مع الدول العربية.

ثم تحدث عن ثورتـه الاجتـماعيـة والاقتصـادية والسياسية وكان كأنه ينطق بلسان كل منا وهو يتحدث عن فساد الملكية في مصر وعن الاقطاع وعن أهدافه في اقـامـة العـدالـة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وبناء مجتمع جديد ينفض عنه غبـار الظلم والخـوف من الجـوع والمرض والجهل ويحرر الطبقة الكادحة من العمال

والفـلاحـين ويتيـح لهـم الفرصة لكي يشاركوا في رسم مصيرهم ويتمتعوا بالحقوق والمستوى المعيشي اللائقين.

كنت كأنني في حلم أستعـرض الآمـال التي كانت تعيش منـذ طفـولتي في مخيلتي وأجدها وقد أصبحت حقيقة بعد ان تجسدت كلها في هذا البطل الثائر جمال عبد الناصر وان الأمة العربية قد وجدت البطل الذي سيقودها في معركة مصيرها الـواحـد نحـو التحرر والوحدة، والتطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وان الثـورة التي تعتمـل في صدر كل شاب منـا تملؤ قلب جمال عبـد النـاصـر الشـاب الأسمـر القـوي الـذي يقـود ثورة عربيـة أصيلة في مصر بعد ان كادت مصر تطلق العـروبـة إلى الأبـد. . هكـذا رأيت جمال عبـد النـاصـر. وقد أثبت ما استطعت تلخيصـه من حديثـه في مفكـرتي في نفس اليـوم وقبـل ان انام. وارسلت ملخصه للقيادة العامة للقوات المسلحة السورية بدمشق.

اللواء شوكت شقير يضيق بي ويطلب نقلي من القيادة المشتركة:

وما ان عاد اللواء شقير حتى طلب رسمياً من المشير الاستغناء عني ونقلي من القيادة المشتركة لاعتقاده بأنني لا أتقيد بالحدود العسكرية التي رسمتها لي القيادة، بعـد ان لاحـظ صلتي بالمشـير والـرئيس واعتقد بأنني همزة وصل بينهما وبين رفاقي الضبـاط، ولم يرق له هذا الأمـر بعـد أن تأكـد من ان جمال فيصـل لا يستطيـع ان يوجهني في مصر.

غير انـه لم ينجـح في هذا المسعى، اذ اصـر النفوري وحنيدي وطعمة على بقـائي وكـانت لهـم معـركة كلامية معه، ولعل هذه الحادثة كانت بدء تزعزع الثقة بيننـا وبينـه كما كان ذلـك بالنسبـة لرياض الكيلاني الذي كان يطمع في لعب دور سيـاسي على حسـابنـا مستغـلاً مركزه بالشعبة الثالثة، كما كان يطمع في التعيين في القيادة المشتركة بمصر.

ومضت سنة في القيادة المشتركة لم ننتج فيها أي شيء بل كنا نشترك في المراسم والاحتفالات كواجهة براقة للتعاون العسكري بين الدول العربية المتحررة (هكذا). . . وكدليل مادي على هذا التعاون لاغاظة الدول العربية الأخرى مثل لبنان والعراق والاردن والسودان وغيرها. . بالاضافة إلى استغلال هذه القيادة العسكرية بالدعاية لصالح زعامة عبد الناصر.

العدوان الثلاثي:

وفي نهاية شهر تشرين الأول ١٩٥٦ قدمت مع المشير إلى دمشق وقد مر على الاردن بعد توقيع الاتفاقية معها ورداً لزيارة اللواء علي أبو نوار وفوزي الملقي لمصر. وما ان انتهت الزيارة حتى فوجئنا بالعدوان الاسرائيلي يوم ٢٩ تشرين اول ١٩٥٦ وفقدان الطائرة المرافقة للمشير والتي كان من المفروض عودتي بها إلى مصر حتى لقد اعتقد الكثيرون انني فقدت معها. بينما كنت قد سافرت مع المجموعة الأولى من القوات السورية إلى الاردن كرئيس لاركان هذه المجموعة. وبقيت طيلة فترة العدوان في الاردن.

تبين صباح يوم ١٩٥٦/١٠/٣٠ ان نزول المظليين في «ممر متلا» في صحراء سينا كان مقدمة لهجوم اسرائيلي شامل على سيناء. واذاعت المحطات الانكليزية والفرنسية انذاراً موجهاً إلى الحكومة المصرية والحكومة الاسرائيلية لوقف اطلاق النار، وكان من الواضح ان المقصود به هو التدخل المباشر بالهجوم على منطقة قنال السويس. واصبح واضحاً للعالم ان بريطانيا وفرنسا واسرائيل تشترك في هجوم على مصر لاستعادة قاعدة السويس والقضاء على ثورة جمال عبد الناصر. ومن الجدير بالذكر انني عندما كنت في مصر لم أكن ألاحظ ان المصريين يتوقعون جدياً هجوم الانكليز والفرنسيين على مصر، وكان ضباط القيادة الذين يعملون معنا يعتبرون التهديدات والحشد في المتوسط من قبل فرنسا وانكلترا أسلوباً من

التهـديـد والضغط ولم يتصوروا أبداً ان عدواناً مسلحا سيقع عليهم . وكان العمل يجري على أساس هذه الفرضية . ولذلك كان معظم الجيش المصري شرقي قنال السـويس ولم يكن الاحتيـاط مجهـزاً ومـدربـاً لدخـول معركة شاملة كما ان تدريب وتسليح الحرس الوطني والمقاومة الشعبية لم يكن جدياً .

المجموعة السورية الأولى في الاردن :

عنـدمـا تأكـد لدى الأركـان العـامـة حقيقـة العـدوان بادرت يوم ١٩٥٦/١٠/٣٠ إلى تشكيـل مجمـوعـة من القوات السورية مؤلفة من لواء مشاة ولـواء مدرعـات و٣ افـواج مدمفعيـة مع الوحدات الادارية اللازمة ، وشكلت لها قيـادة خاصـة وقـررت ادخـالهـا إلى الاردن يوم ١٠/٣١ وتم ذلـك بالفعل . وقد طلبت من القيادة العامة الاشتراك بالقتال مع هذه المجموعة وعينت رئيساً لأركانها وكـان آمـرهـا العقيـد الـركن سهيـل العشي . واذكر قبل ان اتوجه إلى الاردن يوم ١٠/٣١ أنني ذهبت مع بعض ضبـاط القيـادة السـوريـة وهـم : أمـين النفـوري وعفيف البزرة وعبد الحميد السراج إلى السفارة المصرية في شارع ابي رمانة وقابلنا السفـير محمـود ريـاض وطلبنـا اليـه ابلاغ الرئيس عبد الناصر باسم قيادة الجيش السـوري ، ان المجمـوعـة السـورية ستتحرك مساء اليوم الى الاردن واننا سنقطع أنـابيب البـترول الانكلوـ عراقيـة التي تصب في البحر المتوسط وتمر عبر الأراضي السـوريـة ، وقـد اتخـذنـا كل الاجـراءات الـلازمـة لتنفيـذ ذلك . ولاحظنا انهيار معنـويـات السفـير محمـود ريـاض وكـانت عيـون اللواء حافظ اسماعيل مغرورقة بالدموع وليس لديهما أي معلومات واضحة عن الموقف ولا أي تعليمات من مصر .

ومما هو جديـر بالـذكر أن المجموعة السورية عبرت الحدود الاردنية قبل أن يصدر قرار من الحكومة التي كان يرأسها صبري العسلي آنذاك ويشترك فيها حزب الشعب ، حتى لقد جرت مناقشة في مجلس الوزراء بناء على الحاح بعض الوزراء

الذين عارضوا في ادخال القوات السورية للأردن وكانوا يدعون بأن الاتفاقية بيننا وبين مصر لا تشمل سوى الدفاع ضد اسرائيل أما وقد كان العدوان من قبل دول كبرى فلا مبرر للمغامرة في استقلال سورية من أجل مصر. وكان بعضهم يصر على تأجيل التدخل لمدة ٤٨ ساعة ليتجلى الموقف غير أن الحكومة أقرت بأكثريتها ارسال مجموعة من القوات البرية إلى الاردن. وكان الجو المسيطر على سورية هو جو الحرب الفعلية وكنت لا ترى أو تسمع أينما توجهت في مدن سورية وريفها الا استعدادات شعبية وعسكرية لمعركة المصير. وكان الشعب بأجمعه يعتبر ان العدوان الثلاثي لا يقصد به مصر وحدها ولا نظام جمال عبد الناصر ولكن الاستعمار يريد تصفية مشاكل المنطقة العربية دفعة واحدة والقضاء على الحركات التحررية في الوطن العربي من الخليج إلى المحيط واعادة نفوذ أوربا الغربية اليه والتمكين لاسرائيل نهائياً في قلب الأمة العربية. وضرب الثورة الجزائرية.

وكنا في قيادة الجيش ننتظر انزالاً على الشواطىء السورية من القوات الفرنسية ولذلك فقد عبأنا جميع القوى المسلحة والشعبية لمواجهة حرب شاملة هدفها الدفاع حتى آخر طلقة عن أراضي الوطن واستقلاله، والمشاركة مع قوات الجيش الاردني بالهجوم على فلسطين المحتلة لرفع الضغط عن القوات المصرية.

وفي يوم ١٩٥٦/١٠/٣١ وصلت أنا والعقيد عفيف البزرة الحدود الاردنية وكنت وهذه حقيقة مؤسفة، لا أعرف الاردن إلا على الخرائط وبعد أن جلسنا بالسيارة أخرجت الخريطة وأخذت أدرس الموقف مع العقيد عفيف البزرة. وكان آنذاك بلا عمل وقد عين في قيادة باللواء المدرع ولم أكن قبل ذلك الوقت قد عرفته عن كثب.

وبعد دراسة الخريطة وتحليل الموقف العام والأخذ بعين الاعتبار وجود القوات البريطانية الجوية في قاعدة المفرق الاردنية التي تقع على الحدود السورية وفي عقدة طرق يمكنها فيها مراقبة وقطع كل اتصال بين القوات السورية في الاردن وبين الحدود السورية، كما يمكنها مساعدة أي هجوم اسرائيلي يأتي على محور

جسر الشيخ حسين ـ اربد ـ درعا . كما أخذنا بعين الاعتبار احتمال وصول قوات عراقية وتمركزها في منطقة المفرق، وما يترتب على ذلك من امكانية قطع القوات السورية في الاردن ومنع الاتصال معها وتدميرها من الجو علما بأنها تشكل في ذلك الوقت القوة الرئيسية الضاربة في الجيش السوري، ولأن القوات الأخرى كانت مكلفة بمهمات دفاعية في الجبهة الجنوبية الغربية وفي العاصمة والمناطق الأخرى الشمالية والغربية والشرقية والوسطى.

وتناقشت بهذا الأمر مع العقيد عفيف البزرة الأمر الذي كشف لنا خطورة بقاء قاعدة المفرق خلف القوات السورية، وان هذا الوضع غير طبيعي اطلاقاً، اذ لا يعقل أبداً اننا قادمون للاشتراك في معركة ضد قوات العدوان الثلاثي واننا نتجاهل هذه القاعدة الجوية البريطانية التي تعتبر شوكة في جانبنا وقاعدة قد تستعمل في كل دقيقة ضد قواتنا، ولا يستبعد ان تقوم بتموين الطائرات البريطانية التي تهاجم مصر أو أية قوات عربية تساندها.

وقررنا نتيجة هذا التقدير السريع للموقف أن نناقش الموضوع مع القيادة الاردنية. وبالفعل فمنذ وصولنا عقدنا اجتماعاً مع اللواء علي أبو نوار ولفتنا نظره إلى قاعدة المفرق وأهمية ذلك بالنسبة لتوزيع القوات في الاردن والأخطار المحتملة من هذه القاعدة. ودعم وجهة نظرنا هذه ما سمعناه من قائد لواء المدرعات السورية آنذاك المقدم طعمة العودة الله بأن الطائرات البريطانية كانت تطير على ارتفاع منخفض فوق الرتل السوري منذ عبوره الحدود الاردنية ليلة ١/٣١ تشرين ثاني حتى ساعة وصولها الى منطقة عمان. لا بل ان هذه الطائرات حلقت يوم وصولنا فوق عمان اكثر من مرة وعلى ارتفاعات منخفضة فوق أماكن حشد القوات السورية، وفوق القيادة العامة للقوات السورية ـ الاردنية في عمان. مما زاد في صحة وجهة نظرنا . . ولكننا استغربنا عدم استجابة اللواء علي ابو نوار لملاحظتنا واكتفى بأنه قال سأحمل وجهة نظركم إلى سيدنا (ويقصد بذلك جلالة ملك الاردن) وذهب علي ابو نوار فوراً إلى القصر الملكي، ولما عاد في الساعات الأولى من صباح ١٩٥٦/١١/١ أجابنا بان سيدنا اتصل بالقاعدة وطلب اليهم عدم

تحليق الطائرات منها ووعدته بذلك . . عجيب هذا الأمر! ! نحن في حرب مع انكلترا . . . والقاعدة البريطانية بجانبنا وهي مليئة بالطائرات المقاتلة من نوع هنتر ومن أنواع أخرى قاذفة ، وعندما نبهنا القيادة الاردنية إلى ذلك أجابونا بأن هنالك اتفاقية بين بريطانيا والاردن ولا يمكن تجاهلها ولاحظنا برم علي أبو نوار والزعيم صادق الشرع رئيس اركان الجيش الاردني بنا وخاصة عندما أصرينا على جمع القوات السورية في معسكر الجفر جنوبي عمان وتأخير عبورها نهر الاردن حتى تتكامل .

مفاجآت جديدة في الموقف تبر ر تخوفنا :

وفي اليوم التالي أعلنت الاردن قبول دخول القوات العراقية وأعلمتنا القيادة الاردنية أن لواء عراقياً بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم قد عبر الاردن وأنه سيتمركز في منطقة المفرق . وفي نفس اليوم أبلغتنا القيادة السورية أنها تلقت برقية من المشير عامر يطلب تأجيل دخول القوات السورية والاردنية بمعركة داخل أراضي فلسطين المحتلة . عندها طلبنا رسمياً أن يحتفظ للقوات السورية بالدفاع عن محور جسر الشيخ حسين ـ اربد ـ المفرق ـ درعا لأن ذلك يؤ من حماية الحدود السورية الجنوبية وفي نفس الوقت يضع القوات البريطانية في المفرق في قبضة القوات السورية كما يفسح المجال لهذه القوات بالحركة باتجاه الضفة الغربية على محور اربد ـ جسر دامية ـ نابلس . وفوق هذا وذاك فاننا نكون في موقف نستطيع فيه مجابهة المؤ امرات المحتملة من قبل القوات العراقية اذا أراد نوري السعيد استخدامها ضد سورية على محور المفرق ـ درعا .

وعندما تردد اللواء علي أبو نوار، طلبنا اليه أن نعرض ذلك على الحكومة الاردنية وبالفعل تم اجتماعنا في مكتب السيد عبد الله الريماوي وزير الخارجية وحضور عدد من الوزراء الاردنيين اذكر منهم السيد شفيق ارشيدات ، وعندما

شرحنا لهم الموقف العسكري، أيد هؤلاء وجهة نظرنا وأكدوا أن الحكومة لا تستبعد ان يتآمر الانكليز ونوري السعيد على الحكومة الاردنية ويستعملوا قوات قاعدة المفرق لضرب الجيش السوري والاردني. كما لا يستبعد ان تكون هناك خطة مبيتة بهذا الشكل او بشكل آخر. وعندما وجدنا تأييداً من الوزارة الاردنية بادرنا إلى اقتراح اعادة تمركز القوات السورية على محور اربد ـ المفرق ـ درعا، وأسرعنا منذ مغادرتنا وزارة الخارجية الاردنية لتنفيذ هذه الخطة. وما ان طلعت شمس يوم ١٩٥٦/١١/٣ حتى كانت القوات السورية تمسك محور اربد ـ جسر الشيخ حسن، بالاضافة إلى تطويق قاعدة المفرق وسد محور المفرق ـ درعا، وبقي من مجموعتنا فوجان من لواء المشاة يقومان بمهمة الدفاع عن جسر اللبني وجسر دامية الواقعين على طريق القدس ـ عمان، عمان ونابلس، اللذين يربطان الضفة الغربية بالضفة الشرقية.

اكتشاف مؤامرة حلف بغداد على سورية:

والجدير بالذكر أنه في اليوم التالي لتمركز القوات السورية حوالي المفرق اكتشفت المؤامرة العراقية الانكليزية التي كانت تستهدف قيام ثورة في سورية وقطع القوات السورية في الاردن واستعمال القوات العراقية في الهجوم على سورية ودعم الثورة فيها، وبالتالي تصفية الأوضاع في سورية والاردن. وقد ساعد على سرعة اكتشاف المؤامرة اعتقاد بعض المشتركين فيها انها اصبحت معروفة لدى السلطات السورية بسبب تغيير تمركز القوات السورية وتطويقها المفرق والقوات العراقية المتمركزة حوله. وهكذا أحبطت مؤامرة جديدة واعتقل المتآمرون فيها وقدموا للمحاكمة ومن بينهم هايل السرور وحسن الأطرش وميخائيل اليان وعدنان الأتاسي، وعين العقيد عفيف البزرة رئيساً للمحكمة التي ستحاكمهم.

التعرف على اللواء عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف:

جاء على رأس اللواء العراقي إلى الاردن الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ويعاونه العقيد الركن عبد السلام عارف وكانت الفكرة التي لدينا عن الضباط القادة من العراقيين ليست في صالحهم لأن الوصي ونوري السعيد والسفارة البريطانية من وارئهما وبالتالي قيادة حلف بغداد لم تبق بين الضباط القادة إلا الذين يدينون كلياً بالولاء للعائلة الهاشمية ولبريطانيا خاصة، والغرب بشكل عام أو الذين لا يهمهم سوى الارتزاق أو العناصر التي لا تدين بالقومية العربية ولا بالتحرر من الاستعمار والنفوذ الأجنبي. وبما ان الجيش العراقي بعد ثورة رشيد عالي الكيلاني على الانكليز عام ١٩٤١ أصبح شوكة في جنب الاستعمار والاسرة الهاشمية فقد أصبحت سياسة الحكومة العراقية والسفارة البريطانية من ورائها بقاء الجيش بعيداً عن السياسة وآلة طيِّعة بيد الحكومة. غير اننا كنا نسمع بين آونة واخرى عندما نلتقي مع الضباط العراقيين بأن ارهاب نوري السعيد وجواسيس القصر ودار الكرميات او السفارة البريطانية لم تستطع كلها مجتمعة نزع الثورة والحقد المتأججين في صدور العراقيين عامة وفي صدر كل ضابط في الجيش بشكل خاص ضد البريطانيين وعملائهم من امثال الوصي والسعيد وغيرهم. وانه لن يطول الوقت حتى تندلع النار فتأكل كل العملاء والخونة والانعزاليين وتعود العراق وجيش العراق إلى مكانها من الطليعة العربية المتحررة.

وكان منذ عام ١٩٤٥ قد التجأ إلى سورية ضابط عراقي من أنصار ثورة الكيلاني ودخل في الجيش السوري برتبة رئيس أول وهذا الضابط هو المقدم مفلح بن علي، وكان يعرف الكثير عن ميول وسلوك الضباط العراقيين القدامى منهم بشكل خاص. وتشاء الصدفة ان يكون هذا الضابط زميلاً قديماً لعبد الكريم قاسم فاتفقت مع العميد أمين النفوري وكان رئيساً للشعبة الأولى في ذلك الوقت بأن يندب المقدم مفلح بن علي إلى المجموعة السورية في الاردن كضابط هندسة

وبـذلـك يمكنـه ان يكـون قريباً من القوات العراقية لعله يحتك بضباطها. وقدم مفلح بن علي إلى الاردن واجتمعت به أنـا وعفيف البـزرة وطعمـة العودة واتفقنا معه على تدبير طريقة يتصل بها صدفة مع عبد الكريم قاسم الذي كان مع قواته في المعسكـرات الاردنيـة الـواقعـة غربي قاعدة المفرق البريطانية وتم اللقاء بينهم فعـلاً، ونقـل لنـا المقدم مفلح بن علي بأن قاسـم وعارف مصممان على الثورة ضد الحكم الفـاسـد في العـراق وانهما سيقومان بانقلاب لتنفيذ خطتهما فور عودتهما إلى العـراق واذا استحـال ذلـك فانهما على استعـداد للانضمام مع قواتهما إلى الجيش السوري وأطلعاه بأنهما كانا يلاحظان ان الحكومة العراقية ونوري السعيد بالذات يريد من وراء ارسال الجيش العراقي إلى الاردن كل شيء عدا الاشتراك جدياً في الـدفـاع عن الأردن والمسـاهمة مع القوات السورية والأردنية لمهاجمة اسرائيل وانهما يؤكدان وجود مؤامرة يقصد منها تحطيم الجيش السوري واقامة حكم عميل فيها وخلق الظـروف لاستخـدام القـوات العـراقيـة في الاردن لفـرض حكـومـة مماثلة للهاشميين ولحلف بغداد.

واكـد ايضـاً وقبـل كل شيء بأن الشعب العـراقي والجيش في غليان شديد بعد العدوان الثلاثي على مصر وان الثورة لا بد قائمة في العراق، وستطوح برأس الوصي والسعيد وتحطم حلف بغداد.

واستمـرت الاتصـالات في الاردن وتبعها مقابلات بيننا وبين قاسم وعارف مبـاشـرة وكـان ذلـك خارج المعسكـرات وبعيـداً عن أعـين ضباط الاستخبارات العراقيين الذين يتصلون بالزعيم محسن الملحق العسكري العراقي في عمان مباشرة لتلقي التعليمات.

وقـد فرضت العـزلـة التامة على القوات العراقية وحرم على الجنود والنقباء والضبـاط الاتصـال بالاردنيـين والسـوريين. وعندما كنا نصادفهم كنا نجد بأنهم ثائـرون على حكـومتهم، وانهم على استعداد للانضمام إلى الجيش السوري اذا أعطيت لهم الضمانات بعدم تسليمهم للسلطات العراقية. وقد تم بالفعل دراسة هذا الاحتـمال مع القيـادة السـوريـة، وعقـد اجتـماع سري بين اللواء توفيق نظام

رئيس الاركان السورية آنذاك وكان معه كل من العقيد امين نفوري وعفيف البزرة وطعمة العودة الله وبين قاسم وعارف واتفق معهم على ان الجيش السوري سيقبلهم في عداد أفراده اذا أرادوا أو اذا فشلوا في محاولة الثورة ضد السلطات العراقية.

توقف العدوان:

تم وقف اطلاق النار يوم ١٩٥٦/١٢/٦ بعد ثورة الرأي العام العالمي ضد العدوان وتدخل مجلس الأمن وانذار الاتحاد السوفياتي المشهور بضرب لندن وباريس بالصواريخ ذات الرؤوس النووية ومحو اسرائيل اذا استمر العدوان واصرار امريكا على حلفائها بوقف العدوان والانسحاب من مصر.

كان ذلك في نظرنا النصر العظيم لمصر والقومية العربية وبداية مرحلة جديدة في السياسة العربية لأن معركة بور سعيد أصبحت النقطة الحاسمة في نهاية احتضار الاستعمار، والبداية الفعلية للتضامن العربي، لا بل اصبح شعار الوحدة العربية بقيادة عبد الناصر يتردد على ألسنة الشعب العربي من المحيط للخليج.
واعتبر الشعب السوري انتصار مصر على دول العدوان الثلاثي انتصاراً لفكرة ـ السياسة المتحررة ـ والحياد والوحدة.

ذهل الاستعمار من النتيجة المخزية للعدوان على مصر وأدرك بعد ان لمس تصميم سورية والاردن للمساهمة في المعركة ضد العدوان ممثلاً في اسرائيل **وبالقوات والمصالح البريطانية والفرنسية وكذلك تصميم الشعوب العربية كلها على الوقوف في وجه العدوان والعملاء، ان ميدان المعركة قد اتسع واصبحت** النيران تشتعل تحت اقدام النفوذ الغربي والعملاء في كل الوطن العربي واهتزت العروش المأجورة أي هزة، مما اضطر الحكومات العربية كلها وبدون استثناء إلى التأييد النظري لمصر، ووصلت بالنسبة لبعض الدول إلى قطع العلاقات

الـدبلومـاسيـة مع فرنسـا وانكلترا. واضطـرت الدول المعتدية مرغمة إلى ايقاف العدوان المسلح.

امريكا تحاول وراثة بريطانيا وفرنسا في الشرق الأوسط بعد اعلان مبدأ ايزنهاور:

وانطلق الشعب العـربي كالمـارد يطـالب بالقضاء على النفوذ في كل منطقة الشرق المتوسط، وعند ذلك بادرت الحكومة الاميركية إلى اعلان ما سمي «بمبدأ ايـزنهـاور» مستغلة السمعـة التي ظنت انهـا اكتسبتهـا عنـد العرب من جراء عدم اشتراكها بالعدوان، بل وتظاهرها بمقاومته ومساهمتها في ايقافه. وتبع ذلك موجة محمـومـة من الـدعـايـة الغربية، مفادها ان البلاد العربية التي تخلصت من النفوذ الغربي ـ الفرنسي والبريطاني، اصبحت مفتوحة امام التغلغل الشيوعي، واذا لم يشغـل «الفـراغ» الـذي حدث بعـد خروج بريطـانيـا وفـرنسـا من قبل الولايات المتحدة، فان دول الشرق الأوسط العربية ستسقط عاجلاً أو آجلاً تحت النفوذ السوفياتي.

وبـادرت أمـريكـا إلى استلام دفة القيادة للسياسة الغربية في العالم العربي كله مصممة على وراثة التركة الاوروبية عامة والبريطانية خاصة.

وعـاد النشـاط من جديـد إلى أوسـاط العمـلاء للدعـوة سراً وعـلانية لمبدأ يزنهاور (أو مبدأ الفراغ).

لوحات الدعاية لمبدأ ايزنهاور في شوارع القاهرة بجانب دعايات الكوكاكولا:

ومـا كان أعظم دهشتي عنـدمـا ذهبت إلى مصر بعد العدوان ولاحظت ان بعض شوارع القـاهـرة الرئيسية مزدانة بلوحات ضخمة تحمل فقرات من مشروع

ايزنهاور إلى جانب اللوحات التي تحمل الدعاية للكوكاكولا والأفلام السينمائية المثيرة.

ولم أستطع تفسير هذه الظاهرة آنذاك.. إلا ان الأيام التي أتت بعد الوحدة فتحت أعيننا وعقولنا على أشياء كانت عين الرضى كليلة عنها.

وردت للاستعمار أنفاسه بعد انسحاب القوات البريطانية الفرنسية من بور سعيد وتراجع اليهود عن سيناء، واخذوا يروجون بأنه ـ لا غالب ولا مغلوب ـ في حرب السويس، وان الخطر الشيوعي على الأبواب وانه يقرع بشدة ابواب دمشق وان الجيش السوري والحكومة السورية بالذات تسيطر عليها العناصر الشيوعية كخالد العظم والبزرة والسراج.. هكذا..

انسحاب المجموعة السورية من الاردن والنكسة الاردنية:

ركز الاستعمار اهتمامه وجهوده على الأردن واعتقد ان بقاء القوات السورية هناك ستساعد القوى التقدمية على تدعيم مراكزها وتعرض نفوذه وتعرض العرش الهاشمي للخطر، وفجأة أعلن الملك حسين وبدون مقدمات، تخوفه من الخطر الشيوعي في المنطقة، وطلب سحب القوات السورية فوراً من الاردن، وألح على **السيد سليمان النابلسي رئيس الحكومة الاردنية الوطنية لتقديم استقالة حكومته** وتشكيل حكومة جديدة بدون عبد الله الريماوي وشفيق الرشيدات، وعندما فشل في ذلك اخذ يغري علي ابو نوار بالمناصب الوزارية لكي يضغط على الحكومة لقبول سياسته وانطلت اللعبة على أبو نوار فاقتنع بسحب القوات السورية وتجريد الحرس الوطني من الأسلحة وماشى الحسين في عداوته لحكومة النابلسي، واصبح يتظاهر بان الأمور بين يديه في الاردن، وان الملك حسين في جيبه الأيمن وحكومة النابلسي في جيبه الأيسر. غير اننا فوجئنا بانه هو في جيب حسين عندما وقعت حادثة معسكر الزرقاء واضطر إلى الاحتماء وراء ظهر الملك حسين من غضب الجنود الاردنيين البدو وفراره اثر ذلك إلى سورية باسلوب مسرحي غريب بعد ان

نجح اتباع الملك بالقيام بانقلاب سيطروا بنتيجته على الجيش وعزلوا الضباط الأحرار. وأقال الملك حكومة النابلسي وشكل حكومة جديدة برئاسة حسين الخالدي، وأصبح الضباط الأحرار الاردنيون وأفراد الحكومة الاردنية تحت رحمة حسين، فلجأ من استطاع منهم إلى سورية وزج الباقون في السجون وأنزل الستار على العلاقات الطيبة المصرية ـ السورية ـ الاردنية. وكشف الحسين عن وجهه الحقيقي عندما أعلن مناوأته للسياسة المتحررة السورية ـ المصرية واتهم سورية ومصر بالسير في ركاب الشيوعية الدولية. وقام بتصفية القوى التقدمية في الاردن دفعة واحدة، فمنهم من وضع في السجون ومنهم من التجأ إلى سورية وبعض الدول العربية ولا يزالون مشردين حتى هذه الأيام.

ومما هو جدير بالذكر ان القوات السعودية التي كانت في الاردن كانت اكبر عون لحسين في انقلابه كما ان الملك سعود باغداقه الملايين من الدولارات على الحسين بالاضافة للمعونة الاميركية بالدولارات والمستشارين، كل ذلك ساعد حسين على القضاء على الحركة التحررية في الاردن وفرض عزلة سوداء على الشعب الاردني البطل الذي لا يزال يناضل بعناد ضد حسين والعملاء وضد الصهيونية والاستعمار والفقر والعزلة القاسية.

ولا يشعر المرء في الاردن بانه ترك سورية فأينما تجول من القدس ونابلس إلى السلط والكرك وعمان واربد.. يسمع ويرى نفس الملامح واللهجات والآراء والمستوى الاجتماعي واللباس الذي يطالعه في المحافظات والمدن السورية وبالأخص منها الداخلية.

وترى المواطنين هناك يتتبعون بدقة تطور السياسات العربية ولا تفوتهم اذاعة أو نشرة ويناقشون أمور السياسة بصراحة ويبدون آراءهم لممثليهم من النواب والوزراء بجرأة فريدة من نوعها. ويمتاز الشعب في الاردن بالسلوك الديمقراطي الطبيعي الذي لم يتأثر بالنظام الملكي ولا بالاستعمار البريطاني، ولقد كانت أمتع الفترات التي قضيتها في الاردن تلك الاجتماعات التي شهدتها مع بعض المواطنين وكان يحضرها بعض السياسيين والوزراء والنواب، وكثيراً ما كنت

أستمع إلى مواطن عادي جداً، عامل أو فلاح أو صاحب متجر صغير وهو يناقش أحد الوزراء او النواب ويبدي له ملاحظات قاسية حول سياسة البلد العليا الداخلية والخارجية. غير ان هذا لا ينطبق على سلوك المواطنين تجاه سلطات الادارة والأمن وحتى الجيش، فما لاحظته هو طابع الحذر الدائم حيال هذه السلطات بل وعدم الثقة وكثيراً ما بلغ مسامعي بعض الصفات والحملات العنيفة ضد سلوك أفراد هذه المؤسسات الحكومية ولم يسلم بعض ضباط الجيش الاردني من هذه الحملات.

ان شعب الاردن والضفة الغربية كما رأيتهم في طول كرم وجنين ونابلس والقدس والسلط وعمان واربد وفي قرى عجلون الصغيرة يسبق في وعيه السياسي وتطلعه للحرية والوحدة والاشتراكية بقية الشعوب العربية في مصر والعراق.. وحتى سورية لأن النكبة الفلسطينية والاستعمار والملكية أحدثت انقلاباً عميقاً في عقول المواطنين وقلوبهم وأصبحت العواطف الثورية تسيطر على كيان المجتمع والافراد. وأنا أعجب كيف يستطيع الملك حسن تأمين الاستقرار في المملكة الاردنية وخاصة في الضفة الغربية التي تسلمها جده الملك عبد الله عن فلسطين كنوع من الاعتراف بالدولة الاسرائيلية. واني لعلى يقين بأن ثورة لا بد ستشتعل في الاردن وبالأخص في القسم الفلسطيني منه ولا يستبعد ان يكون لها من الأثر ما لثورة الجزائر في العالم العربي وفي العالم أجمع.. ولن تقف عند ذاك أمامها مؤامرات الصهيونية ولا الاستعمار ولا العائلة الهاشمية ممثلة في حسين أو غيره.

عودة إلى القيادة المشتركة:

انتهت مهمتي في الاردن بعد مرور شهر كامل قضيته بالتعرف والاستطلاع في الضفتين الغربية والشرقية. ثم استدعيت إلى دمشق حيث أبلغتني القيادة ضرورة العودة إلى مركزي في القاهرة وكانت عائلتي لا تزال هناك. وهنا تجدر الاشارة إلى ان اللواء أبو نوار رئيس الأركان الاردنية كان قد طلب من اللواء توفيق

نظام الدين رئيس الأركان السورية سحبي من الاردن باعتبار انني أتدخل في أمور خارج نطاق عملي وانني اتكلم بالستراتيجية والسياسة (هكذا) . . ولعل آمر المجموعة العقيد الركن سهيل العشي وكذلك الملحق العسكري المقدم جودت أتاسي كانا من هذا الرأي نظراً لأنني لم أكن أتقيد بحدود مهمتي العسكرية كرئيس لاركان المجموعة وبسبب علاقاتي مع العقيد عفيف البزرة وطعمة العودة الله واتصالاتنا المشبوهة في نظرهما مع الضباط والسياسيين الاردنيين وكذلك مع القوات العراقية ، حتى لقد نعتنا العشي مرة «بالعصابة» . . . ومع كل هذا فقد حافظت حتى آخر دقيقة كرئيس أركانه على حسن السلوك والانضباط ، وقمت بكل ما أستطيع لتحضير المهمات المحتملة وبرامج التدريب للقوات السورية وكنت على اتصال يومي مباشر بضباط الوحدات في أماكن تمركزهم .

ومهما يكن من أمر فقد كنت راغباً في انهاء مهمتي في الاردن بعد ان اصبحت المجموعة السورية في موقف لا تحسد عليه ، وفرض عليها شبه حصار ومقاطعة واصبح ابو نوار والملك نفسه يحملان على الجيش السوري وميل الضباط السوريين للسياسة . ولعل ما يجب تسجيله هنا موقف علي أبو نوار خلال فترة العدوان فقد كان برماً بالسياسة الهوجاء ـ كما كان يقول ـ وروح المغامرة اللتين كانت تتسم بها سياسة جمال عبد الناصر وان العدوان نتيجة لهذه الحماقات . وكان يتكلم بلهجة السياسي الكبير الذي يضع نفسه في نفس المستوى مع ـ سيدنا ـ وعبد الناصر ـ وشكري القوتلي ـ وسعود . . كما لوحظ كره معظم الضباط الاردنيين له بسبب غطرسته وتعاظمه وتبجحه الذي لا ينقطع . ولعل أبرز ما ارتكبه من اخطاء اذا لم يكن ذلك مقصوداً عن سابق تصميم وادراك . . تلك السياسة التي كان يسلكها مع الضباط عندما كان يمنعهم من مناقشة الأمور السياسية في الاردن ويعتبر ذلك خروجاً على السلوك العسكري مما جعل الضباط الاردنيين في غفلة عن خفايا السياسة الداخلية والخارجية للأردن ومما سهل على الملك ابعاد ابو نوار والحفنة الباقية من اعوانه وبالتالي التنكيل بالضباط الاحرار الحقيقيين وتصفيتهم . . والقضاء على الحكومة المتحررة بل وطرد كل السياسيين الاحرار

وتعطيـل الحيـاة السياسية نهائيا وفرض سياسة الارهاب والعودة بالأردن إلى الحالة السابقة أيام كلوب باشا (ابو حنيك).

عنـدمـا وصلت إلى القـاهـرة في أوائـل شهـر شباط ١٩٥٧ وجدت القيادة المشـتركـة في عطالة تامة فلم يبق فيها ضباط مصريون اطلاقاً لأنهم التحقوا جميعاً بأعمال في القوات المسلحة المصرية. وليس في مقر القيادة سوى العقيد جمال فيصل وثـلاثـة من الضبـاط السعـوديـين وضـابط أردني مبعد على مايظهر بسبب عداوته لأبو نوار أو لمهمة اخرى.. هو المقدم صالح الشرع.

وعنـدمـا باشـرت عمـلي كنت أتقـاسم مكتبي مع المقـدم أ. ح توفيق عبد الفتاح الذي اصبح فيما بعد وزيراً للشؤون الاجتماعية والعمل في مصر بتوجيه من المشير عامر كما فهمت فيما بعد. واخذت أبذل الجهود الجبارة لعلي أعيد النشاط أو الحياة لهذه القيادة ولكن دون جدوى.

كانت آثـار العـدوان الأثيم لا تزال ماثلة للعيـان، فالقـوات في حالـة من الفـوضى والقيـادات في وضـع غير مستقر والقيـادة العامة تعمل لبحث الدروس والنتـائـج التي ترتبت على العدوان، واعادة تنظيم الجيش وتدريبه على ضوء هذه النتائج والدروس.

وقمت بجـولـة إلى منطقة القتال وبور سعيد والأماكن التي ضربت بالطائرات وخـاصـة المطـارات، ولم استطع دخول منطقة سيناء لأن طرقها كانت مخربة تخريباً كاملاً بعد انسحاب اليهود منها وكان محرماً على القوات المسلحة المصرية دخولها. كما حصلت على التقرير السري عن العمليات الحربية خلال العدوان من المقدم توفيق عبـد الفتـاح الـذي كان مديـراً لمكتب القـائـد العام. وخرجت بعد دراسته بانطبـاعـات غير مشجعـة، لأن القـوات المسلحـة وخـاصـة منها القوات المدرعة والقوات الجوية لم تقم بما كان باستطاعتها القيام به. واظهرت القيادات في مختلف الوحدات جهلاً مطبقاً وتخاذلاً.. وكان أبرز الأخطاء في المعركة هو فقدان التعاون بين القيادات المختلفة وضعف الروح المعنوية بين العسكريين اجمالاً.

والحقيقـة التي يجب ان يعـترف بها هي أن جمال عبـد النـاصر كسب معركة

السويس بقوة ايمانه وعناده واصراره على خوض المعركة حتى النهاية بالاضافة إلى صمود الشعب والتأييد الدولي.

أما القوات المسلحة فكان بامكانها القيام بدور أفضل من الدور الذي قامت به ولا أعني بانها كانت تستطيع كسب المعركة غير المتكافئة، ولكني اؤكد انه كان باستطاعتها تحويل انسحاب سيناء على الاقل إلى معركة شريفة بدلاً من انهزام مسكين مخزي سمي فيما بعد انسحاباً وبذلك تخفف الكارثة.

الانهزامية واللا عروبة:

ظهرت بعض البوادر الانهزامية بين صفوف السياسيين ولا أقول الشعب لأن الشعب سار خلف جمال عبد الناصر متحملاً النتيجة مهما كانت. فقد تنادى بعض السياسيين القدامى والرجعيين والعملاء وبرزوا من جحورهم علهم يستطيعون اقتناص الفرصة التي انتظروها خمس سنوات فيعيدوا نفوذهم ولو على أشلاء مصر واستقلالها ويعيدوا بناء فسادهم ولو على جماجم ابناء الشعب من بور سعيد والقنال وسيناء. كما تسرب الوهن إلى بعض أعضاء مجلس الثورة، وإلى ضباط الجيش.

وكان هؤلاء جميعاً يخطئون جمال عبد الناصر باصراره على القتال ضد بريطانيا العظمى التي لا تقهر ويطالبون بانقاذ البلاد وبالتسليم بشروط المعتدين وانهاء الثورة.

وأجمع هؤلاء على اتهام الرئيس جمال عبد الناصر بأنه فتح مصر للنفوذ الشيوعي بشرائه الأسلحة من الاتحاد السوفياتي وبالخروج على مصلحة مصر عندما نادى بالقومية العربية - «التي جابت لهم البلا» . . - على حد تعبيرهم - وكان هؤلاء وأمثالهم يسوقون الحجج لدعم آرائهم الانهزامية المستوحاة من اذاعات الاستعمار ودوائره. والتي تتلخص بان العرب لم يقوموا بواجباتهم تجاه مصر

خلال العدوان، وان مصر «مالها ومال فلسطين والعروبة والحاجات البايخة، الخ». . . هكذا سمعت.

وإلى جانب هذه الحركة الرجعية الانهزامية، ظهرت بعض القوى الوطنية التي تنادي بالصمود ضد العدوان ووضع كافة المجهودات لرد الاعتداء. وبضرورة عودة الحياة الديمقراطية إلى مصر ليساهم الشعب مساهمة فعلية في حماية البلاد وفي تطويرها اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، وكان من أبرز هؤلاء السادة صلاح سالم وخالد محيي الدين، اللذان صب عليهما الرئيس جام حقده بعد انتهاء العدوان واستتباب الأمر له.

وظن الكثيرون ـ رغم فشل العدوان وانسحاب القوات المعتدية انسحاباً كلياً . . أنه لا بد من تعديل سياسة مصر تجاه العرب وتجاه الغرب، خاصة وان موقف امريكا لم يكن ظاهرياً بجانب العدوان. . وراجت الاشاعات الكثيرة عن هذه السياسة حتى وصلت الينا في القيادة المشتركة على شكل تعطيل كامل للقيادة المشتركة والاتجاه نحو تصفيتها لأنها لم تفد اطلاقاً على حد زعم البعض.

الرئيس عبد الناصر يعلن في اجتماعه بضباط القوات المسلحة تمسكه بسياسته العربية والدولية واستمرار الثورة:

وفي هذه الاثناء عقد اجتماع كبير حضره الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عامر ومعظم رجال الثورة في قاعة المحاضرات في هيئة التدريب في مصر الجديدة. ودعي إليه كافة قادة الجيش والقوى المسلحة الأخرى. وعدد كبير من الضباط من رتب مختلفة، وحضرت هذا الاجتماع مع العقيد جمال فيصل وأعطينا أمكنة قريبة من المنصة الرئيسية.

وكان هدف الاجتماع تلخيص الدروس المستفادة من حرب السويس، وبعد ان ألقى بعض الضباط محاضراتهم عن الدروس المستفادة من المعركة، كل باختصاصه، قام الرئيس وألقى كلمة طويلة حول هذا الموضوع ولخص فيها

الأخطاء الكبرى التي وقعت على المستويات العليا. ثم كرس معظم حديثه عن سياسة الجمهورية المصرية قبل وبعد العدوان وكان أبرز ما في الخطاب:

١ ـ ان العدوان وإن كان على الأراضي المصرية غير ان المقصود به هو الأمة العربية عامة، والدول العربية المتحررة خاصة، بالاضافة إلى تدمير ثورة الجزائر والتمكين لاسرائيل نهائياً في قلب الوطن العربي.

٢ ـ ان هدف العدوان هو القضاء على الثورة المصرية وعلى القوة التي بدأت تقيمها (وشبه العدوان بمعركة نافارين عندما اجتمعت كل الدول الأوروبية المتخاصمة لتدمير اسطول مصر أيام محمد علي باشا) والقضاء على فكرة الوحدة العربية بزعامة عبد الناصر. وبالتالي اعادة مصر والدول العربية المتحررة إلى منطقة النفوذ الغربي.

٣ ـ ان اخطر ما يخشاه الاستعمار هو القومية العربية التي تنادي بالوحدة والتحرر الكامل من الاستعمار والعملاء. وان الثورة المصرية عندما رفضت التحول عن العروبة كان لا بد للغرب من القضاء عليها.

٤ ـ ان مصر كسبت المعركة بسبب المشاركة المباشرة الفعالة من الشعوب العربية عامة وبعض الدول المتحررة وذكر سورية بشكل خاص وأعلن: **ان استراتيجية مصر كانت قبل العدوان وستبقى مستوحاة من القومية العربية وان مصير مصر مرتبط بمصير اخواتها العربيات وان العدوان اكد هذه السياسة وانه لو قبلت مصر العزلة لأدى ذلك إلى انتحارها**. واختتم قوله بان كل سياسة دفاعية يجب ان تستوحى **من ان مصر جزء من الأمة العربية وان العدوان على أي جزء معناه العدوان على مصر وانه يجب استمرار التعاون بل دفعه إلى اقصى حد بين مصر واخواتها الدول المتحررة**. وبالتالي دعم القيادة المشتركة.

وفي نفس اليوم بادرت إلى ارسال خلاصة حديث الرئيس الذي لم ينشر اطلاقاً في الصحف ولا في الاذاعات، إلى الأركان في سورية ليطمئنوا بعد كثرة ما سمعوه عن تجميد التعاون العسكري. وكان واقع هذا التقرير عميق الأثر في نفوس ضباط القيادة خاصة. وعاد اليهم أملهم باستمرار التعاون مع مصر.

العودة إلى سورية :

لم يمض على بقائي في مصر أكثر من شهر حتى أصدرت القيادة أمراً بنقلي إلى سورية في أوائل شهر آذار حسب الاتفاق مع اخواني وعينت رئيساً لهيئة تدريب الجيش ـ في القيادة العامة وهو مركز من اهم مراكز القيادة وكان يشغله قبلي العقيد الركن نبيه صباغ . . وكانت شعب الاركان موزعة آنذاك كما يلي :

اللواء نظام الدين	رئيساً للأركان العامة
اللواء عزيز عبد الكريم	معاون
العقيد أمين النفوري	رئيساً للشعبة الثالثة
العقيد عفيف البزرة	رئيساً للشعبة الأولى
المقدم سراج	رئيساً للشعبة الثانية
المقدم البير عرنوق	رئيساً للشعبة الرابعة

وكانت شعب الاركان الثلاث بالاضافة إلى هيئة تدريب الجيش أهم مراكز القيادة وكان المعروف لدى الجميع ان من يشغلون هذه المراكز، بالاضافة إلى القيادات الفعلية لألوية المدرعات هم الذين يسيطرون على القوة الفعلية في سورية وهم الذين يمثلون الجيش عند بحث أي موضوع سياسي .

مؤامرة «ستون» وتشكيل مجلس القيادة :

تحدثت فيما سبق بايجاز عن ازدياد المؤامرات بعد العدوان والتركيز بشكل خاص على سورية وعلى الجيش السوري وفشل هذه المؤامرات المستمر رغم شدة حياكتها ورغم تنسيقها مع بعض الأحداث الدولية وبالأخص الاعتداءات الاسرائيلية، وبالرغم مما كان ينفق من أموال باهظة عربية ـ أو أجنبية .

وكان آخر هذه المؤامرات تلك التي أشرفت عل تدبيرها وتنفيذها السفارة الأميركية بمعرفة رجل المخابرات الشهير المسمى «ستون» في دمشق،

واستخـدمت فيهـا كلا من أديب الشيشكـلي وابـراهيم الحسيني ووضعت تحت تصـرفهما الملايين من الدولارات لشراء الأنصار من العسكريين والسياسيين للقيام بانقـلاب يطيـح بقيـادة الجيش والضباط التقدميين ويقضي على حكومة التجمع وسيـاستهـا التحـررية. ويعيد الدكتاتورية إلى سورية لتتعاون صراحة مع امريكا وحلف بغـداد، بعـد ان فشلت المؤامـرات السـابقـة والتهـديد بالعدوان التركي ومناورات الاسطول السادس في تحقيق ذلك.

ففي أحـد الأيـام اتصـل بعض عمـلاء السفارة الاميركية بكل من الرئيس عبـد الله الشيـخ عطيـة من ضباط المدرعات وبالعقيد خطار حمزة وطلبوا اليهما كل على انفراد التعاون مع بعض العناصر من السياسيين والعسكريين للقيام بانقلاب لابعاد ضباط قيادة الجيش في ذلك الوقت وكذلك قادة ألوية المدرعات والتخلص من السيـاسيـين التقـدميـين وبـالأخص خالـد العظم والبعثيـين، وتدمير حكومة التجمع برئاسة صبري العسلي بحجة ان هؤلاء جميعاً اصبحوا لعبة بيد الشيوعية الـدوليـة. وذكـروا لهما بعض أسماء السياسيين والضباط إلا انهم حددوا لهما موعداً للالتقاء بزعيم الانقلاب وأخذ المعلومات والتوجيهات اللازمة مباشرة.

واتصـل خطـار حمزة معي واطلعني على الأمـر، كما اتصـل الشيـخ عطيـة بطعمـة العـودة الله فأطلعنـا رفـاقنـا بالقيادة ولم يطلع رئيس الأركان ومعاونه آنذاك وهما اللواء توفيق نظام الدين وللواء عزيز عبد الكريم على الأمر واتخذت الترتيبات السريعة لمتابعة هذه المؤامرة وبنفس الوقت الحيلولة دون وقوع أي محاولة انقلابية.

وأصبح الجو مشبعاً في ذلك الوقت بالاشاعات والهمس وكان المطلعون على سير الأمور السياسية يتوقعون فعلاً وقوع انقلاب بين وقت وآخر رغم تأكدهم من سلامـة الـوضـع في الجيش. حتى لقـد وصـل الأمـر إلى حد ان بعض السـاسـة الـذين فضحـوا فيـما بعـد اخـذوا يهددون زمـلاءهم من النـواب الأحـرار في المجلس ويؤكدون لهم بأن المشكلة ليست إلا مشكلة وقت وان الأوضاع في سورية ستنقلب رأسـاً على عقب. وتـوترت الأعصاب فعلاً وأخذنا نستعد لمعركة غامضة لا يعـرف فيهـا من هو العـدو ولا مكـانه. ومع أننا كنا نعرف من هم الذين يحتمل

اشـتراكهم في المؤامـرة غير اننـا كنـا نعـود أكثر حيرة عندما تصلنا الاشاعات بان هنـاك وحـدات كاملة أصبحت بيـد المتـآمرين وأنهم اصبحوا واثقين من النتيجة . فنجلس السـاعات الطوال في الليل والنهار ونناقش هذه الأقوال والاشاعات ونخرج دائماً بنتيجة واحدة هي ان الجيش بكامله بيد العناصر الشريفة المخلصة وان الخونة لن يستطيعـوا شراء جنـدي أونقيب أوضابـط مهـما بذلـوا من مال اللهم إلا من وضعـوا في المؤامـرات السـابقة في قوائم المشبوهين . وفي اليوم المحدد للقاء ـ وكان المفروض بأنه هو يوم الانقلاب اذا بخطار حمزة يدخل علي في مكتبي بهيئة التدريب حوالي الساعة التاسعة مساء بعد عودته من الاجتماع وهو مصفر الوجه مأخوذ اللب ويردد بصورة آلية : انه الشيشكلي . . انه الشيشكلي . . لقد اجتمعت مع أديب في احـد بيـوت الأمـيركـان في منطقـة أبورمانة وقد دوخني الوسيط قبل ان يقف أمام البيت وعنـدمـا دخلت أحـد المنـازل وكان عبارة عن قبو واجهت في احدى الغرف الشيشكـلي بلحمـه ودمـه وكـان يجالس سيدة اميركية ويشرب كأساً من الويسكي وبـادرني بالعنـاق، وطلب إلي الاستعـداد للعمـل . . وقال لي بأن هناك عدداً من السيـاسيين والضباط على علم بهذه العملية وانها ستكون ناجحة تماماً وعليك أن تشـترك فيهـا أنت وكـل اخوانك الذين تثق بهم . . وعندما أردت منه معرفة بعض أسماء الضباط أجابني بأنه لا حاجة لذلك وسوف تعرفهم بعد نجاح العملية .

وذهبت فوراً إلى مكتب السـراج حيث كان اخـواننـا الضبـاط ينتظـرون النتيجـة التي سيأتي بها كل من العقيـد خطار حمزة والرئيس الشيخ عطية وأبلغتهم بأن أديب الشيشكـلي في دمشق وبحـماية السفارة الأميركية وسردت عليهم ما رواه لي العقيـد خطـار حمزة ، وبعـد قليل دخل المقدم طعمة العودة الله وأبلغنا أيضاً ان الرئيس الشيخ عطية اجتمع مع ابراهيم الحسيني في أحد بيوت ابو رمانة أيضاً وانه أبلغـه الاستعـداد للانقـلاب . . وعندها اتضحت خيوط المؤامرة ، وبعد المناقشة قررنـا العمـل بسـرعـة لمنع القيام بأي انقلاب ومحاولة القاء القبض على الحسيني والشيشكلي . فأمرنا بتحريك ألوية المدرعات للإحاطة بدمشق فوراً وطوقت منطقة أبـو رمـانـة وتمت هذه العمليـات خلال ساعتـين تقـريبـاً ، واستمـر التفتيش عن

الشيشكلي والحسيني طوال الليل دون جدوى وفي الصباح استدعينا رئيس الأركان وأبلغناه المؤامرة واتخذنا بعض الاجراءات السريعة لابعاد ما تبقى من الضباط المشبوهين. . وعندما تردد رئيس الأركان العامة طلبنا اليه الاختيار بين الموافقة على جميع التدابير الوقائية التي سنتخذها وبين لزوم منزله، ومن ثم أرسلنا بعض رفاقنا للحكومة يبلغها بالمؤامرة وبما اتخذ من اجراءات وطلبنا:

١ ـ تعيين عفيف البزرة رئيساً للأركان.
٢ ـ أمين النفوري معاوناً.
٣ ـ واستلمت أنا رئاسة الشعبة الثالثة.
٤ ـ كما استلم مصطفى حمدون الشعبة الأولى.
٥ ـ واستمر السراج برئاسة الشعبة الثانية.

وبادرنا في نفس اليوم إلى تشكيل مجلس قيادة يشرف على ادارة الجيش ويساعد رئيس الأركان في وضع السياسة الواجب سلوكها في مختلف الظروف التي تمر على البلاد. وكان هذا المجلس مؤلف من:

اللواء عفيف البزرة، والزعيم امين النفوري، والمقدم السراج، والمقدم احمد عبد الكريم، والمقدم مصطفى حمدون، وطعمة العودة الله، واحمد حنيدي، وعبد الله جسومة، وياسين فرجاني، ومصطفى رام حمداني، وامين حافظ، وجمال صوفي، واكرم ديري، وجادو عز الدين، ولؤي شطي، الخ. . وكان بعضهم غائباً عن سورية مثل احمد حنيدي، وابراهيم فرهود، وعبد الغني قنوت. .

وقررنا ان يقوم بتمثيل المجلس لدى الحكومة كل من رئيس الأركان ومعاونه ورؤساء الشعب الثلاث ١، ٢، ٣ وان يتقيد هؤلاء بالقرارات التي يتخذها مجلس القيادة. وهكذا تحقق هذا المجلس بعد ان بقي في رؤوسنا طيلة عشر سنوات تقريباً.

وكان أهم أهداف هذا المجلس:

المحافظة على وحدة الجيش وتطهيره نهائياً من العناصر المشبوهة.

دعم السياسة التحررية في سورية ممثلة في حكومة التجمع برئاسة السيد صبري العسلي.

تدعيم العلاقات مع مصر الثورة، والعمل على تحقيق الاتحاد بين مصر وسورية.

رفض فكرة الحكم العسكري والانقلابات رفضاً باتاً والاكتفاء بحماية الفئات السياسية التقدمية ومساندتها في صراعها ضد الرجعية الداخلية والاستعمار.

صيانة الحدود وحماية الحياة البرلمانية والحريات الديمقراطية في الداخل.

محاولة العدوان التركي:

بعد أن فشلت المؤامرات المتكررة في تحقيق أهداف الاستعمار وعلى رأسه امريكا لتحطيم استقلال سورية واخضاع الشعب السوري للنفوذ الأميركي... ظهرت فجأة ودون مقدمات أزمة على الحدود التركية فكثرت التحرشات بالرعايا السوريين وقطعت مياه نهر جغجغ وأخذت الدوريات التركية تتسلل إلى الأراضي السورية وتطلق النار على بعض قرى الحدود وأظهر المسؤولون الأتراك بتصريحات رسمية قلقهم من تفشي الشيوعية في سورية وخطر ذلك على أمن تركيا. وأشاروا إلى أن تركيا لن تسمح بان تطعن من الخلف بواسطة الشيوعيين الذين يسيطرون على سورية. وتذكر شعبنا قصة الذئب والحمل...

وبدأ الجيش التركي يتجمع على طول الحدود التركية وبلغت الأزمة ذروتها عندما شوهدت بعض قطع الاسطول السادس الأميركي في المياه الاقليمية السورية وأيقن الناس بأن عدواناً تركيا ـ اسرائيلياً سيقع على سورية وسيشترك في دعمه اميركا واسطولها السادس الذي سيعزل سورية عن أي اتصال بحري اذا لم يساهم بالعدوان الفعلي..

وهب الشعب السوري يقف كالمارد الجبار في وجه امريكا وعملائها من الأتراك والاسرائيليين. وقامت القيادة بتنظيم المقاومة الشعبية في جميع أنحاء البلاد ووزعت الاسلحة الخفيفة المتنوعة على جميع المواطنين بدون استثناء وبلغ مجموع ما وزع خلال اسبوع واحد حوالي ٧٠ الف قطعة سلاح عدا القنابل اليدوية والمتفجرات المتنوعة. وأذكر ان احد الأشخاص اتاني في القيادة العامة وأبلغني بأن السيد خالد بكداش لم يستلم سلاحاً كبقية أبناء حيه وهو يريد قطعة سلاح اسوة ببقية المواطنين فما كان مني إلا ان اوعزت بتسليمه مسدساً رشاشاً من أسلحة المقاومة الشعبية. ولا ادري كيف وصل هذا الأمر التافه لأجهزة عبد الناصر التي أخذت في الآونة الأخيرة تطبل وتزمر لهذه الحادثة التي لم تكن مستغربة في وقتها خاصة ونحن في فترة رهيبة يحاصرنا الاستعمار وعملاؤه من جميع الجهات ويهددنا بالاحتلال التركي، هذا بالاضافة إلى ان السيد خالد بكداش كان نائباً في مجلس النواب وركنا من أركان حكومة التجمع[٢].

وقام المواطنون يحصنون قراهم ومزارعهم ومدنهم في الليل والنهار. وكنت لا ترى إلا المعاول والأسلحة أينما جلت أو تنقلت في مدن وريف سورية. وسيطرت على الشعب روح وطنية عالية، فأصبح المواطنون كخلايا النحل التي لا تنام يتدربون ويحفرون الخنادق ويقيمون التحصينات الدفاعية رجالاً ونساء وشيباً وشباناً وأصبحنا في قيادة الجيش نشعر ان سورية بأسرها اصبحت ثكنة عسكرية تضم الملايين من المقاتلين وان كل شبر من أرض سورية يتحول إلى نار حامية تصهر الغزاة وتبتلعهم.

وكنت أستغرب ويستغرب معي كل اخواني من ضباط القيادة عندما يصلنا ملخص الحوادث التي تقع في كافة محافظات سورية كل ٢٤ ساعة، فلا نجد فيها أي اشارة إلى جريمة أو مخالفة مهما كانت تافهة رغم انه لم يعد يخلو بيت واحد في

٢ ـ واني لا استغرب هذا الموقف من اجهزة الاعلام المصرية غير اني اذكرها فقط بالأسلحة التي وزعت في مصر على الشيوعيين في بور سعيد والمدن المصرية للمساهمة في الدفاع ضد العدوان وكيف تستكثر علينا اعطاء قطعة سلاح لنائب في البرلمان السوري؟..

سورية من قطعة سلاح أو قنبلة أو كمية من المتفجرات أو بعض المعاول والأدوات الهندسية . . . وكانت مفارز ودوريات المقاومة الشعبية قد انتشرت على طول الحدود وفي كل شبر من أرض الوطن . . وكان المواطنون المسلحون يحرسون الجسور والممرات والطرق الجبلية ويساهمون بحراسة مؤسسات الجيش وثكناته التي أخليت من الوحدات العاملة ويعملون كسدنة متممين لبعض الأسلحة الثقيلة من المدافع المضادة للطائرات والمدفعية المضادة للدبابات وغيرها . بل لقد تبرع بعضهم باجتياز الحدود التركية لجمع المعلومات ورصد تحركات القوات التركية . ولا يكاد المواطن ينتهي من عمله اليومي في الحقل والمكتب والمتجر والمصنع حتى يتأبط سلاحه ويقوم بدوره في الحراسة والتدريب أو حفر التحصينات والملاجىء .

ومن أطرف ما سمعته خلال هذه الفترة عندما كنت في مدينة حلب ان اثنين من «زكرتية الأحياء الشعبية» اختلفا في أحد المقاهي وكان كل منهما يحمل بندقية حربية ، فما كان من احدهما إلا ان قام وتوعد رفيقه قائلاً بانه سوف يريه ما يستحقه بعد انتهاء التهديدات التركية وعودة الحياة إلى مجراها الطبيعي !! . .

وفي مكان آخر سمعت ان اثنين من عائلتين مختلفتين تخاصما فما كان منهما إلا ان ذهبا كل إلى بيته حيث أودعا الأسلحة وعادا ليتضاربا بالأيدي ولكن عندما شاهد زملاؤهما هذه البادرة أصلحا ما بينهما فتعانقا وأعاد كل منهما سلاحه الذي أصبح كظله ! . .

وانقشعت الأزمة وزال الخطر بعد أن كاد يؤدي إلى صراع دولي حاد نتيجة تصميم الشعب في سورية على الدفاع عن حريته ووقوف الشعب العربي إلى جانب سورية ، وبعد انذار الاتحاد السوفياتي لتركيا واسرائيل بالكف عن اللعب بالنار والا تعرضتا للعدوان الروسي .

وخاب أمل الاستعمار بعد ان اطلق آخر سهم في جعبته واضطر مرغماً للايعاز إلى السلطات الاسرائيلية والتركية للكف عن التحرشات والحشود . وارتد الاسطول السادس على أعقابه معلناً انتهاء مناوراته المفتعلة .

تبلور فكرة الوحدة مع مصر:

بعد انتهاء الأزمة التي حاول خلالها الملك سعود فرض نفسه وسيطاً بين تركيا وسورية رغم اصرار سورية على رفض وساطته ووساطة غيره وأعلنت اصرارها عل بحث الموضوع أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة. بعد انتهاء هذه الأزمة التي خيبت أيضاً آخر أمل لسعود لكي يصبح بطلاً وزعيماً عربياً يستخدم حظوته البترولية عند أصدقائه للذود عن استقلال سورية. . وبعد عودة السيد صلاح البيطار وزير الخارجية من امريكا حيث قام بتقديم شكوى سورية ضد تركيا لهيئة الأمم المتحدة بعد تردد طويل[٣] اشتدت حركة النشاط السياسي في الأوساط الشعبية والبرلمانية والعسكرية من أجل الاتحاد مع مصر ولم يكن أحد حتى ذلك الوقت ـ على حد علمي ـ يعرف الصورة التي يمكن ان يتم عليها الاتحاد في سورية أو في مصر حتى جمال عبد الناصر نفسه. وقدم الوفد البرلماني المصري لرد الزيارة للبعثة البرلمانية السورية التي ذهبت إلى مصر وقامت المظاهرات في كل المحافظات السورية تطالب بالاتحاد وترحب بالوفد البرلماني المصري. وكان الحماس يتزايد يوما بعد يوم حتى أخذ يتبلور على شكل شعارات غامضة أطلقها حزب البعث الاشتراكي واخذ بكل ما يستطيع يدعو لها في جميع الأوساط حتى أصبحت جميع الألسنة ترددها في المدن والريف بين العمال والفلاحين وفي الجامعات والمدارس وفي الشوارع والمنازل وكنت أينما ذهبت أسمع اصداء الهتافات التالية:

ـ شعب واحد

ـ علم واحد

٣ ـ علمت فيما بعد ان الحكومة السورية اصرت على السيد صلاح البيطار عند ايفاده إلى هيئة الأمم المتحدة، بان يبادر فور وصوله إلى تقديم الشكوى السورية ولكنه لم ينفذ التعليمات إلا بعد عدة برقيات ارسلت اليه. مما كان ولا يزال موضع استغراب من اعضاء حكومة التجمع.

- جيش واحد
- زعيم واحد
- رئيس واحد، الخ . . هذه الشعارات

وطغى التيار الجارف على كل ماعداه حتى وصل إلى البرلمان حيث تسابق النواب أثناء الجلسة التي حضرتها البعثة المصرية البرلمانية - فانطلقت الأصوات واضحة تنادي بالوحدة بين الجمهوريتين السورية والمصرية كنواة للوحدة العربية الكبرى التي طالما نادى بها الشعب العربي في كل مكان. وما ان انتهت زيارة الوفد حتى قامت الحكومة السورية بارسال وفد رسمي من اعضاء وزارة التجمع لبدء المباحثات الرسمية لتحقيق الوحدة بأسرع ما يمكن. واعتقد جميع السياسيين - أو هكذا كان يخيل للجميع - بأن الفترة التي تلت انتصار مصر على دول العدوان الثلاثي وانتصار سورية عام ١٩٥٧ على سلسلة المؤامرات وعلى التهديد بالعدوان المسلح، هي فترة الخسارة للاستعمار ولا بد ان يكون خلالها قد انهك من جراء الانهزامات المستمرة والفشل الذريع، فهو عاجز عن الوقوف في وجه الوحدة بين مصر وسورية. ولذلك يجب اغتنام الفرصة وتحقيق اكبر نصر للأمة العربية عامة ولشعبي الجمهورية المصرية والسورية منذ انهيار الدولة العباسية حتى الآن.

وطغى تيار الوحدة على كل شيء كما أسلفت، وعاد الوفد الحكومي من مصر يعلن ان الرئيس عبد الناصر يقبل بالقرار الذي يرغبه السوريون وهو يرحب بالاتحاد أو الوحدة لما يريدها الشعب والبرلمان السوريان. ومرت فترة جمود أخذت تظهر فيها بعض بوادر التفكك الداخلي وكان أبرزها أزمة الانتخابات البلدية، ومحاولات الائتلاف بين الوطنيين والشعبين، بل وبين البعثيين والشعبيين لنسف حكومة التجمع . . ونشط بعدها حزب البعث في الدعوة للوحدة وأعلن الحرب على كل من لا ينادي بالوحدة[٤] . . ولم يكن قد بقي ممن يرفعون صوتهم

---

٤ - ومما هو جدير بالذكر انني استدعيت في هذه الفترة عدداً من اعضاء قيادة حزب البعث العربي

أمـام البعثيـين والجيش احـد حتى ولو كانوا من المخلصين التقدميين لأنهم يخشون اتهـامهم بالتـآمر والخيانة . . واستخدم هذا السلاح الحاد بقسوة وبراعة زائدين . . وكان أي حديث أو نقاش يدعو لتحكيم العقل والمنطق أو حتى الدعوة للاتحاد بدلاً من الوحدة يوصف بالانحراف والعمل ضد الوحدة والقومية العربية . وكنا نسمع بين وقت وآخـر عن زيـارات خاصـة تقوم بها بعض الشخصيات السياسية بمعرفة سفير مصر محمود رياض إلى القاهرة ، وكلها تعلن الولاء لعبد الناصر وتصر عليه بقبـول الـوحدة ، وكان بعض هؤلاء السياسيين يطلبون منه انقاذ البلاد من تسلط الجيش على الحكم ، ومن خطـر الشيـوعية . وقد صرح بذلك الرئيس عبد الناصر اكثر من مرة في مناسبات مختلفة كما أكد هذا بعض السياسيين السوريين بعد انتهاء حكم عبد الناصر . . ومنهم السيد معروف الدواليبي .

وفي هذا الجو كان مجلس القيادة العسكري يتابع الاحداث عن كثب . وقد أبـلغـت قيـادة الجيش بأن الأمـر أصبـح متـوقفـاً على الجيش وحـده وان الـرئـيس عبـد الـنـاصـر لا يمكـن أن يقبـل الـوحـدة إلا إذا كان الجيش موافـقـاً عليـهـا . **وإن هنـاك اشـاعـات تقـول بأن الـقيـادة الـعـامـة للجيش تتردد في هذه الناحية . وانه يجب ان تبادر إلى نفي هذه الاشاعات عملياً ومادياً باعلان موقفها من الوحدة مع مصر لكي يطمئن الرئيس جمال عبد الناصر من أن الجيش السـوري مع الأحـزاب السيـاسيـة والـبرلمـان والحكـومة والشعب يؤيدون الوحدة .** وعندما طرح الموضوع بهذا الشكل على مجلس القيادة كان جميع أعضائه يؤيدون الوحدة كما تريدها الفئات التقدمية من السياسيين والحكومة .

الاشتراكي إلى مكتبي في رئاسة الأركان واذكر منهم السادة : عبد الكريم زهور ، جمال الأتاسي ، عبـد الله الـدايم ، عبـد الله الـريـماوي ، ريـاض المـالكي ، نخلة كلاس . وطلبت إليهم باسم قيادة الجيش وضع كتاب عن «الدولة الاتحادية العربية» ليكون بمثابة دليل للمسؤولين للاستفادة منه عند اقامة الوحدة او الاتحاد . إلا ان الوحدة تمت قبل ان يتم الكتاب .

الاجتماع بصلاح البيطار في وزارة الخارجية:

اتصل بي الاستاذ صلاح البيضار في أحد الأيام وفي الوقت الذي كنا نناقش فيه فكرة وشروط الوحدة مع مصر وطلب إلي الاجتماع معه في مكتبه وفعلاً ذهبت إليه في اليوم التالي وكان عائداً من مصر بعد ان تباحث مع الرئيس جمال عبد الناصر. وخضنا مواضيع كثيرة إلى ان اتينا على مشروع الوحدة، **فقال لقد بلغنا ان بعض الضباط من أعضاء مجلس القيادة يعارضون الوحدة، وان الرئيس جمال عبد الناصر لا يقبل باتخاذ الاجراءات العملية للوحدة اذا لم يتأكد من موقف الجيش. ثم تساءل، هل صحيح انكم غير راضين عن الوحدة وان هناك فكرة لدى عدد من ضباط قيادة الجيش للقيام بانقلاب والسيطرة على السلطة واقامة حكم عسكري والحيلولة دون قيام الوحدة؟. فأكدت له أنه لا يوجد في مجلس القيادة ولا في الجيش من يقف ضد ارادة الشعب أو يعارض قرار الحكومة والبرلمان وانك سوف تجد ان مجلس القيادة الذي يمثل قيادة الجيش ومختلف وحداته والمناطق العسكرية مجمع على الوحدة.**

وكنت أشير في هذا بدون توضيح إلى مناقشاتنا في مجلس القيادة. . **فاستغرب وقال ان هناك معلومات لدى الرئيس جمال عبد الناصر تقول بان بعضكم غير موافق على الوحدة مع مصر وهو مصمم على القيام بانقلاب عسكري واقامة حكم ديكتاتوري فيها. ولذا فانه لا يمكن ان يوافق على مبدأ** الوحدة بين مصر وسورية اذا لم تبد قيادة الجيش رأيها بصراحة في هذا الموضوع.

اجتماع مجلس القيادة العسكري ووضع مذكرة خطية تشرح رأي القوات المسلحة بالوحدة:

والحقيقة أن ضباط القيادة كانوا يجتمعون يومياً مع ضباط مجلس القيادة لمناقشة فكرة الوحدة أو الاتحاد مع مصر، غير ان حديث الاستاذ صلاح البيطار

والاقـوال التي نقلهـا عن لسان الرئيس جمال عبد الناصر حول موقف قيادة الجيش السـوري، حملا أعضـاء مجلس القيـادة على وضع مذكرة خطية تبين رأي القوات المسلحـة السـورية عامة ومجلس القيادة بشكل خاص لترد فيها على كل محاولات الـدس، ولتضـع عبد الناصر والسياسيين السوريين الذين نقلوا له هذه المعلومات أمـام مسؤولياتهم التـاريخية . . وهكذا تم الاتفاق على تقديم مذكرة خطية لكل من الحكومة السورية، والسيد جمال عبد الناصر في يوم واحد.

وتم توقيـع المـذكـرة في نفس الليلة ثم ابلغ الملحق العسكري القائمقام أبو النور بان وفداً يمثل مجلس القيادة سيغادر دمشق إلى القاهرة في نفس الليلة لحمل المذكرة إلى الرئيس، وان بعض ضباط القيادة سيبلغون المذكرة للحكومة السورية ورئيس الجمهورية في صباح الغد. . وذهل عبد المحسن ابو النور. . لهذه المفاجأة وحـاول المـراوغة لاعاقة تنفيذ هذا القرار ولكنه أبلغ من قبل اللواء عفيف البزرة بأن الطـائـرة جاهـزة وان اعضـاء الوفد قد عينوا وان المذكرة قد وقعت وانه لم يبق عليـه سوى ابـلاغ القـاهرة برقياً بعد قيام الطائرة أو مرافقة الوفد دون اعتراض. فانصـاع للأمـر الـواقـع وذهب الوفد العسكري إلى القاهرة في نفس الليلة حاملاً المذكرة التاريخية المعروفة لابلاغها للرئيس جمال عبد الناصر. وكان الوفد مؤلفاً من السـادة: عفيف البـزرة، عبـد الحميد السراج، مصطفى حمدون، حسين حدة، طعمـة العـودة الله، احمـد حنيدي، جادوعز الدين، اكرم الديري، وعدد آخر لا أذكره بالضبط.

وفي الصبـاح نقلت المـذكرة أنا وأمين النفوري للحكومة السورية بناء على تكليف مجلس القيـادة، فما كان من الحكـومـة إلا ان قررت ارسـال السيـد صلاح البيطار إلى القاهرة ليكون مع الوفد العسكري في مقابلة الرئيس.

وفيما يلي النص الحرفي للمذكرة:

مذكرة القيادة العامة للجيش والقوى المسلحة بشأن الوحدة مع مصر

الاسباب الموجبة:

منـذ ان عرف التـاريـخ شعبـاً باسم «العـرب» في «الجـزيـرة العـربية» كان «للعرب» في التاريخ القديم خصائص طبعت مختلف الدول التي تكلمت العربية بطابع واحد هو النضال والتحرر والاستقلال عن نفوذ الامبراطوريات القديمة.

وكـانت الـدفعـة التي خرجت من الجزيرة بعد توحدها بدولة واحدة وعقيدة انسـانيـة واحدة والتي امتدت خلال قرون طويلة عبر الجزيرة العربية واستقرت ما بين الخليـج العـربي وجبـال فارس شرقـاً والأطلسي غربـاً وما بين طوروس شمالاً والمحيط الهندي جنوباً قد رسخت أصول هذه الأمة ترسيخاً أبدياً وخطت في تاريخ البشـريـة صحـائف بارزة عن حضـارة انسـانيـة ابدعتها هذه الأمة وقدمتها دانية القطوف لمختلف الشعوب.

وتعـاقبت موجـات همجية متعددة وتكالبت لتحطيم هذه الحضارة الانسانية وازالـة كيـانهـا خلال عشـرة قرون. وكـان بفعـل ذلـك ان تمزقت هذه الأمـة إلى دويـلات كثـيرة مختلفـة ولكن بقيت حضـارتهـا في نفس كل فرد من أبنـائهـا على اختـلاف سويتهم الفكـريـة والاجتماعية وبقيت في وجدان كل منهم فكرة ثابتة لا تمحى عن ذاتيتها الماضية وأمانيها المقبلة.

وقد كان للنضال والتحرر في تاريخ العرب الحديث أثر فعال في تحقيق هذه الفكرة في نفوس الملايين من العرب. وكان استقلال وتحرر بعض الشعوب العربية تحرراً كامـلاً حافـز الانتفـاضـات عربية في أماكن أخرى من الوطن العربي وباعثاً على النضال لشعوب أخرى تنشد الاستقلال والتحرر تحقيقاً لتلك الفكرة المستقرة في وجدان كل عربي.

مما سبق تبين أن الوحدة بين مصر وسورية ان هي إلا ضرورة قومية مستمدة من ماضي وحاضر ومستقبل يشترك ما بين أفراد أمة واحدة وأرض واحدة وحضارة عربية تحقيقاً لوحدة شاملة في العصر الحديث ومساهمة في القضاء على الاستعمار في العالم لبناء الانسانية وترسيخاً لرسالتها. وقد عبرا عن ارادتهما في الوحدة الكاملة في شتى المناسبات القومية وخاضا في سبيل ذلك معارك ضارية ضد الرجعية الداخلية والاستعمار الخارجي حتى توصلا إلى هذه المرحلة التي تمكنا فيها من اعلان ارادتهما رسمياً على لسان ممثليهما في كلا القطرين في الجلسة التاريخية المنعقدة في دمشق (١٨ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٥٧).

وكان هذا النصر للقومية العربية بعد صراع رهيب دام مع الاستعمار وخاصة الشعب العربي أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وخلال الخطة الاستعمارية الاميركية التركية الصهيونية على سورية عام ١٩٥٧.

وقد زلزل هذا القرار التاريخي كيان الاستعمار فأخذ يجمع شمله في مؤتمرات متتابعة عقدها مع أحلافه في انقرة وباريس وبغداد وطهران ويجند عملاءه وأعوانه ويكتلهم ويضع الخطط لهم للحيلولة دون تنفيذ هذا القرار.

ولما كانت الظروف الحالية التي نشأت من جراء انتصار شعبنا العربي في مصر وسورية قد ربطت بين قضيتنا العربية وبين السلم العالمي إلى حد بعيد وأفسحت المجال أمامنا لكي نخطو خطوات ايجابية سريعة تتناسب واهمية انتصاراتنا، ونظراً لاحتمال تغير هذه الظروف والمناسبات وخاصة اذا تمكن الاستعمار من انهاء استعداداته للمجازفة بخوض حرب شاملة او محلية بسبب تعرض مصالحه التي يعتمد عليها في حياته الأساسية في وطننا العربي إلى الزوال، فاننا ندعو إلى ضرورة الاسراع باقرار البناء الاساسي للوحدة الشاملة مع مصر والمباشرة بتنفيذه فوراً وتخطي جميع العقبات المصطنعة من دستورية أو سياسية او اقتصادية ونحن نعتبر ان ذل استمرار للأوضاع المحلية اصبح امراً غير طبيعي لا يعتمد في بقائه إلا على المبررات الاستعمارية الموروثة والامتيازات الرجعية

والانتهازية التي لا يمكن الاعتراف بها بعد ان أقر الشعب بأجمعه الوحدة غير المنقوصة.

شكل الوحدة:

من أجل ذلك نرى ان تكون الدولة الموحدة بالخطوط الكبرى التالية:

١ ـ دستور واحد يعلن انشاء الجمهورية العربية الجديدة ويرسم نظام الحكم فيها ويفسح المجال لانضمام بقية الشعوب العربية التي ستحرر.

٢ ـ رئيس دولة واحد.

٣ ـ سلطة تشريعية واحدة.

٤ ـ سلطة تنفيذية واحدة.

٥ ـ سلطة قضائية واحدة.

٦ ـ علم واحد وعاصمة واحدة للدولة العربية.

٧ ـ تسن القوانين المنظمة لحقوق المواطنين وواجباتهم في الدولة الجديدة استناداً إلى هذا الدستور الواحد.

الوحدة الدفاعية:

أما فيما يتعلق بالوحدة العسكرية فنرى ان تقوم على الأسس التالية:

ـ قائد أعلى للقوات المسلحة للدولة العربية الجديدة (رئيس الجمهورية الاتحادية).

ـ مجلس دفاع أعلى.

ـ قيادة عامة للقوات المسلحة.

ـ قوات مسلحة (برية ـ بحرية ـ جوية) موحدة التنظيم والتسليح والتدريب

والتجهيز توزع حسب متطلبات الدفاع والخطط الدفاعية المقررة إلى مسارح العمليات في أراضي الدولة الاتحادية.

ـ موازنة واحدة.

والقيادة العامة للجيش والقوى المسلحة السورية شعوراً منها بمسؤولياتها القومية ودورها التاريخي ووفاء منها للشعب العربي في سورية الذي حملها مسؤولية الدفاع عن بقائه وسلامته لتعلن ان كل وحدة لا تبنى على هذه الأسس المارة الذكر ليست إلا تحالفاً بين جيشين تابعين لدولتين منفصلتين ذلك لأن متطلبات الدفاع وسلامة الأمة وحفظ كيانها في عصرنا الحاضر تقتضي دمج الشعوب العربية المتحررة في كيان واحد لتساهم في تحرير بقية الوطن العربي وتقوم بواجباتها لصون السلم العالمي. كما تعلن القيادة العامة باسم جميع القوات المسلحة انها على أتم استعداد لتحمل جميع الواجبات الدفاعية التي تقتضيها الوحدة الفورية وتعتبر نفسها منذ الآن ملزمة بتنفيذ كل ما تتلقاه من أوامر وتوجيهات تعطى اليها من القيادة العامة الموحدة مهما ترتب على هذا التنفيذ.

دمشق في ١١/ ١/ ١٩٥٨.

اللواء عفيف البزري

القائد العام للجيش والقوى المسلحة

ووقع هذه المذكرة كل من:

عفيف البزرة، امين النفوري، عبد الحميد السراج، احمد عبد الكريم، طعمة العودة الله، اكرم الديري، احمد حنيدي، مصطفى حمدون، عبد الغني قنوت، مصطفى رام حمداني، ياسين فرجاني، عبد الله جسومة، محمد النسر، لؤي الشطي، امين حافظ، ابراهيم فرهود، حسين حدة، غالب الشقفة، جمال الصوفي، بشير صادق. كما قرروا بالاجماع الموافقة على الوحدة الكاملة مع مصر، وترك ترتيب الأمر ووضع الأسس للحكومتين المصرية والسورية ولوضع هذه الوحدة موضع التنفيذ.

الذي يريد وضع شروط الوحدة مع عبد الناصر لم يخلق بعد:

ومما يجدر ذكره أننا عندما أخذنا نناقش نص المذكرة اقترحت شخصياً ايضاح بعض الشروط التي يجب ان تقوم عليها الوحدة وأيدني بذلك بعض الإخوان من ضباط القيادة، الأمر الذي ادى إلى انقسام الحاضرين إلى قسمين قسم يؤيد فكرة وضع الأسس الرئيسية التي ترى أن تبنى عليها الوحدة، وقال الآخرون وكانوا الأكثرية بعدم وضع أي شرط في المذكرة. . ومما قاله احد الضباط رداً على اقتراحي: **بأن الشخص الذي يريد ان يضع شروطاً على عبد الناصر من أجل الوحدة لم يخلق بعد. . وأضاف ان المسألة عبارة عن «حيط بيننا وبين مصر ونريد هدمه هكذا. . . »**. وعلقت على القول بأن الرئيس عبد الناصر انسان وهو كبقية البشر بل يمكن ان يخطىء ويموت ولذلك قد يكون من الأفضل للشعبين وله أيضاً ان تكون الأمور واضحة لكيلا يتحمل مسؤولية مصير الوحدة وحده. . وقام الاعتراض بقوة على هذا الرأي انتهى بوضع النص النهائي للمذكرة.

ومن هنا يتبين السبب الحقيقي الذي سافر من أجله الوفد العسكري إلى القاهرة والذي لا يتعدى حدود **اعلان موقف القوات المسلحة من الوحدة مع مصر، ونفي الشائعات والتهم التي كانت تروجها بعض الأوساط**. ووضع الرئيس عبد الناصر أمام الأمر الواقع ليكشف عن حقيقة موقفه من الوحدة. ولا ندري ما اذا كان عبد الناصر قد جر القيادة إلى هذا الموقف بأساليبه اللولبية أم ان الوفد العسكري أحرج عبد الناصر وبعض السياسيين الذين كانو يريدون الصاق تهمة مقاومة الوحدة بالقيادة العامة؟ واني لأميل اليوم إلى الاعتقاد بان القيادة وضعت في موقف حرج ولم يكن أمامها إلا ان تسلك هذا السلوك النبيل.

الجزء الثالث

قيام الوحدة
وامتداد حكم عبد الناصر إلى سورية

اعــلان الــوحـــدة وانتخـاب السيــد جمال عبـد النـاصـر رئيسـاً للجمهورية العربية المتحدة:

دخلت الوحدة في مراحلها النهائية بعد تقديم المذكرة العسكرية لعبد الناصر وللحكـومة السورية، واعتبر مجلس القيادة أن مهمته قد انتهت وأن شروط وأسس الوحدة ستكون من مهمة الحكومة السورية في مباحثاتها مع الرئيس عبد الناصر. وتبـع ذلـك فعـلاً اجـراء المبـاحثـات بين الحكـومة السورية برئاسة السيد شكري القـوتـلي وبـين جمال عبـد الناصر انتهت باعلان الوحدة يوم ١٩٥٨/٢/٢ ووضع الـدستـور المـوقت ـ وتـلا ذلـك الاستفتـاء الشعبي على الوحدة والدستور الموقت والرئيس يوم ١٩٥٨/٨/٢١ وأعلنت نتائج الاستفتاء يوم ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٥٨.

ووافق المجلس النيـابي السـوري على الـوحـدة الكاملة بين سورية ومصر بالاجمـاع ولم يشـذ عن هذا الاجتـماع سوى النـائب السيـد خالد بكداش سكرتير الحزب الشيوعي الذي تغيب عن الجلسة معبراً عن عدم موافقة الحزب الشيوعي على شكـل الـوحـدة. وفي اليـوم الثـاني قيـل انه غادر سورية إلى الخارج لمعالجة زوجته ثم عاد ليغادرها ثانية في أواخر عام ١٩٥٨ الى لبنان وليبقى خارج سورية حتى الآن.

وعمت الفرحة جميع أبناء سورية وقامت الاحتفالات والاجتماعات الشعبية في المدن والقرى وفي السهول والجبال ابتهاجاً باعلان الوحدة التي طالما ناضل الشعب السوري في سبيل تحقيقها.

ولن أحاول هنا وصف مظاهر الفرحة بين أبناء سورية جميعاً لأنني لا أدعي القدرة على وصف هذه المشاعر بالدقة والأسلوب الأدبي الذي تستحقه، غير انني أؤكد ان غالبية الشعب اذا لم أقل كله كانت ترى في قيام الوحدة أعظم انتصار للأمة العربية منذ عدة قرون، وتعتقد بأن صفحة جديدة فتحت في تاريخ البلاد العربية عندما اجتمعت الطليعة المتحررة في سورية ومصر وهما قلب العروبة، وموئل الحركات الثورية التحررية. وان مراكز الاستعمار في البلاد العربية ستنهار الواحد تلو الآخر، ولن يطول الوقت حتى تقوم الشعوب العربية بدفع حكوماتها إلى السير في طريقة الاتحاد مع الجمهورية المتحدة، وتدمر كل من يقف في وجه هذه السياسة ويصبح حل المشاكل العربية الهامة مثل قضية فلسطين، وقضية الجزائر وقضايا البترول وجنوب الجزيرة العربية بيد العرب أنفسهم، يفرضونه على الاستعمار خلال سنوات قليلة.

كما رأت الطليعة الواعية من العمال والفلاحين والمثقفين بأن الوحدة ستكون الحصن الذي يحمي الثورة الاجتماعية ويدفعها إلى التطور السريع فيتجه المجتمع العربي في الجمهورية العربية نحو الحرية والاشتراكية والديمقراطية بخطى واسعة فيمهد الطريق أمام الدولة العربية الكبرى التي لا مجال فيها للاستغلال الطبقي أو الطغيان الفردي، بل تتجه جهود الشعب العربي بكامله نحو البناء واستغلال الثروات الهائلة لصالح الشعب بكامله عن طريق توزيع الدخل القومي على أسس جديدة واقامة علاقات اجتماعية قائمة على المساواة وتكافؤ الفرص، وقضاء الدولة على الاقطاع والاحتكار ومنع الرأسمالية من السيطرة على جهاز الحكم والسياسة.

هكذا على الأقل كنا ننظر إلى الوحدة ولا حاجة بعد ذلك لوصف مدى الفرحة بها.

مهمة في مصر بعد المؤامرة السعودية :

اكتشفت في أوائـل عام ١٩٥٨ مؤ امـرة جديـدة يشرف على تنفيذها الملك سعـود الـذي ذهـل من هول مفاجأة الوحدة واهتز عرشه من تحته عندما لمس بوادر الثـورة بين صفـوف الشعب السعودي نتيجة تفاعلـه مع عملية الوحدة بين مصر وسـوريـة . فبـادر إلى العمـل ليل نهار وبكل الوسائل من أجل الحيلولة دون تنفيذ الـوحـدة ، وقـاده هذا الحقد إلى السعي لشراء قادة الجيش وخاصة منهم الكتلتين الهامتين فيه وهما كتلة الضباط المستقلين والضباط البعثيين . وخيل اليه ان الفرصة واتتـه عنـدمـا وقـع على شخص سوري اسمـه عزيز عباد وكان عضواً في المجلس النيـابي آنـذاك . . يدعي الصـداقة مع ضباط القيادة ـ فوضع تحت تصرفه مليون جنيـه اسـترليني ليدفعها لضباط الأركان مقابل القيام بحركة عسكرية تؤ خر تنفيذ الـوحـدة . وعنـدمـا عرضت المسألـة علينـا في اجتـماع مجلس القيادة قررنا تكليف السـراج بمتـابعـة المؤ امـرة ومحاولة الحصول على أكبر مبلغ ممكن من سعود الذي يبـدو أنـه كان مستعـداً لدفـع أي مبلغ للقيـام بانقـلاب يمنـع الـوحدة بين مصر وسورية ، ويحول دون وصول نفوذ جمال عبد الناصر إلى سورية . وصدق ظننا ، اذ ما كاد يبلغ سعود أن المليون الأول لم تكف الضباط وأنهم يطلبون المزيد من المال حتى بادر بتحـويـل شيـك آخـر على البنك العربي في دمشق بمبلـغ مليون جنيه اسـترليني آخـر ، وفي نفس اليـوم سجـل هذان المبلغان باسم رئيس الشعبة الثانية عبد الحميد السراج بناء على قرار القيادة العامة للقوات المسلحة . وفي اليوم الثاني قرر مجلس القيادة وضع المبلغ تحت تصرف الرئيس جمال عبد الناصر واطلاعه على تفاصيل المؤ امرة التي كانت تهدف :

أما للقيام بانقلاب يمنع الوحدة أصلاً .

أو قتـل عبـد النـاصـر بتـدمـير طائرته أو بأية وسيلة أخرى لمنع هذه الوحدة والتخلص نهائياً من عبد الناصر.

ومن أجل ذلك سافرت والعميد عبد المحسن أبو النور إلى القاهرة وكان آنذاك ممثلاً للقيادة المشتركة في سورية. وفور وصولنا إلى المطار ذهبنا مباشرة لمقابلة الرئيس في بيته حيث استقبلني بمفردي فسلمته الشيك بـ١ مليون جنيه استرليني وأطلعته على المؤامرة بناء على قرار مجلس القيادة الذي كلفني بذلك.. ثم بدأنا بالحديث عن الوضع في سورية، وكان الرئيس يستمع إلي بصمت يدل على منتهى الانتباه والإخلاص وكان يشجعني على الصراحة اللامتناهية، بل لقد كنت اشعر بانني اتحدث مع اخ لي يؤمن بكل ما أؤمن به ويحمل الرسالة التي يحملها كل اخواني بل كنت أراه أجدر من الجميع بحمل مسؤولية تنفيذ الثورة العربية نحو التحرر والاشتراكية التي طالما حلمنا بها.

وجرى بيني وبينه حديث طويل أذكر منه النقاط الرئيسية التالية:

١ ـ هل من الضروري ذهابه إلى دمشق أم لا. وكنت مكلفاً من قبل اخواني باقناعه بعدم الحضور في تلك الأيام إلى سورية خوفاً عليه من مؤامرات الاستعمار وعملائه من الحكام العرب المحيطين بسورية والذين قامت قيامتهم بسبب اعلان الوحدة.. وأصر هو على زيارة سورية والاجتماع بالشعب الذي انتخبه رئيساً للجمهورية دون أن يراه. وكان يقول ان هذا الشعب يستحق مني كل تضحية ولو دفعت حياتي ثمناً للاجتماع به.

٢ ـ كيفية تنظيم الحكم في الجمهورية وخاصة في سورية ومسألة نيابة رئاسة الجمهورية في الاقليم السوري وصلاحيات نواب الرئيس والأشخاص الذين يمكن ترشيحهم لهذا المنصب الخطير في نظره.

وشعرت بانه يخشى تسليم الأمور في سورية لأكرم الحوراني ولا يثق بصبري العسلي، كما لا يطمئن إلى اجماع الرأي عليه وخاصة في الجيش، وشعرت بان هذه المسألة تشغل فكره وتستأثر بكل اهتمامه. وناقش معي فكرة تعيين شخص مصري كالبغدادي أوعامر ولكنني قلت له بأن تعيين مصري لتصريف شؤون سورية سيكون له وقع سيء في نفوس المواطنين جميعاً وخاصة في نفوس القادة السياسيين الذين عملوا لتحقيق الوحدة والذين يشعرون بأهليتهم

وحقهم في هذه المهمة . . . وكان يلح علي لكي اسمي شخصاً بالذات إلا انني كنت أصر على أني اعتقد بان ذلك من مسؤوليته هو، وانني ورفاقي جميعاً نثق به كل الثقة وأن الشخص الذي سيعينه سيشفع له مهما كانت نوعيته بأنه «موضع ثقة جمال عبد الناصر» . . وسيتعاون معه الجميع .

٣ ـ كما تعرضنا لمشكلة الأحزاب وموافقتها جميعها على حل نفسها باستثناء الحزب الشيوعي . والحقيقة انني كنت آنذاك كبقية زملائي أؤمن تماماً بضرورة تجميد نشاط الأحزاب بعد قيام الجمهورية لكي نفسح المجال خلال الفترة الانتقالية ـ أمام الحكم الجديد لتنظيم شؤون البلاد واقامة الوحدة الفعلية تدريجاً بين البلدين وخاصة فيما يتعلق : بالدفاع ـ والسياسة الخارجية ـ والاقتصاد ـ والتعليم ـ والتشريع بشكل عام . . ووضع الأسس لتطوير البلاد اقتصادياً واجتماعياً عن طريق ادخال مبادىء التخطيط في جميع أوجه نشاط الدولة ، والتمهيد للحياة الدستورية الديمقراطية في الجمهورية .

زيارة الرئيس لسورية

عدت إلى دمشق ولم يمض إلا ٤٨ ساعة حتى أبلغت صباح يوم ١٩٦٢/٣/٥ وكنت في مكتبي في الاركان العامة ، بأن الرئيس عبد الناصر وصل إلى سورية وهو في المطار. فاتجهت فوراً إلى المطار ولكني صادفت موكب الرئيس أمام منزل السيد شكري القوتلي في شارع الجلاء . . وما هي إلا دقائق حتى كانت دمشق وضواحيها تتدفق كالسيل إلى حي أبورمانة . . وخيل الينا بأن تياراً كهربائياً مس قلوب الناس فزحفت دون وعي إلى لقاء زعيم طالما حلموا بلقائه . . وأمل طالما داعب أفكارهم . . جمال في دمشق . . ان ذلك عيد وأي عيد . . انه يوم من أيام دمشق الخالدة . . وسيبقى يوماً خالداً يؤكد زعامة دمشق لفكرة الوحدة العربية ويؤكد بان دمشق قلب العروبة وقلعتها الحصينة ورأسها المفكر.

أجـل زحفت دمشق شيبـا وشبـابـاً، بل زحفت سوريـة بمدنها وقراها كلها واتسـع نطـاق الـزحف حتى عم كل الأقطـار العربية المجاورة لسورية. . كل من استطـاع الـزحف ولـو على قدميـه. . زحف إلى ساحـة الجلاء وهتف لجمال عبد النـاصـر ودمعت عيـون الناس عند رؤية جمال ورأوا فيه مستقبل بلادهم وأهدافها عنـدمـا رأوه وسمعوه. . . انني أعجز عن وصف لقاء الشعب العربي لزعيمه جمال عبـد النـاصـر. . لقـد وصفـه عبـد الناصر نفسه بأنه الزحف المقدس. . واستمر الـزحف أيـامـاً طويلة تعطل خلاله كل نشاط في سورية، كل الناس يزحفون إلى دمشق ويرقصون ويهزجون أو يتحدثون عن الوحدة وعن جمال وعن آمالهم في المستقبل.

تشكيل الوزارة في الاقليم الشمالي:

وفي مساء ٦ آذار استدعاني والسيد أمين نفوري المشير عبد الحكيم عامر إلى مكتبـه في المهـاجـرين، وهناك وجدت عبد المحسن ابو النور وضابطاً مصرياً أسود يدعى علوي. . وكـان هو وعبـد المحسن يعـرضـان على المشـير أسـماء الضبـاط السـوريـين ويـنـاقشـان وايـاه تنقـلات يريد المشير عامر تنفيذها. . وعندما دخلنا لاحظت أن المناقشة قد فترت كما حاول عبد المحسن اخفاء السجل[1] الذي كان

١ ـ شاءت الصـدف ان اطلع على نسخـة طبق الاصـل عن تقـرير عثر عليه في بيت المشير عبد الحكيم عامـر، ويمنعني الحـرص على الاسـرار العسكـرية من نشره. ويبدو ان كاتب التقرير هو العقيد محمد علوي كاتم اسرار الجيش، وهو يوضح فيه الطريقة التي يجب اتباعها لتعيين العقيد جادو عز الدين او العقيد جاسم علوان، قائداً عاماً للجيش الأول. ويبين التقرير كيفية استهلاك الضبـاط الـذين هم اقـدم رتبـة من هذين العقيـدين وذلـك بالاحـالة على التقاعد او التعيين في وزارات الـدولـة او الشـركـات المؤممة. ويبرر التقرير هذه العملية بأنها الوسيلة الوحيدة للسيطرة على الجيش السوري اطول مدة ممكنة.

يقرأ منه أسماء الضباط، وعندما حاولت مازحاً التطلع إلى السجل بدا الارتباك على عبد المحسن. . فقلت له: «مالك يا عبد المحسن؟ شو صاير عندك أسرار علينا؟. . » ولم يجد ما يجيب سوى ضحكة عالية اعتاد اللجوء اليها عندما يحرج. . وشعرت وشعر معي الأخ أمين النفوري بأن المشير وعبد المحسن أبو النور يدبران أمراً لضباط الجيش، خاصة وقد سرت بعض الشائعات عن تسريح عدد كبير من الضباط بحجة ابعاد الجيش عن السياسة نهائياً. ويتصرفان كأن الجيش السوري أصبح لعبة بأيديهم. . وتدخل المشير لينقل الحديث إلى أرض جديدة. . لم نكن نتوقعها. . وذلك ليصرف انتباهنا عن ارتباك عبد المحسن. . فإذا به يبادرنا بقوله: **انه مكلف من قبل الرئيس بابلاغنا اختياره لي وللنفوري كي نكون اعضاء في الوزارة التي ستشكل صباح يوم ٨ آذار وان الرئيس لا يقبل أي عذر ما دام مجلس القيادة قد وضع نفسه تحت تصرفه وترك له الحرية بتعيين افراد هذا المجلس في المكان الذي يريد، او تكليفهم بأي عمل يشاء. وأضاف المشير بأن القضية اصبحت منتهية وارجو ألا تناقشا قرار الرئيس وما دام قد اختاركما وبعض زملائكما للوزارة فعليكم جميعاً ان تقبلوا وهذا واجب. وما دمتم قد ساهمتم في بناء الوحدة، فعليكم ان تتحملوا مسؤوليتها مع الرئيس.**

ولم يكن أمامنا إلا قبول الأمر الواقع.

الرئيس يوزع الأوسمة المصرية على ضباط قيادة الجيش:

وهنا لا بد من الاشارة إلى ما جرى في اليوم الذي وصل فيه الرئيس إلى دمشق. . طلب إلي المشير الحضور إلى قصر الضيافة فوجدت اللواء بزرة وعبد الحميد السراج عند الرئيس فطلب إلي الرئيس ان أجمع أعضاء مجلس القيادة في غرفة رئيس الأركان ليجتمع بهم المشير عامر. وعدت فوراً إلى الأركان وأبلغت ضباط مجلس القيادة. وفعلاً تم اجتماعهم وحضر المشير فأبلغنا شكر الرئيس

للجيش السوري على مواقفه البطولية التي قضت على المؤامرات ضد استقلال سورية وساعدت على تحقيق الوحدة.

ثم ابلغنا بان مهمة مجلس القيادة قد انتهت ووزع على اعضاء المجلس الأوسمة المصرية. وفوجئنا بان هناك أوسمة لبعض الضباط من خارج المجلس و. . . وعندها قلت للمشير: اننا نستغرب أولاً مبدأ توزيع الأوسمة على أعضاء المجلس فان ذلك يعتبر بمثابة مكافأة لهم على واجب مقدس نحوبلادهم لا يريدون من ورائه جزاء ولا شكوراً. كما ان اعطاء بعض الضباط من خارج المجلس أوسمة بهذه المناسبة دون غيرهم تزيد من تعقيد وغموض الفكرة التي بني عليها منح هذه الأوسمة. . وتنبه إلى ذلك بعض الاخوان ولا أقول كلهم، فاقترحنا على المشير بأن يكون أفراد القوات المسلحة جميعهم موضع التقدير لأن الفضل بالنسبة للوحدة يعود اليهم، ولذا يجب منحهم وساماً تذكارياً يحمله جميع العسكريين الموجودين في الخدمة خلال هذه المرحلة فوافق على ذلك.

وفي نهاية الاجتماع سُلِّمت للمشير عامر كافة وثائق مجلس القيادة التي ـ والحق يقال ـ لم تكن كثيرة، وانما تقتصر على بعض ملخصات للقرارات التي اتخذت في هذا المجلس منذ انشائه. وملخص لبعض محاضر الاجتماعات. وأعلمنا المشير بأنه سيسلم هذه الوثائق للرئيس عبد الناصر وانتهى الاجتماع.

وجدير بالذكر أنه خلال اجتماعنا بالمشير، وكان ذلك في حوالي الساعة الثامنة مساء، أطفئت الأنوار لعطل فني في خطوط كهرباء مبنى الاركان العامة. . فلاحظت تشاؤم المشير وعبد المحسن وارتباكهما. . وما لبث ان عاد النور وتابعنا الاجتماع، ولكني لاحظت ان هذه الحادثة الطارئة تركت انطباعاً سيئاً لدى المشير عامر والمصريين ظهرت آثاره فيما بعد عندما أخذنا نسمع منهم عن وجود عناصر في القيادة لا ترغب في الوحدة بل تفضل الاتحاد. . ومنذ تلك الساعة أخذنا نلاحظ شكوك الضباط المصريين بالضباط السوريين. . ونلمس في كل مناسبة الرغبة في التفريق بالمعاملة بين ضباط مجلس القيادة ـ حتى بات البعض يعتقد انهم غير موثوقين وكان على رأس هؤلاء السادة عفيف البزرة وطعمة العودة الله وأحمد

حنيـدي . وحصلت اثـر ذلـك مضـاعفـات وأزمـات ليست بالسهلة بسبب هذه الشكـوك التي زرعهـا المشـير ومن ورائه الرئيس بالذات أهمها اقالة الفريق عفيف البزرة وابعاد السيدين طعمة العودة الله واحمد الحنيدي عن قيادتيهما في سلاح المدرعات .

تشكيل الوزارة واداء اليمين :

اني أتجـاوز الحقيقـة اذا ادَّعيت المفـاجأة بهذه المشـاورات الشكليـة لقبول الوزارة فقد سبق أن همس لي عبد المحسن ابو النور في أوائل شهر شباط بأن الرئيس ينـوي اشـراك كل من امـين النفـوري ومصطفى حمدون ، وعبـد الحميـد السراج بالوزارة المقبلة ، وأظن أنه همس بهذا في أذن جميع الضباط الذين عينوا وزراء ، كما أظن انه اتبع مع كل واحد منا أسلوباً ملائماً لعرض الموضوع . ومن بوادر ذلك أننا لاحظنـا جميعـاً تعاظم الدور الذي أخذ يلعبه عبد المحسن منذ ذلك الوقت عندما أخـذ يتصـرف وكأنه الموثوق الوحيد من الرئيس وانه بهذه الوسيلة يستطيع رفع من يشـاء وخفض من يشـاء . . وهـوعلى كل شيء قديـر . . **ويجب ان نعترف بمزيد الأسف ان هذه البضاعة لاقت رواجها لا بين العسكريين فحسب بل شملت كل السيـاسيـين بلا استثنـاء ، واخص منهم بالـذات أولئـك الذين كانوا يسمون قادة حكـومـة التجمـع** . إلا ان الـدور بالنسبة لهؤ لاء كان يمثله أحسـن تمثيل السفير محمـود ريـاض وعـائلتـه المصـونـة اللذان أصبحا سادة الحفلات وزينة المناسبات واصبـح بيتهـا مكـة دمشق بلا منـازع بعـد ان خبا ضوء قصر المهاجرين وبيت أبو رمانة (منزل القوتلي الخاص) . . .

أجـل لم نفـاجأ بالمنصب الـوزاري لهذا السبب ولأسبـاب أخـرى أهمها ان المنطق كما يبدو كان يقتضي تصفية ضباط الأركان كدفعة أولى . .

ولذلك عندما حاولنا التملص من قبول الوزارة أجابنا المشير بأنكم وعدتم

الرئيس جميعاً بأنكم تضعون أنفسكم تحت تصرفه وتركتم له الحرية في تعيينكم في المكان والوظيفة التي يريد. . وهنا لم يعد لدينا ما نقول. . خاصة وقد أضاف بأنه اذا لم تتحملوا انتم مسؤولية الوحدة معنا فمن سيتحملها؟. . انكم انتم المسؤولون عن هذه المرحلة الخطرة في تاريخ سورية وان رفض الوزارة معناه التهرب من هذه المسؤولية. . وقلنا ليكن. . وهنا ذكر لنا بأن الرئيس يشترط قطع كل علاقة لنا بالقوات المسلحة حتى الصداقات ويطلب منا الا نحاول الاقتراب من العسكريين او الاتصال معهم إلا عن طريق المشير عامر لأنه اصبح وحده المسؤول عن افراد القوات المسلحة. . ولم يكن امامنا إلا القبول بهذا الشرط ايضاً. . كيف لا وقد وعدنا الرئيس بذلك سلفاً. . وكف لا وليس في أذهاننا اية فكرة اخرى غير التفاني من اجل الوحدة وبناء الجمهورية المتحدة. . واشتراكنا في الحكم يعني اننا سنشارك في رسم سياسة الجمهورية العامة وليست القوات المسلحة إلا عنصراً تنفيذياً لهذه السياسة وان كانت أكثرها فعالية وأهمية. . وقبلنا كل الشروط على هذا الأساس بل اكثر من ذلك أن ثقتنا غير المحدودة بالرئيس وبقيادته لثورة مصر التي أصبحت ذات طابع عربي جعلتنا نتجنب أي نقاش فيما يمليه علينا خاصة واننا كنا نشعر بأن الشعب كله معنا في منح هذه الثقة للرئيس عبد الناصر.

ولم نر الرئيس في اليوم التالي بل داومنا كل في مكتبه برئاسة الأركان وسمعنا القرارات الجمهورية بتسمية الوزراء وتوزيع المقاعد كما سمعها أي مواطن عن طريق الاذاعة.

وأذكر انني شعرت في تلك الدقيقة بالأسى يعصرني فينتزع من عيني دمعات ساخنات أخفيتها عن بعض الاخوان الذين تجمعوا في مكتبى لتهنئتي، وأحسست بأنني أودع أعز أيام حياتي وأقف على عتبة مستقبل مجهول غامض يمتد إلى اللا نهاية.

ولأول مرة يدخل علي محرر مجلة روز اليوسف الاستاذ ممدوح رضا لتهنئتي «بثقة الرئيس» ويطلب إلي ان اجيب على بعض الأسئلة لأن من حق الشعب

علينا وقد اختارنا الرئيس للقيام بأعباء الحكم ان يعرف عنا الشيء الكثير. . وانه لم يعد لنا الحرية بالصمت بعد أن أصبحنا «مدنيين» و. . أجبت على بعض الأسئلة. . كان منها: «انني لم أكن أفكر قط بأن اصبح وزيراً. . كما انني لو لم ادخل الكلية العسكرية لكنت معلماً في احدى مدارس سورية الابتدائية. . ولولا بعض الظروف لكنت فلاحاً بسيطاً في قريتي اجاهد من اجل لقمة العيش». . . وكان هذا أول عهدي بالأحاديث الصحفية. . ولم يدر بخلدي أن صحافيينا (آنذاك) لم يكتفوا بسلب حرية الصمت منا بل احتكروا لأنفسهم ولا أدري من معهم. . حرية تبديل وتحريف كل او جزء من الأحاديث الصحفية. . وهكذا قرأت بعض ما قلت في روز اليوسف ولكنني لم اجد اهمه وهو ما ذكرته حول دور الشعب العربي في سورية باقامة الوحدة بين البلدين الشقيقين، وكذلك دور القوات المسلحة في حماية سورية من المؤامرات وفي بناء الوحدة مع الشعب. . وكان هذا اول حديث لي مع روز اليوسف. . وكان الحديث الثاني بعد استقالتي الأولى وسآتي على ذكره فيما بعد.

وفي صباح يوم ٨ آذار ١٩٥٨ دعينا لاداء اليمين القانونية أمام رئيس الجمهورية فى قصر الضيافة. . و. . أقسمنا اليمين.

في وزارة الشؤون البلدية والقروية:

واستلمت وزارة الشؤون البلدية والقروية وهي وزارة مستحدثة في سورية ولم يكن لها مقر ولا موظفون حتى ولا حاجب. . وقمت بأول عمل لي كوزير للشؤون البلدية والقروية في مكتبي برئاسة الأركان العامة، حيث كنت أودع ضباط ونقباء وأفراد الشعبة الثالثة وكأني أودع أعز شيء على نفسي في هذه الدنيا، وأسلم الأوراق السرية لأقدم ضابط فيها بسبب عدم التحالق المقدم أكرم الديري الذي عين خلفا لي في رئاسة الشعبة الثالثة. .

وكـان هذا العمـل هو استقبـال بعثـة من مهنـدسي وزارة الشؤ ون البلدية والقـرويـة التنفيـذيـة في الاقليم الجنـوبي برئـاسـة وكيـل الوزارة الدكتور عزيز ياسـين . . وأعطيت هذه البعثـة التعليـمات الـلازمـة للقيـام بجولة على المجالس البلديـة الكـبر ى في دمشق وحلب وحمص وحمـاة والـلاذقيـة وديـر الـزور ودرعـا والسـويـداء . . وحـوالي السـاعـة ١٢ من نفس اليـوم ذهبت إلى أمـانة العاصمة فاستقبلني أمـين العـاصمـة الـدكتـور بشـير القضماني وأ , مين السر وكبار الموظفين وطلبت فوراً التعـرف على المـوظفين واستقبلتهم في مكتب أمين العاصمة وألقيت فيهم كلمة وصافحت كل فرد منهم وطلبت اليهم مضاعفة الجهد والنشاط وتحسين علاقاتهم مع المواطنين وتسهيل المعاملات الروتينية والبت بطلبات المواطنين بسرعة وصراحة . . وخصصت لي غرفة في الدور الثاني من مبنى أمانة العاصمة ولها ملحق صغـير وضعت فيـه سكـرتـير ي الخاص الذي أخذته من الجيش لأنه أمضى مدة طويلة يعمـل معي فاعتـاد على أسلوبي في العمل وأصبح يفهم ما أريده بسرعة ، ويستطيع صياغة الكتب التي أمليها عليه بسهولة وأمانة ، هذا بالاضافة إلى ثقتي به .

وباشرت العمل على تنظيم جهاز الوزارة وبحثت عن أساس لهذا التنظيم فلم أجـد سوى شعبـة مرتبطـة بوزارة الـداخلية . . تسمى ادارة البلديات وفيها ٣ موظفـين ، وقسم آخـر مرتبـط بوزارة الاشغـال العـامة والمواصلات ومهمته تنظيم وتخطيط المدن وفيه مهندس واحد ومساعدان فنيان .

وكـان لا بد لي من مسـاعـد قانـوني له خبرة بمشـاكـل الادارة والقـوانين ، فاستدعيت السيد كمال نور الله وطلبت منه معاونتي في انشاء جهاز الوزارة وتنظيمها على ان يصبـح أمينـا عامـاً للوزارة فيـما بعـد وكـان آنـذاك عضواً في ادارة تفتيش الدولة . . واخذ يعمل معي دون صدور قرار بنقله ودون أي مستند نظامي . .
وبـدأت وزارة البلديـات تعمـل منذ الدقائق الأولى من يوم ١٩٥٨/٣/٩ وكان همي :

أولاً ـ وضع مشروع التنظيم الأساسي للوزارة وتحديد ملاكها واختصاصاتها وتقدمه للرئيس لاصداره.

ثانياً ـ تحديد مقر للوزارة وتحضيره للاستقبال الجهاز.

ثالثاً ـ تعيين الموظفين اللازمين لجهاز الوزارة . . وخاصة الجهاز الفني.

رابعاً ـ ممارسة الصلاحيات الفعلية والمباشرة بالعمل.

وبنفس الحماس والجد الذي اعتدته طوال حياتي العسكرية أقبلت على العمل ليل نهار لانجز تنظيم الوزارة وتكوينها . . وكنت لا أنام إلا ساعات قليلة من الليل ولا أترك لمعاوني القليلين إلا الوقت الكافي للطعام والنوم . . وواجهت منذ اليوم الأول مشكلة طالما عجزت الحكومات السابقة عن وضع الحلول الجذرية لها ألا وهي مشكلة «الخبز». ولم تكن مهمة التموين من اختصاصي ولكن رأى الرئيس اضافتها لي بصورة مؤقتة ريثما تشكل وزارة مستقلة لها تضاف إلى وزارة الاقتصاد . . وقيل لي أن بامكاني ايجاد حل معقول «للخبز» يرضى عنه المستهلك والمنتج . . ولكني ما لبثت ان اقتنعت بان مشكلة التموين ومنها الخبز مرتبطة اساساً بالنظام الاقتصادي للدولة وانه من المستحيل ايجاد حل دائم لمشاكل التموين إلا ضمن الحدود التي يسمح بها النظام الاقتصادي . . ولما كانت بوادر الموسم قد بدأت تظهر جلياً للعيان بأنها لا تبشر بالخير أخذت تتفاقم مشكلة الخبز يوماً عن يوم حتى لقد أخذت علي القسم الأعظم من وقت العمل واجهزت على ما تبقى لي من أوقات الراحة . . وأيقنت نهائياً أنه من العبث ايجاد حل ضمن النظام الاقتصادي الحالي، إلا اذا كان الموسم حسناً والحبوب متوفرة بكثرة لا تسمح بالاحتكار وتساعد اصحاب المطاحن والخبازين على الربح الذي اعتادوا عليه دون رفع أسعار الرغيف . . وسجلت بعض النجاح في ادارة التموين ولكني اعترف بان هذه النجاحات كانت جزءاً ايجابياً بسيطاً ضمن فشل كامل.

ومللت مهمة التموين وأصابني منها القرف لأنها عطلت علي عملي الاساسي وهو الشؤون البلدية والقروية، وما كان أحوجه لكل ذرة من الجهد.

وأخيراً صدر القرار التنظيمي للوزارة وملاكها واختصاصاتها واستأجرنا مقراً

لها في ساحة يوسف العظمة وجهزناه على عجل ونقلت مكتبي إليه وانتقل معي إلى هذا المقر ثلاثة موظفين كبار هم الأمين العام، ومدير ادارة البلديات، ورئيس قسم التخطيط واستعرت حاجباً من أمانة العاصمة.

وأخذت بتعيين الحد الادنى من الموظفين والفنيين الذين تسمح بهم ميزانية الوزارة التي لم تتجاوز ٣,٨ ملايين ليرة سورية للمشاريع والنفقات الادارية والرواتب. واخيراً اخذ يتكون هيكل الوزارة واصبح لها لافتة كبيرة تطل على الشارع ومكتب استعلامات وسيارتان لنقلي ونقل الموظفين استعرتها من بلدية دمشق ووزارة المواصلات..

والحقيقة ان الوزارة في بداية تكوينها اعتمدت كلياً على امكانيات ووسائل أمانة العاصمة حتى لم يعد الكثيرون يفرقون بين وزارة البلديات وأمانة العاصمة، وظن البعض ان الوزارة امتصت هذه الأخيرة وحولتها إلى جهاز مركزي يهتم بكافة بلديات الاقليم.. ولكن عندما نقلنا مكاتب الوزارة إلى المقر الجديد اتضحت شخصية الوزارة المادية والمعنوية به وانفرجت محنة أمانة العاصمة التي استمرت حوالي شهر.. واعترف بأن امين العاصمة الدكتور بشير القضماني لم يأل جهداً في تقديم كل الامكانيات لتسهيل مهمتي العسيرة.

واستغرق مني العمل في اقامة الوزارة وجمع المعلومات عن البلديات وحل مشاكل الخبز والطحين العويصة وانتقاء الموظفين، كل وقتي وكياني.. وكنت أريد اثبات وجود هذه الوزارة التي كان الكثيرون يتساءلون عن أسباب انشائها ويخلطون بينها وبين وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وأحياناً وزارة الزراعة والاشغال والمواصلات.. واستطعت في الأسابيع الأولى ان أكون لهذه الوزارة الشخصية المميزة عن غيرها، وأشعر المواطنين والمصالح التابعة لها بأهميتها وفائدتها لخدمة الاقليم..

وكان أهم المشاكل التي واجهتها الوزارة بعد مباشرتها بالعمل هي:

١ ـ تأمين مياه الشرب في بعض القرى العطشى.

٢ ـ معالجة أزمة السكن في المدن بالنسبة للطبقات المحدودة الدخل.

٣ ـ ربط المجالس البلدية بالوزارة وتعويدها على تلقي تعليماتها وسياستها العامة منها.

٤ ـ حصر الخدمات اللازمة للقرى والمدن مما يقع في اختصاص الوزارة كالانارة والتخطيط والمجاري وتحسين مستوى مناطق الاصطياف.

٥ ـ وضع الخطة لتنفيذ الخدمات والمرافق في المدن والقرى على أساس من العدالة الجغرافية، والاسبقيات المبنية على دراسة واقعية ما أمكن.

ولشد ما فوجئت عندما لم اجد أي مستند أو وثيقة أو احصاء يمكن الوثوق بها كمرجع يستند اليه في تحديد حجم هذه المشاكل وترتيبها حسب الأسبقية اللازمة. . وبالتالي وضع الخطط المناسبة للمباشرة بالعلاج حسب الامكانيات المالية والفنية التي وضعت في ميزانية الوزارة أو المتوفرة لدى المجالس البلدية.

ولطالما قضيت الساعات الطوال بل الأيام والأسابيع أتقصى وأبحث مع الموظفين عن أسس هذه المشاكل لاضع برنامجاً أعمل بموجبه، وكنت كما يبدو أفتش عن رابع المستحيلات. . وكان لألحاحي وقع مستغرب أحياناً لدى الموظفين الذين اعتادوا العمل بدون خطة أو هدف. . واعتادوا على الارتجال والانجراف مع المشاكل اليومية دون الاهتمام بما سيأتي به الغد. . ولعل هذا من احدى سيئات عدم الاستقرار في الحكم.

وكنت من جانبي اجد العمل الارتجالي أمراً مخالفاً للطبيعة والمنطق والعقل فقد اعتاد تفكيري على مواجهة الأمور على أسس واقعية وعلمية منطقية. . نتيجة اسلوب العمل المنهاجي الذي طبعتني به الحياة العسكرية والتي تمتاز بالنظام والدقة، وكذلك نتيجة اسلوب العمل في كلية الاركان والقيادة العامة.

انني ككل عسكري لا يستطيع العمل إلا على أساس عناصر ثلاثة يجب توضيحها:

١ ـ الهدف الواجب تحقيقه أو الوصول اليه (أو حجم المشكلة او المشاكل التي تقع في الاختصاص).

٢ ـ الوسيلة أو الوسائل الجاهزة بين يديه أو التي يمكن توفيرها عند بدء العمل أو اثناء تنفيذه.

٣ ـ الوقت أو المراحل التي يحقق خلالها العمل والمكان الذي يحقق فيه الهدف أو الأهداف.

وعلى ضوء ذلك قد توضع الخطة والبرامج اللازمة للقيام بالمهمة الأمر الذي لا يترك مجالاً واسعاً للاحتمالات السيئة التي تعرقل العمل أو تسبب فشله.

وجهاً لوجه مع المشاكل العامة:

والحق انني وأنا أتكلم هنا عني وعن زملائي الوزراء العسكريين لم نكن بعيدين عن رجال السياسة في سورية وخاصة الشخصيات الرئيسية منهم بل على العكس فان طبيعة الأوضاع في سورية منذ عام ١٩٤٩ كانت تجعل ضباط الجيش وخاصة منهم الفئات التي ساهمت من قريب أو بعيد بالاحداث العسكرية والسياسية، تجعلهم على صلة وثيقة مع السياسيين ومع السياسة الداخلية في سورية بشكل عام.

ولذا فاننا لم نجد أية غرابة عندما جلسنا إلى جانب اخواننا المدنيين كنائبي الرئيس والوزراء.. بل على العكس فاننا كنا قد اعتدنا منذ عام ١٩٥٧ على الاجتماع بمجلس الوزراء وتبادل الرأي مع الحكومة بالاضافة إلى ان كثيراً من الساسة كانوا ينساقون في علاقاتهم بل وملقهم واحترامهم للضباط الذين لهم كلمة مسموعة في القوات المسلحة وأخص منهم رؤساء شعب الأركان وقادة الوحدات المدرعة.

ومن الجدير بالذكر اننا كنا نجهل الكثير عن صفاتهم وكفاءاتهم في فهم شؤون الدولة والادارة، وتوجيه السياسة العامة والادارة في المستويات العليا.

وكان المجلس التنفيذي مشكلاً من عناصر ثلاثة:

١ ـ سياسيين ساهموا في قيام الوحدة وحملوا مسؤولية الحكم في الفترات الحرجة التي مرت على سورية خلال السنوات التي سبقت ذلك، أي منذ انهيار حكم أديب الشيشكلي حتى قيام الجمهورية المتحدة. بالاضافة إلى الدور الرئيسي الذي قاموا به في النضال ضد الانتداب الفرنسي وفي فترة الاستقلال.

٢ ـ عسكريين ساهموا في الاحداث السياسية مع زملائهم ضباط القوات المسلحة وكانوا أعضاء في مجلس القيادة وشغلوا اكبر مناصب القيادة في الجيش.

٣ ـ فنيين دخلوا الوزارة بسبب كفاءاتهم الشخصيةواختصاصهم دون ان يكون لهم نشاط سياسي سابق.

وكان الوزراء السياسيون من أبرز أعضاء حزبين سابقين هما: الحزب الوطني، ومنه السيدان صبري العسلي وفاخر الكيالي. وحزب البعث العربي الاشتراكي، ومنه السادة أكرم الحوراني وصلاح البيطار وخليل الكلاس. أما العسكريون فكانوا يمثلون أكبر كتلتين في القوات المسلحة وهما: كتلة الحياديين، وكنت أمثلها مع الأخ أمين النفوري، وكتلة البعثيين، ويمثلها مصطفى حمدون.

وكان السيد عبد الحميد السراج كعادته دائماً يقف في الوسط ما بين هاتين الكتلتين لا يخلص إلا لنفسه.. مستفيداً من كل بادرة تناقض بينهما مما هيأ له ظروفاً وفرصاً ثمينة استغلها ولا يزال يستغلها إلى أبعد الحدود ليصل إلى أعلى مراكز السلطة ولو كان ذلك على جماجم الأخرين.

وكان من الطبيعي أن تنعكس على هذا المجلس التنفيذي كافة المنازعات والمتناقضات التي برزت في المجتمع السوري منذ عهد الاستقلال وبعد سلسلة الانقلابات العسكرية التي جعلت من الجيش حقيقة سياسية هامة تميزت بها سورية عن غيرها من الدول العربية منذ عام ١٩٤٥ يوم انضمت النواة الأولى لهذا الجيش إلى صفوف الشعب وحاربت القوات الفرنسية حتى انتزعت الاستقلال.

كان الحزب الوطني باعتباره الوارث الوحيد للكتلة الوطنية يمثل جزءاً كبيراً من البرجوازية والاقطاعية في مدن وريف سورية ولا أقول كان يمثلها كلها لأن

هنـاك قسـماً كبـيراً منها اقتضت مصالحه بقاءه على الحياد فكانت كتلة المستقلين، وجـزءاً آخـر استقطبـه حزب الشعب الذي يمثل المعارضة اليمينية للكتلة الوطنية وبـالتـالي للحـزب الـوطني . وكـان ضعف ممثـلي الحـزب الوطني ظاهراً بسبب قلة عددهم أولاً وبسبب الاتجـاهـات التقـدمية التي انطبع بها الحكم في أوائل الوحدة من جهـة، وسيطـرة العسكـريـين التقـدميين على القوات المسلحة في سورية قبل الوحدة ودعمهم للقوى التقدمية في البرلمان وخاصة منها حزب البعث الاشتراكي من جهـة ثانيـة . وظهـرت منـذ الجلسـات الأولى للمجلس التنفيـذي بوادر عدم الانسجـام بين السـادة صبري العسلي وأكرم الحوراني، فكل منهما يطمع في رئاسة المجلس، وبـالتـالي ممارسـة صلاحيـات واسعـة على كافة الوزارات ومن ثم دعم مراكـز أنصـاره وتثبيتهـا في ظل العهـد الجديد، ومحاولة طبع الحكم في ظل الوحدة بالسياسة التي يتبناها كل منهما.

وكنـا نحن العسكـريـين نفضـل رئاسة السيد اكرم الحوراني للمجلس رغم بعض مآخـذنـا عليـه، بسبب اتجـاهـه التقدمي، وباعتباره رئيساً للحزب العربي الاشـتراكي، الأمـر الـذي ينسجم مع مفهـومنـا أوتصـورنـا لاتجـاه الحكم في الجمهـوريـة العـربيـة المتحـدة . **ولم نكن نحقد على السيد العسلي وزميله بل كنا نحتفظ لهما بشعور التقدير والاحترام للدور الذي قاما به مع من تبقى من اعضاء حزبهم في المجلس النيـابي خلال السنوات المـاضيـة وثباتهما في الاتجاه التحرري رغم المحنة الكبرى التي أصابت حزبهما عندما انشق عن الحزب ميخائيل اليان[٢] وهو من اكبر دعامات هذا الحزب وزعيمه في مدينة حلب.**

وهكـذا أخـذ السيد اكرم الحوراني المبادرة في رئاسة المجلس لأنه كان رئيساً للمجلس النيـابي السـوري السـابق مما يجعله مقـدماً على السيد صبري العسلي

---

٢ ـ من المعـروف ان السيـد ميخـائيـل اليـان كان من بين العناصر التي نادت بالاتحاد مع العراق والدخول في حلف بغداد. كما كان من بين العناصر التي اتهمت بالتآمر على استقلال سورية عام ١٩٥٦ وحكم عليه بالاعدام بنتيجة ذلك ولا يزال خارج سورية حتى الآن.

الـذي كان رئيسـا للوزارة، بالاضـافة إلى الجو الذي كان يسود المجلس التنفيذي والغموض الذي اتسم به موقف الرئيس عبد الناصر من كليهما.

اول مشكلة دستورية:

ولم تطل الفرحة باستلام السيد أكرم الحوراني لرئاسة المجلس التنفيذي، اذ ما لبث أن شعـر هووشعـر أعضـاء المجلس التنفيـذي كلهم بأن الصلاحيات التي كان يتصور الحصول عليها كرئيس للمجلس التنيذي لم تكن إلا سراباً، وتكشفت المحـاولات العـديـدة التي جرت لتحـديـد صلاحيـات واضحـة لرئيس المجلس التنفيـذي عن اصـرار الـرئيس على ابقـاء الأمـور على وضعهـا الغامض، وابقاء الظروف التي تغذي الصراع بين صبري وأكرم من جهة، وبين الوزراء فيما بينهم ورئيس المجلس الـواقعي الـذي يحاول ممارسـة بعض الصلاحيات على الوزارات معتمـداً على صلاتـه الخـاصـة بالـوزراء بعـد مراوغـة الـرئيس في اعطـائـه أيـة اختصـاصـات واضحـة. وبهـذا تبلورت اول مشكلة يمكن اعتبـارهـا دستورية **تتعلق بجـوهـر الحكم ألا وهي عدم وضـوح اختصـاصـات المجلس التنفيذي في الاقليم الشمالي وعلاقاته مع رئيس الجمهورية.**

المشكلة الثانية:

وبرزت مشكلة أخرى هامة لها صلة بكيان الاقليم الشمالي ووضعه القانوني الـدستـوري بالنسبة للوحدة بين الاقليمين المصري والسوري ضمن اطار الوحدة الجـديـدة.. وكـان ذلـك عنـدما صدر قرار بتسمية محمود رياض السفير المصري السـابق «مستشـارا» للرئيس في الاقليم الشـمالي، ولـولا غطـرسـة محمود رياض وتسرعه لما ظهرت هذه المشكلة بالحدة والسرعة اللتين أبرزتاها بشكل واضح محرج.

حوَّل محمود رياض فور صدور القرار الجمهوري بتعيينه مستشاراً للرئيس، السفارة إلى مقر رسمي «للمتشارية». . وفاتت الرئيس وفاتت رياضا المضاعفات التي ترافق هذه التسمية المكروهة لدى الشعب السوري لأنها تذكره بالمستشارين الفرنسيين، مما سبب كثيراً من المشاكل فيما بعد، وزاد في حدة المشكلة تعطش رياض للسلطة فقد أخذ يطالب بالحاح مسعور بأن تحوَّل له كافة محاضر المجلس التنفيذي ومشاريع القرارات التي يتخذها، وانتحل صفة المرجع الأعلى لهذا المجلس وصار يدعي بل ويتصرف على أنه السلطة الوسيطة بين رئيس الجمهورية والمجلس التنفيذي في الاقليم وان من حقه رد بعض القرارات المتخذة في المجلس التنفيذي ورفع القرارات التي يراها مناسبة للرئاسة او الاحتفاظ بالقرارات عندما يكون له اعتراض معين عليها. .

ولم يعد ذلك مقتصراً على نطاق الوزراء والموظفين الكبار بل تعداه إلى معظم المواطنين أصحاب المصالح الكبرى خاصة لأنهم وجدوا في مستشارية محمود رياض مرجعاً يمكن اللجوء إليه عندما تغلق أبواب الوزارات أورئاسة المجلس التنفيذي بوجوههم. . وأصبح يدور على كل لسان ان محمود رياض هو المفوض السامي في سورية وانه يتمتع بصلاحيات اكثر من الوزارة، وانه يحل ويربط. ودعمت ذلك الصحافة المصرية التي جعلت منه البطل الأول للوحدة وأطلقت على قرينته لقب السيدة الأولى في سورية مع قرينة فخامة شكري القوتلي (مجلة المصور الاسبوعية)كم[٣].

---

٣ ـ لقد حاولت اكثر من مرة كما حاول غيري من العسكريين الذين اتصلوا بالرئيس عبد الناصر قبيل الوحدة وفي أيامها الأولى، اقناع الرئيس بضرورة ابعاد محمود رياض عن سورية بسبب الأدار التخريبية التي كان يقوم فيها وكان عبد المحسن ابو النور يتظاهر امامنا بعدم موافقته على سلوك السفير محمود رياض. غير ان الرئيس لم يصغ لآرائنا بل كرم رياض بتعيينه مستشاراً.

الاجتماع الأول في قصر القبة ومناقشة سياسة الجمهورية المتحدة الداخلية والخارجية واهداف الثورة. رفض مبدأ العمل لتحقيق الوحدة: عودة إلى الجيش:

لم يكد يعود الرئيس إلى القاهرة بعد زيارته الأولى لدمشق وبعد تشكيل الوزارة الأولى حتى فوجئنا باذاعة نبأ استقالة الفريق عفيف البزرة من رئاسة الأركان وتعيين اللواء جمال فيصل بدلاً منه . .

والحقيقة أننا منذ أقسمنا اليمين القانونية أمام الرئيس التفتنا كلية إلى عملنا الجديد الذي يتطلب منا مجهودات كبرى، ولم يبق في أذهاننا أية فكرة حول التدخل في الشؤون العسكرية بعد الذي قطعناه على أنفسنا يوم قبلنا الاشتراك بالوزارة. كما لم نعد نتتبع حوادث الجيش وخاصة منها تعيينات أو تسريحات أو ترفيعات الضباط. غير انني أذكر في اخر اجتماع مع المشير عامر والفريق عفيف البزرة وبقية الزملاء من ضباط القيادة أنه جرى بحث أسماء الأشخاص الذين سيعينون في المراكز الهامة التي شغرت نتيجة شطب أسماء الوزراء العسكرين من تعداد القوات المسلحة وقد اتفق آنذاك ان يستلم:

العميد عبد المحسن أبو وظيفة	معاون رئيس الأركان العامة
العقيد احمد حنيدي	الشعبة الأولى
العقيد أكرم ديري	الشعبة الثالثة
العقيد طعمة العودة الله	قيادة سلاح المدرعات
المقدم محمد استنبولي	الشعبة الثانية

وفي اليوم الثاني ظهر أن للمشير عامر رأياً خاصاً في سياسة الجيش وأنه لا يقبل مشاركة أحد في رسم هذه السياسة حتى ولا رئيس الأركان نفسه بالاضافة إلى أنه يشك في الاقتراحات التي تعرض عليه من أي مصدر كانت. وتبين لنا أيضاً انه بدأ بتنفيذ سياسته قبل استلامه قيادة الجيش فعلياً عن طريق تدخلات

عبد المحسن أبو النور الشخصية مع ضباط الجيش وبالأخص أعضاء مجلس القيـادة[4] . . وأنـه بهذه الـوسيلة أخذ يوحي بآرائه لبعض الضباط الذين لم يدركوا المناورة الخطيرة التي أخذ يلعبها عبد المسحن أبو النور مستغلاً طيبتهم واخلاصهم للمشير وللرئيس عبد الناصر. ولم يتوان عبد المحسن من استغلال بعض العواطف لكي يزرع الشكـوك بين ضبـاط القيادة، فأخذ يروج بينهم ان هناك كتلة تعارض الـوحـدة وتستـوحي أفكـارهـا من الحـزب الشيوعي وتطالب بالاتحاد وهذه الكتلة قوامهـا : عفيف البـزرة ، أمـين النفـوري ، احمد عبد الكريم ، طعمة العودة الله ، احمد حنيدي ومن يلتف حولهم من الضباط .

وأوصله طمـوحه لدرجة أنه أصبح يدعي لنفسه مركزاً خطيراً ودوراً أساسياً في حمايـة الجمهـوريـة المتحـدة ، واستطـاع ان يصـور للرئيس والمشير خطورة مؤامرة تدبرها هذه الكتلة للسيطرة على الجيش عن طريق استلام طعمة العودة الله واحمد حنيدي وبقية الضباط المناصرين لهذه الكتلة مراكز هامة في القوات المسلحة .

وسرعان ما اقتنع المشير عامر والرئيس بهذه الأسطورة ، وقد ظهر فيها بعد ان القضية أعمق من هذه الظواهر السطحية وانه كانت للرئيس خطة موضوعة مسبقاً بالنسبـة للقوات المسلحة السورية . . وأخذا يرسمان سياسة الجيش السوري على أسـاس هذه الخطة وساعد على ذلك تلك النية الحسنة والسذاجة ، اللتان امتاز بهما أعضـاء مجلس القيـادة ، فأصبحوا دون أن يشعروا أداة للتخريب بيد عبد المحسن أبـو النـور الـذي كان يتطلع إلى التسلط على الجيش بل إلى أبعـد من ذلك ، انه كان يهدف إلى أن يكـون ممثـلاً لسيـاسة الرئيس في سورية ولذلك فقد استفاد من هذه الفـرصـة ليجعل نفسه محوراً لنفوذ عبد الناصر في الجيش السوري وبالتالي في سورية ، دون أن يهمه بعد ذلك ما يجر على عبد الناصر وعلى الوحدة بالذات من

---

٤ ـ وقد اتضح منذ الأيام الأولى للوحدة ان عبد المحسن ابو النور قد استطاع جمع معلومات عن ضبـاط القـوات المسلحة السـورية مما سهل له تنفيذ السياسة الموضوعة لتصفية العناصر الممتازة في الجيش على مراحل مدروسة ، باسم ابعاد الجيش عن السياسة .

ويلات ونكبات، وكذلك كان زميله محمود رياض الذي وصل به الغرور والطموح درجة أصبح بعدها يستهين بكل سياسيي سورية وشعبها ويدعي لنفسه الفضل في تحقيق الـوحـدة والقـدرة على «تطبيق» كل السياسيين، ومن هنا نشأت لدى عبد النـاصـر عقدة جديدة خطيرة وهي اعتقاده بأن السياسيين والعسكريين في سورية ليسوا إلا عملاء يمكن تحريكهم وتوجيههم بواسطة موظفين تافهين بنظره، امثال محمود رياض وعبد المحسن ابو النور. . أو بوسائط اخرى. .

وأصبـح هذان العبقـريـان ضروريـين له في سورية، بل لقد أصبح الجميع يؤمنـون بأن بلاء الـرئيـس عبـد النـاصـر ورحمتـه لا يأتيـان إلا بمـوافقة أو اقتراح احدهما. . وان المجلس التنفيذي والوزراء ـ وكذلك قائد الجيش الأول ليسوا إلا الستـارة التي تخفي السلطـات المطلقـة لهذين المستشـارين المصـريين. . تساعدهما شبكات واسعة من المخابرات المصرية، مدنيين وعسكريين.

ومن هنـا بدأت تروج فكـرة الاستعمار المصري، والتسلط المصري، وعدم التكـافؤ بين الاقليمـين. . وغـذت هذه الفكرة، بحماقة بالغة، موجات الموظفين المصـريـين والخبراء. . الذين اخذوا يتوافدون على سورية زرافات ووحدانا دون أن يكون لهم من هم إلا اشباع حاجاتهم وحاجات أصدقائهم من السلع الأجنبية التي افتقـدتها مصر منذ سنوات عديدة، وتقاضي الرواتب والتعويضات الضخمة على حساب الشعب السوري.

استقالة الفريق عفيف البزرة.

ولنترك كل هذا لأن الحديث فيه طويل ومحزن ومضحك بنفس الوقت ولنعد إلى استقالة الفريق عفيف البزرة.

كنت لا أزال في مكتبي الـذي اختـرتـه في أمـانـة العـاصمة، أسهر الليالي لتنظيم وزارتي واقـامـة جهـازهـا من العـدم وأتلقى الشكاوى عن الطحين والخبز

ومشاكل البلديات ومئات الطلبات من القرى العطشى، عندما تلقيت خبر الاستقالة، ففوجئت بذلك وذهبت مع السيد أمين النفوري إلى القيادة العامة لنستفسر من العميد أبو النور عن أسباب الاستقالة لأن وقعها كان سيئاً جداً على المواطن العادي، وأصبحت الألسنة تتناقل شتى الاشاعات حول هذا الموضوع. وتطوع أول من تطوع بعض البعثيين إلى الدفاع عن قرار الرئيس واتهم البزرة بالشيوعية، بل أخذوا يروجون بان ابعاد البزرة ليس إلا مقدمة لطرد بقية كتلته، وانه لن يطول الوقت حتى يستقيل أمين النفوري واحمد عبد الكريم من الوزارة ويطرد طعمة العودة الله واحمد حنيدي من الجيش، وأشياء كثيرة كانت ترددها الألسن في كل مكان. . وراجت تفسيرات أخرى لهذه الاستقالة أهمها أن عبد الناصر بدأ يضرب العناصر التي حققت الوحدة، وان ابعاد البزرة ليس إلا مقدمة للتخلص من كافة السياسيين والعسكريين البارزين في سورية، وانه يهدف إلى امساك سورية بيده وتسليم مقاديرها للمصريين مباشرة أو لبعض الفنيين الذين لا رأي لهم ولا وزن في نظر الشعب. . أما من آمن بالوحدة وعمل على تحقيقها فجزاؤه كجزاء سنمار! . .

قابلنا العميد عبد المحسن بالقهقهة والعناق الحار وأجاب على استفساراتنا بشأن الاستقالة، بأن عفيف البزرة اقترح على المشير بعض التنقلات وعندما أراد المشير مناقشتها اغتاظ البزرة واعتبر ذلك بمثابة عدم الثقة به فقدم استقالته وأصر عليها فاضطر الرئيس لقبولها.

وقد علقنا على ذلك بما معناه أنه حبذا لو تجنبنا مثل هذه الأمور في الوقت الحاضر خاصة وانه لما يمض على الوحدة إلا أيام معدودات وان الأوضاع في البلدان العربية المجاورة اخذت تتطور بسرعة من جراء قيام الجمهورية. . ولا نريد ان نفسح المجال للتقولات والاشاعات التي تنال من الوحدة وتفرق الصفوف.

ولكن عبد المحسن أبرق إلى القاهرة بأننا ذهبنا إلى الأركان العامة لتهديده

واننا نحاول التدخل في الجيش. . ومنذ ذلك الوقت لم تطأ أقدامنا قيادة الجيش أو أية مؤسسة تابعة له.

ذلك الجيش الذي قضينا في خدمته زهرة شبابنا وقدمنا له من دمنا وعرقنا وفكرنا الكثير، ذلك الجيش الذي نعتز ونفتخر بأننا خدمنا بين صفوفه ولن ننسى بأن اشد أيام حياتنا وأسعدها هي التي قضيناها في خدمته.

سياسة عزل الجيش عن الشعب وتصفية العناصر القومية فيه:

والحقيقة اننا لا نعلم الفلسفة التي اقتضت عزل هذا الجيش عن الشعب والسعي لتحويله إلى مؤسسة شبه مرتزقة، رغم الدور الشريف الذي قام به في تاريخ سورية الحديث منذ أن انضمت نواته الأساسية عام ١٩٤٥ إلى صفوف الشعب وقاتلت بأسلحتها الفرنسيين وحررت البلاد من الاستعمار إلى أن خاض حرب فلسطين وقام فيها بواجبه على خير ما يرام وقدم في هذه الحرب غير المتكافئة خيرة شبابه وأثبت رغم حداثته وقلة عدده وضآلة تجهيزه أنه جدير باحياء ذكرى الجيوش العربية التي حملت لواء الانسانية إلى العالم وأنقذت البشرية من ظلام العبودية والجهل. . ويوم قاوم المحاولات المسعورة التي شنها الاستعمار وعملاؤه للقضاء على استقلال سورية وادخالها في مناطق الأحلاف والنفوذ الاستعماري حتى أصبح الضمانة الأساسية للحرية والديمقراطية والسياسة الحيادية في سورية، وعندما ساهم بدور كبير في معركة بور سعيد وتوسيع ميدان معركة مصر حتى شملت الأرض العربية كلها. . وأخيراً عندما أسهم بدور رئيسي في تحقيق الوحدة وبناء الجمهورية العربية المتحدة.

أجل انني لا أستطيع فهم الدوافع التي من أجلها يعزل هذا الجيش البطل عن الشعب الذي ضحى ويضحي من أجل الدفاع عنه بكل ما لديه، ولا يريد من ذلك إلا القيام بالواجب المقدس.

ولا أدري أيضاً ألمصلحة الوطن هذا الاجراء ام لمصلحة من؟ . انني أؤ من بضرورة عدم تدخل الجيش في السياسة وقد جهدت ورفاقي طوال فترة خمس سنوات بين عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨ كيلا يعود الجيش إلى تحمل مسؤولية السياسة وقاومنا المغريات والمؤامرات التي كانت تهدف إلى جر الجيش للحكم وتوريطه بالسياسة . . وأقولها بكل صراحة وفخر أننا نجحنا في هذه المهمة رغم كل الظواهر التي كانت توحي بغير ذلك.

أجل لقد استطعنا ابقاء الجيش بعيداً عن الحكم منذ عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٥٨ يوم قامت الجمهورية العربية المتحدة . . لإيماننا العميق بأن مجال الجيش هو الدفاع عن البلاد وعن مقدساتها ومثلها العليا وأهدافها القومية . . . والبراهين على هذا أشياء كثيرة لا مجال الآن لذكرها وسيحين الوقت لسردها بالتفصيل.

اننا والحق يقال كنا نشعر بمزيد من الألم عندما نرى العقوق قد استبد بالبعض لدرجة انهم اصبحوا يتجاهلون اشراكنا في أعياد هذا الجيش لنفرح مع أفراده ونعتز بتطوره ونموه وقوته.

ثورة العراق:

وفي صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ ولما يمض على قيام الوحدة السورية المصرية سوى خمسة أشهر نقلت اذاعات العالم بأسره أنباء ثورة الجيش العراقي البطل على حكم العملاء في العراق، واطاحتهم بالعائلة المالكة ونوري السعيد واعلان الحكم الجمهوري وتطهير جهاز الدولة من الخونة والعملاء الذين عملوا على عزل العراق عن البلاد العربية المتحررة وفرضوا عليه حلف بغداد وحولوه إلى سجن كبير للأحرار . وكم كانت فرحتنا عظيمة ونحن نتتبع أخبار هذه الثورة المباركة! خاصة وان قادة الثورة ممن سبق أن تعرفنا عليهم في الاردن كما أسلفت، وان أول عمل قاموا به هو محاكمة السياسيين الذين تآمروا على استقلال سورية وقاوموا الوحدة العربية.

وفي اليوم الثاني وصل إلى دمشق السيد فائق السامرائي من قبل قادة الثورة للاتصال مع المسؤولين في الجمهورية العربية لشرح أهداف الثورة وطلب دعمها مادياً ومعنوياً. وقد اجتمع بنا في القصر الجمهوري يوم ١٦ تموز وأوضح لنا كيفية قيام الثورة والمساعدات العاجلة التي يحتاجونها في العراق. . وكان الرئيس يومذاك في يوغوسلافيا يجتمع إلى تيتو في جزيرة بريوني. . وشعرنا يومها في المجلس التنفيذي بأننا عاجزون عن تقديم أية مساعدة فعالة دون الرجوع لمصر وللرئيس بالذات رغم شعورنا بخطورة الموقف بسبب ثورة لبنان ضد حكومة شمعون ونزول القوات الاميركية فيه بحجة حماية جمهورية لبنان من عدوان الجمهورية العربية المتحدة، ونزول المظليين البريطانيين في الاردن لحماية العرش الهاشمي هناك بعد أن زال الحكم الهاشمي عن العراق. .

واستغرق تتبعنا للأحداث معظم وقتنا، كيف لا ونحن في قلب المعركة وان سورية أصبحت على عتبة حرب اقليمية قد لا تقضي على وحدتها مع مصر فحسب بل قد تقضي على استقلالها إلى مدة طويلة وتحطم كل امكانيات التحرر فيها. . وكان الموقف حولنا في كل ساعة تمر يزداد تأزماً وخطراً، وأصبحنا نشعر بأنه يحيط بنا خضمٌ من الأعداء يتحضرون للقضاء على ثورة العراق وتصفية مشاكل الشرق الأوسط دفعة واحدة ولو أدى ذلك إلى الاحتلال العسكري.

كان هذا واضحاً عندما نزلت القوات الاميركية إلى الأراضي اللبنانية وكذلك القوات البريطانية إلى الأراضي الاردنية، بالاضافة إلى تحركات الأساطيل الاميركية والبريطانية في الخليج العربي وشرقي المتوسط والدوريات الجوية التي أخذت تخترق أحياناً حرمة الفضاء السوري.

ورغم كل هذا فاننا كنا نكتفي بالاجتماع حول الراديو في قصر المهاجرين نستمع إلى الاذاعات المختلفة ولا نستطيع حتى التعليق بقليل أو كثير على هذه الاحداث. . وباءت بالفشل كافة المحاولات للاتصال بالقاهرة ومعرفة رأيها بسبب غياب الرئيس.

وأخيراً وصلت برقية من الرئيس يعلن فيها ان العدوان على العراق عدوان على الجمهورية المتحدة وان الجمهورية مستعدة للقتال في سبيل حماية الثورة العراقية . . واننا نضع كل امكانياتنا تحت تصرف الثورة . .

أما نحن فبقينا ننتظر عدة أيام إلى أن عاد الرئيس من موسكو إلى دمشق بطريق الجو بعد أن غير طريق رحلته البحرية ومر على الاتحاد السوفياتي واجتمع بخروشوف .

وارتفعت معنويات الشعب بوصول الرئيس بالطائرة السوفياتية لدمشق وبعد أن أعلن من قصر الضيافة تأييده لثورة العراق واستعداد الجمهورية للدفاع عنها . . .

وصول عبد السلام عارف وجومرت ـ وحديد إلى دمشق :

ووصل إلى دمشق في ذلك الوقت وفد وزاري عراقي برئاسة العقيد عبد السلام عارف وعضوية السادة محمد حديد وعبد الجبار جومرت وتم توقيع اتفاقية دفاعية بين الجمهورية العراقية والجمهورية المتحدة . وقام عارف والوزراء بالتحدث عن ثورة العراق للشعب السوري فأثار ذلك حماس الجماهير وتوافدوا من كل حدب وصوب لرؤية أبطال ثورة ١٤ تموز العراقيين . . وفي نفس اليوم عاد الوفد إلى العراق . . وتابع الرئيس سفره إلى القاهرة في اليوم الثاني دون الاجتماع بالمجلس التنفيذي ودون أن يشرح لنا الموقف الدولي والوضع العربي .

زيارة الاتحاد السوفياتي :

نشرت صحف القاهرة نبأ زيارة الرئيس للاتحاد السوفياتي بناء على دعوة خروشوف ، وذكرت أسماء الوزراء الذين سيرافقونه في هذه الزيارة ، وكنت بين هؤلاء وكذلك أوردت اسم السيد اكرم الحوراني نائب رئيس الجمهورية .

وهكذا علمت لأول مرة بأنني سأكون من بين أعضاء الوفد، وكنت أتأهب للسفر إلى القاهرة من أجل انجاز بعض الأعمال وخاصة توقيع بعض القرارات المتعلقة بتنظيم الوزارة، أو التي لها صلة بأعمالها أو أعمال البلديات، فقررت انتهاز الفرصة قبل سفر الرئيس لكسب الوقت، ورغم أهمية هذه الزيارة، فانني لم أكن راغباً بها لانشغالي بالعمل إلى حد كبير، ولعدم اعتياد جهاز الوزارة بعد على العمل الجديد.

مقابلة الرئيس عبد الناصر في القناطر الخيرية:

وهكذا ذهبت إلى القاهرة وقابلت الرئيس في القناطر الخيرية حيث كان يقضي فترة استجمام، وعرضت عليه موجز أعمال الوزارة فإذا به يبادرني بالسؤال عن حادث القلعي (وهو حادث أثيرت حوله ضجة مفتعلة في دمشق)، وعندما شرحت له ظروفه رأيت منه ميلاً لوضعي أمام منة في عدم اثارته ولكني ذكرت له انني لا يمكن ان أسمح لاحد بالنيل من كرامتي لأنها رأسمالي وانه لم يكن أمامي إلا هذا السلوك أو فقدان سمعتي في الوزارة بل في كل الاقليم، وبعدها يصبح من العسير علي أداء واجبي.

وعندها انتقل إلى حديث آخر ثم ما لبث أن لَمَّح إلى استقالة عفيف البزرة وزيارتي مع أمين لعبد المحسن أبو النور، وهنا أيضاً بينت له رأيي صراحة بمحمود رياض، وعبد المحسن أبو النور وقلت له بأنهما يحاولان تشويه الوحدة في نظر المسؤولين والمواطنين بسبب تصرفاتهما، فهما في سورية أصحاب سلطة لا حدود لها في الجيش وفي الميادين الأخرى، ويبدو أنهما يصوران الأمور بشكل لا يمكن معه الاستغناء عن خدماتهما ولهذا فهما يشككان بكل انسان حتى وصل بهما الأمر إلى التدخل في كل صغيرة وكبيرة، وأظهرا للمواطنين جميعاً أن الوحدة ليست إلا شكلاً من التحكم المصري وانهما بتصرفاتهما غير المسؤولة يسيئان للرئيس وللدستور ولنظام الحكم وللوحدة بشكل عام..

وهنا حاول الرئيس اقناعي بأنهما ليسا إلا موظفين بسيطين وانه سوف يضع حداً لتصرفاتهما التي لا تتسم بالمسؤولية كما أصر على أن عبد المحسن لم يذكر شيئاً يسيء لي في تقاريره، بل لقد حاول اطلاعي على أحد تقاريره أو تظاهر بذلك فلم أر من حاجة لهذا. وبعد ان استعرض معي نشاط الوزارة والمجلس التنفيذي، أعلمني بموعد سفره إلى الاتحاد السوفياتي ولاحظت انه تجاهل اشتراكي بالوفد ولما ألمحت له عن أسماء الوفد كما قرأناها في الصحف، وان عدم اشتراكي بالوفد قد يساء تفسيره، بادر فاتصل بالسيد علي صبري، وصمعته يطلب منه إصدار القرار بتشكيل الوفد وذكر له اسمي واسم السيد أكرم الحوراني، وعندما انتهت المقابلة التي استمرت أكثر من ثلاثة ساعات (في القناطر الخيرية) طلب إلي ألا أغادر القاهرة وأن أستعد للسفر لأنه لم يبق إلا يومان على الموعد المحدد.

وهكذا تقرر اشتراكي في زيارة الاتحاد السوفياتي. وكان الوفد العربي مؤلفاً من: الرئيس عبد الناصر، والسيد أكرم الحوراني والسادة، محمود فوزي وكمال الدين حسين وعلي صبري وصلاح نصر، وبعض الموظفين.
واستمرت الزيارة مدة ١٦ يوماً زرنا خلالها موسكو، ولينينغراد، وستالينغراد، وجمهوريتي أذربيجان وأزبكستان، ومنطقتي البحر الأسود واوكرانيا..

ومما لاحظته خلال هذه الزيارة الاهمال المقصود للسيد اكرم الحوراني وعدم الاهتمام به أثناء الاحتفالات الرسمية، حتى لقد اضطررت أكثر من مرة أن أحميه بمنكبي من زحام المرافقين والحاشية المصرية الضخمة المحيطة بالرئيس، وكنت أشعر بالألم عندما كانت تتكرر هذه التصرفات البعيدة عن اللباقة والأدب، وكنت أرى فيه ممثلاً لسورية: احد الطرفين اللذين قامت عليهما الجمهورية العربية المتحدة... وأن من حق الشعب العربي في سورية ان يظهر ضمن هذه الوحدة على قدم المساواة مع الشعب المصري وصرت في كل مرة أقارن بين مسلك الرئيس وحاشيته تجاه عبد اللطيف البغدادي نائب رئيس الجمهورية المصري واكرم

الحوراني نائب رئيس الجمهورية السوري، فيصعد الدم إلى رأسي، ولم يعد يهمني في الرحلة سوى أن أجد الحوراني في مركز محترم يتفق مع مكانة سورية من الوحدة ومكانة الشعب السوري في العالم العربي كله . . وكنت في ذلك مدفوعاً بالرغبة الملحة التي تسيطر علي والتي تهدف إلى اقناع السوفييت بان الوحدة امر طبيعي وان موقفهم الفاتر منها لم يكن له ما يبرره، وان الصورة التي صورها لهم الشيوعيون في سورية والممثلون الدبلوماسيون عن الوحدة مغلوطة وأن الآيدي والعقول التي رسمتها لم تكن خالية من الغرض او الخطأ.

ولكنني لم أصل - ويا للأسف - إلى ما تمنيته، بل لقد أثبت كل يوم قضيناه في الاتحاد السوفياتي ان لا تكافؤ في الوحدة بين الاقليمين أوعلى الأقل هكذا خيل إلي.

وزاد من اقتناعي بهذا الرأي ان الرئيس لم يترك لي طوال الرحلة أي مجال للكلام في الاحتفالات التي كان يقيمها لنا السوفيات في المدن والمؤسسات التي كنا نزورها والتي يتكلم فيها الجميع رغم أنه طلب إلى كافة الوزراء المصريين ان يتكلموا فشعرت ان الرئيس يقصد اهمالي شخصياً، ولم أفهم الدوافع لذلك وتأثرت كثيراً وبذلت جهداً كبيراً كيلا أشعر احداً بذلك . . ولكن الأمر لم يخف على بعض الحاشية ممن تربطهم بي بعض الصلات الشخصية ولم أسمح لنفسي باساءة تفسير هذا الموقف الذي وقف مني، وقلت لعل الرئيس يخشى ألا أتقيد في كلامي بالحدود التي تقتضيها طبيعة علاقاتنا مع الاتحاد السوفياتي . . ولعلي كنت أبحث في ذلك عن عذر معقول أقنع به نفسي . .

وانتهت الزيارة . . وأثناء العودة لاحظت أن السيد أكرم الحوراني كان يقاسي الكثير مما لقيه من اهمال وفي حديث معه أظهر لي كل ود وتمنى لو أننا نسينا كل ما كان بيننا من شكوك وأقمنا علاقاتنا من جديد على أساس من الود والثقة والصراحة . مما يقتضيه موقفنا تجاه أخواننا المصريين الذين يحاولون تجاهل مسؤوليات الوزراء السوريين في بناء الوحدة بين البلدين خاصة وفي سياسة الجمهورية العربية المتحدة عامة . وان نتعاون لكي يكون عهد الوحدة عهد خير

ويمن وبركة على سورية وعلى كل المواطنين بصرف النظر عن اتجاهاتهم السابقة. وأبديت له كل استعداد للتعاون في سبيل حماية الوحدة ودعم الجمهورية المتحدة، وتشجيع المواطنين على الالتفاف حول عهد الوحدة من جهة ومن جهة ثانية للوقوف في وجه المحاولات التي يقوم بها بعض الموظفين المصريين غير المسؤولين لاعطاء أنفسهم صلاحيات غير قانونية، يتجاوزون فيها على صلاحيات المجلس التنفيذي والوزارات، فيسيئون إلى الوحدة لا في سورية وحدها بل وفي العالم العربي كله.

تابعت عملي في الوزارة منذ عودتي إلى دمشق، وكنت أقضي في مكتبي أكثر من ١٦ ساعة في اليوم لكيلا أترك معاملة للغد، وأحاول تشجيع المهندسين والموظفين الذين عينوا مجدداً في الوزارة وأساعدهم على تسهيل العقبات وحلها، حتى لقد أصبحوا يداومون على عملهم طيلة وجودي في مكتبي دون شكوى أو تبرم، بل لقد كنت ألمس منهم اندفاعاً وحماساً شديدين للعمل بسبب الجو الأخوي الذي وطد علاقاتي معهم.

وركزت جهدي على أمرين هامين:

١ ـ تطهير المجالس البلدية من الموظفين الفاسدين.

٢ ـ انتقاء وتعيين رؤساء جدد للبلديات وكذلك أخذ بعض الموظفين الرئيسيين للوزارة وتغيير المجالس البلدية.

واستنفذ مني هذا العمل بالاضافة إلى تسيير الأعمال العادية كل تفكيري وملك كل وقتي. واستطعت ان أقنع زملائي اعضاء المجلس التنفيذي بقبول العناصر التي اقترحت تطهيرها أو تعيينها دون أي جهد، غير أني لاحظت عدم رضى السادة أكرم الحوراني وصلاح البيطار عن بعض التعيينات ولمست رغبة لديهما للاستفادة من فرصة تعيين أعضاء اللجان البلدية لكي يدخلا فيها بعض أنصار حزب البعث القديم. واستفدت من صلاحياتي بتعيين اللجان المؤقتة وتخلصت بلباقة من مشاركتهما في انتقاء الأعضاء الكاملين للمجالس البلدية. والحقيقة انني لم أعد ألمس هذه الرغبة الملحة منهما بعد أن تأكدا من حيادي في انتقاء

العنـاصـر. ولم يكن الـدافـع في ذلـك سوى الرغبة الملحة في اعطاء صبغة جديدة للمجـالس البلديـة في عهد الوحدة والتخلص من بعض أعضاء المجالس القديمة بسبب عدم فعـاليتهم . . وتلقيـح هذه المجـالس بالـدمـاء الجديدة التي تتلاءم مع طبيعة العهد الجديد كما كنت أفهمه . .

غير أن ذلك لم يمر دون أن يترك أثراً كبيراً لدى بعض الفئات التي لم ترص عن التعيينات . فأخذت أسمع من أوساط حزب البعث أنني أحاول تشكيل حزب من بقـايـا حركـة التحرير ومن بعض الأفراد المستقلين ، كما أخذت عناصر الحزب الـوطني والاحزاب اليمينية الاخرى تهاجمني بسبب الغاء المجالس البلدية القديمة التي تضم كثيراً من أنصارها[٥] . . .

ولم أسأل عن كل هذه المهاترات لاعتقادي التام بأن تلك التعيينات تتوخى المصلحـة ، ولأنني كما توهمت أحـوز على ثقة الرئيس التامة فلا أتوقع لها ردود فعل ذات بال . . وانه لجدير بالذكر ان معظم رؤ ساء البلديات وأعضاء اللجان البلدية الذين انتقيتهم عينوا فيما بعد أعضاء في مجلس الأمة .

أما في مجال الخدمات فقد ركزت جهدي على أمرين :

الأول : مياه الشرب للقرى العطشى .

الثاني : الاسكان في المدن .

على أن ذلـك لا يعني عدم الاهتـمام بالخـدمـات الأخرى كتنظيم موازنات المجـالس البلديـة ـ ودراسـة أوضـاعهـا وتـرتيب الافضليـة لمشـاريعهـا العـاجلة والتخطيط في المدن ومناطق الاصطياف والانارة بالكهرباء والمجاري والطرق وغير ذلـك مما يرفـع من مستـوى ريفنـا ومـدنـا ويتوخى تقليل الفوارق بينهما ، وتحسين منـاطق السيـاحة والاصطياف في بلادنا لتصبح لائقة بماضيها الحضاري العريق ،

---

٥ ـ احـدى زيـاراتي للقـاهـرة أثنـاء مقـابلة الرئيس في منزله سألني عن حقيقة مايشاع بأنني أعمل على تشكيـل حزب سيـاسي ، واسعى لتكتيل بعض العاصر حولي ، وعندما سألته عمن اوصل اليه هذه المعلومات له . . ضحك وأجابني بأنه قرأ ذلك في احد التقارير ولكنه بالطبع لم يصدق .

وطبيعتها الجميلة الساحرة، الأمر الذي يساهم في تنمية الدخل القومي.

وكذلك كانت أهم الصعوبات التي اعترضتني هي انشاء الجهاز الفني وقد أضعت كثيراً من الوقت والجهد حتى استطعت تعيين بعض المهندسين والمساعدين الفنيين من الاقليم الشمالي، غير ان طبيعة عمل الوزارة كانت تقتضي جهازاً فنياً ضخماً يتجاوز تعداده ٦٠ مهندساً وأكثر من ذلك أيضاً من المساعدين الفنيين والاختصاصيين، بالاضافة إلى ما يتطلبه دعم المكاتب الفنية في المجالس البلدية الكبرى والمراقبات الاقليمية المحدثة لمتابعة أعمال المجالس الصغرى والقرى.. وعندما استحال (تدبير) العدد اللازم من الاقليم الشمالي طلبت من الرئيس ندب حوالي ١٥ مهندساً من اختصاصات مختلفة التحقوا بالوزارة في دمشق في الشهر السابق لتعييني في الوزارة المركزية وانتقالي إلى القاهرة.

وبت أشعر بمرارة عدم تلبية كثير من الطلبات أومشاريع القرارات التي أرسلها للقاهرة.. أو على الأقل عدم البت فيها بالسرعة اللازمة.

وكان من اهم ما استطعت انجازه في فترة الأشهر الثمانية التي قضيتها في الوزارة التنفيذية هو:

١ ـ تنظيم جهاز الوزارة وجعلها في مصاف أنجح الوزارات القديمة.

٢ ـ تطهير المجالس البلدية من بعض العناصر ممن اقتضت ضرورة حسن سير الأعمال أبعادهم[٦].

٣ ـ المباشرة بتنفيذ بعض مشاريع الاسكان الكبرى في دمشق وحلب (مدينة دمشق الجديدة ـ مساكن المغاير).

٤ ـ بدء بعض مشروعات جر المياه للقرى العطشى في كافة المحافظات مع التركيز على درعا والسويداء بسبب أوضاعها البائسة.

٥ ـ وضع تخطيط عام للمرافق المختلفة كالكهرباء، وتخطيط المدن، ومناطق الاصطياف، والمجاري، وغير ذلك.

---

٦ ـ ويبدو ان بعضهم قد أعيد إلى عمله بعد ٢٨ ايلول.

عبد المحسن ابو النور يلعب دوراً قذراً لتقسيم المجلس التنفيذي:

كنت ذات يوم في مكتبي بعد عودتي من زيارة الاتحاد السوفياتي فإذا بعبد المحسن يطلب موعداً لزيارتي، وكان قد مر وقت طويل دون أن نلتقي بعد حادث الأركان الذي حوره. وأعلمني بعد حديث طويل من المجاملة أنه كان في القاهرة وأن الرئيس أوصاه بان يبلغني ضرورة الانتباه لمناورات أكرم الحوراني في المجلس التنفيذي **لأن لديه معلومات تفيد بان اظافر الحوراني اصبحت طويلة زيادة عن اللزوم وانه يحاول اثارة الوزراء للمطالبة بصلاحيات اوسع، كما يلح على الرئيس بتحديد اختصاصاته واختصاصات السيد صبري العسلي.. وان ذلك يعتبر مؤامرة ضد الرئيس.. ولا بد من تقليم اظافر الحوراني كيلا يشط في هذه المناورات.. واضاف يقول بان العسلي عاتب علي وعلى امين لأننا لا نتردد على مكتبه عندما نأتي للقصر الجمهوري.. رغم انه يقع مقابل مكتب اكرم الحوراني..** والحقيقة انني سررت من أعماقي حينما وجدت عبد المحسن يسترسل في هذا الحديث الخطير وكنت أشعر طيلة استرساله بأن الفرصة سنحت لي لانتقم منه وأضع حداً لمداخلاته التي تعتبر منافية لقواعد الحكم الدستورية من جهة وللمبدأ الذي فرضه الرئيس على العسكريين والذي يمنع عليهم التدخل بالأمور السياسية.

وكم كانت دهشة عبد المحسن بالغة وكم كان وضعه محرجاً عندما وجدني أجيبه في برود بأنني لا أستطيع بحث هذا الموضوع معه لأنه عسكري لا يجوز له التدخل في أمور خارجة عن نطاق عمله مما يتعارض مع توجيهات الرئيس والقائد العام أولاً، وانه اذا كان للرئيس ما يريده مني فانني اعتقد انه سيطلبني إلى القاهرة ويبلغني اياه مباشرة، لأنه ليس هناك واسطة بين الوزراء والرئيس لذلك فانني أعتبر هذا الموضوع كأن لم يكن بانتظار مفاتحتي به من قبل الرئيس بالذات. وكانت صدمة لعبد المحسن لم تنفع معها محاولاته لتغيير موضوع الحديث وخرج يبلع ريقه

بعد ان شعر بتسرعه وتورطه وبعد أن أيقن بعدم جدوى المحاولة للتقليل من جدية الموضوع.

وعندما خلوت إلى نفسي كانت تسيطر علي الدهشة من خطورة المقابلة شكلاً وموضوعاً وما يمكن أن يترتب عليها واخذت أسائل نفسي بألم انساني عميق.

١ - كيف يحرم الرئيس علينا الاتصال بزملائنا العسكريين ويمنع هؤلاء من التدخل في الشؤون السياسية، ويسمح للعقيد عبد المحسن وهو يشغل منصب معاون قائد الجيش الأول، بان يتدخل في أمور خطيرة تتعلق بالوزراء وعلاقتهم بنواب رئيس الجمهورية وماذا يقصد من وراء ذلك؟ انه يعلم ولا شك ما بيننا وبين عبد المحسن، ويعلم أيضاً أنه لا يجوز أن يكون عبد المحسن واسطة لتوجيه التعليمات إلى من هم - نظرياً أعلى منه - بالاضافة إلى ان الوزراء العسكريين لم تعد لهم أية علاقة بالجيش وبالشؤون العسكرية عامة. فلعله كان يتقصد اشعارنا بأننا لسنا وزراء بالمعنى المعروف الذي ينص عليه الدستور أو تنص عليه أنظمة الحكم المعروفة.. أم لعله كان يريد تأكيد ما تلوكه الألسن عن حقيقة السلطة التي أصبحت بيد عبد المحسن ومحمود رياض والموظفين المصريين.

٢ - هذا من ناحية الشكل أما من الناحية الموضوعية فالأمر أبعد خطورة، انه يتناقض مع مفهومنا للوحدة، وللحكم في الجمهورية. فنحن نعتقد ان الوحدة محت كل التناقضات والحزازات الشخصية التي سبقتها وأقامت بين الناس علائق جديدة مبنية على الثقة ونكران الذات والتعاون والود، مما تقتضيه ضرورات بناء جمهوريتنا العربية المتحدة التي نعتقد بأنها يجب ان تصبح نواة للوحدة الشاملة بين العرب، والقدوة التي تستقطب حولها بقية شعوب الدول العربية من المحيط للخليج، بل الطليعة التي ستساهم في تحرير هذه الشعوب من النفوذ الخارجي والاستغلال الداخلي، وتأخذ على عاتقها تحقيق الوحدة الكبرى وبناء المجتمع العربي الاشتراكي.

٣ - وإضافة إلى هذا أننا عندما دخلنا الحكم متعاونين مع اخوان لنا من

حزب البعث الاشتراكي، واخوان من الحزب الوطني وآخرين من حزبيين أو حياديين أو فنيين، لم نكن نفكر إلا في التعاون المطلق مع بعضنا لكي نبني الاقليم ونجعل من عهد الوحدة أملاً لكل المواطنين في الريف والمدن على السواء لا نفرق بين فئة وأخرى ولا بين مواطن وآخر لأن الوحدة لم تكن صنيع فرد ولا صنع أفراد وفئات. انها ثمرة نضال ساهم به الشعب كله بجميع طوائفه وفئاته بفلاحيه وعماله ومثقفيه وتجاره وصناعييه واقتصادييه. بل لقد ساهمت فيه أجيال كثيرة وضحت في سبيله. وشاء القدر لجيلنا أن يحققه.

فكيف ولم يمض على الوحدة إلا ثلاثة أشهر نجد أنفسنا أمام مناورة للتفريق بين الوزراء الذين يمثلون كما هو مفروض قيادة هذا الشعب والذين هم معقد آماله الكبار. وهل قضي على أمتنا العربية ان تستمر في اضافة معظم امكانيات أفرادها في المنازعات الشخصية والمهاترات؟. ولم أكن اتصور ان يصل الأمر بالرئيس إلى هذا المستوى الخلقي الذي بلغ به حد زرع الفتن بين وزرائه، وتحريضهم على بعضهم بدلاً من تمتين صداقاتهم وتعويدهم على الثقة ببعضهم من جهة وبه من جهة أخرى.

ولم أفاتح أحداً بهذا الحديث الخطير إلى أن استقبلت بعد يومين الأخ العقيد جادو عز الدين وكان آنداك قائداً للجبهة، فقد جاء ليبحث معي بعض مشاكل مياه الشرب في قرى الجبهة. ولكني شعرت ان الزيارة لم تكن لهذا الغرض فحسب، عندما أخذ يشرح لي الأقوال التي تتردد عن تعاوني وأمين مع أكرم الحوراني وأننا أصبحنا لعبة في يده وأنه يسخرنا من أجل الضغط على الرئيس لأخذ صلاحيات واسعة والسيطرة على الأقليم، واطلاق أيدي حزبه وأنصاره وتحكيمهم في رقاب المواطنين. . وأخذ يذكرني بالمواقف العدائية التي كانت لاكرم الحوراني وقيادة حزبه من جميع الفئات ومن كتلتنا بالذات. . واستطعت ان استخلص من حديثه أن عبد المحسن زاره في الجبهة بعد زيارته لي، وأنه بعد أن فشل في اقناعي بمهمته أو الاعتراف به وسيطاً على الأقل، راح يلعب لعبة جديدة قذرة لا تقل خطورة عن الأولى اذا لم تكن أكثر منها تخريباً. فقد لجأ إلى تحريض

رفاقنا العسكريين وخاصة منهم جادوعز الدين وطعمة العودة الله ضدي وضد أمين قائلاً لهم بأننا بعناهم بعد أن أصبحنا وزراء وأخذنا نتآمر مع أكرم الحوراني على حسابهم ونسينا كل ما كان بينهم وبين البعثيين.

وحاولت اقناع الأخ جادو عز الدين بأننا لا يمكن ان نفكر إلا بالعمل وخدمة الشعب ضمن نطاق وزاراتنا وان علاقاتنا مع نواب الرئيس والوزراء تقتصر على التعاون الأخوي الذي تفرضه المصلحة وسمعة العهد.. غير انني لم ألمس في انطباعاته ما يدل على اقتناعه.. ولم يكن ذلك بسبب ضعف البراهين والأمثلة التي سقتها له، بل لأنه كانت لديه - وقد لاحظت هذا - فكرة ثابتة لا يريد التحول عنها.. ولم أذهب معه إلى الحدود التي وصلت اليها في مناقشتي لحديث عبد المحسن، لأنني أردت ألا أنقل تشاؤمي إليه وإلى رفاقي في الجيش الذين أحببت ألا يصابوا بنفس خيبة الأمل التي اخذت تتسرب إلينا يوماً بعد يوم من جراء تصرفات الرئيس ومستشاريه في سورية.

وفي ذلك اليوم بحثت الموضوع مع الأخ أمين وقررنا ان نقاوم محاولات عبد المحسن وغيره، من غير المسؤولين المصريين، للتدخل في شؤون الحكم. ولكي نقطع الطريق أمام محاولات التفريق بين الوزراء قررنا اتخاذ مسلك أخوي مبني على التعاون الوثيق والصراحة مع السيد أكرم الحوراني والوزراء البعثيين وكذلك مع بقية الوزراء. لأننا أصبحنا نعتقد انه يجب على كل منا ان ينكر ذاته وان يضحي في سبيل وحدة المجلس التنفيذي وفي سبيل المحافظة على كيان هذا المجلس من الناحية الدستورية وأن نسعى لتكون علاقاتنا مع الرئيس وعلاقاتنا مع نوابه ومع الوزراء مبنية على القوانين والقرارات الصادرة دون ان نترك مجالاً للمتطفلين أو غير المسؤولين ان يتجاوزوا أو يتعدوا على اختصاصات الوزراء والمجلس التنفيذي.

وتكررت الحوادث والتصرفات والأقاويل التي تنال من سمعة الحكم ومن بينها:

- قرار تنظيم الاستيراد الذي أقره المجلس التنفيذي ولم يوقعه الرئيس،

وتعليق صحيفة الاخبار القاهرية على ذلك ومهاجمتها للمسؤولين في دمشق.

- اغلاق بعض الصحف.. وتنظيم الصحافة بشكل عام.

- قانون العمل الموحد الذي يلغي الحرية النقابية ويسلط المباحث والاتحاد القومي على النقابات.

- زيارات بعض موظفي الرئاسة المفاجئة وطلبهم عقد اجتماعات بحضورهم ومناقشاتهم للوزراء بحجة نقل بعض توجيهات السيد الرئيس.

- اعادة بعض المشروعات بدون توقيع بعد تدخلات محمود رياض أو الموظفين المصريين.

- تأخير بعض المشروعات الأخرى كتعديل الاتفاقية مع شركة التابلاين، وعرقلة تنفيذ الاتفاقية مع الاتحاد السوفياتي للتنمية الاقتصادية.

- اصدار مشرع اختصاصات محمود رياض ومطالبته بمرور كافة القرارات عليه بل واحتفاظه ببعضها أو اعادته بعض المشاريع للمجلس التنفيذي.

- عدم الموافقة على اقتراحات الوزارات بتسريح بعض الموظفين أو احالتهم على التقاعد.

- طلب وزارة التربية والتعليم ارسال ٥٠٠ معلم من الاقليم الجنوبي كدفعة أولى وعدم توظيف حاملي البكالوريا في التعليم الابتدائي دون شهادة دار المعلمين.

- خطاب الرئيس حول عجز الميزانية السورية بـ ٢٥ مليون ليرة، وتدهور الحالة المالية في الاقليم.

- ثورة لبنان وعدم اطلاع الوزراء على الوضع العام وانفاق الأموال الطائلة على المرتزقة من العملاء، الأمر الذي زاد في حدة الصراع الطائفي ولم يؤد إلى أية فائدة بالنسبة للشعب اللبناني أو للأمة العربية، وحصر قضايا هذه الثورة بعبد الحميد السراج وحده وعدم اطلاع أعضاء المجلس التنفيذي على مجرى الحوادث.

- عدم تنفيذ وعد الرئيس بالاجتماع بالوزراء ومناقشة المواضيع الداخلية

والخـارجيـة للجمهـوريـة، وخـاصـة بالنسبة للعسكريين عندما وعد بأنه يجب ان يجتمع بهم من وقت لآخر حتى يناقشوا المشاكل العامة.

ـ فقدان الصلة مع الرئيس إلا عن طريقة مكاتبه التي أخذ موظفوها يردون زرافات وحدانا لشراء الحاجات من سوق الحميدية بحجة متابعة المشاريع.

ـ عدم وجـود صحـافـة حرة، وبـالتـالي عدم ذكـر أخبار سورية في صحف الاقليم الجنوبي[٧].

ـ ثورة العراق وملابساتها.

ـ نزول القـوات الامـيركيـة والـبر يطـانية في لبنان والاردن، دون أن يكون للوزراء أي علم بالوضع العام وشعورهم بأن الاقليم أصبح لا وجود له من الناحية السيـاسيـة وان احـداً من السـوريـين لا يسـاهـم في رسم السيـاسـة الخـارجيـة أو العـلاقـات مع الـدول العـربيـة.. وظهـر ذلك جلياً في زيارة السامرائي واجتماعه بالمجلس التنفيـذي. اذ شعـر الجميع يومها بأنهم لا يستطيعون بحث أي موضوع معـه واكتفى المجلس بالاستـماع إلى الاذاعـات ليتـابـع تطـورات المـوقف حول سورية، رغم خطورة الموقف واحتمال دخول القوات الأجنبية الاراضي السورية، بغية تسوية الأوضاع في الشرق الأوسط بين دقيقة وأخرى.

ـ التحقيق عن الـوزراء وميـولهم بواسطـة أشخـاص مفضـوحـين من المخابرات، الأمر الذي أصبح موضع تندر الناس.

ـ عدم وجود صلاحيات واضحة لنائبي الرئيس.

ـ عدم الاجتـماع بالـرئيس رغم الـوعود التي قطعها للاجتماع بالوزراء جميعاً بالاضـافـة إلى وعده بالاجتماع بالعكسرين على اعتبارهم من رجال الثورة.. (أو هكذا كان يسميهم).

---

٧ ـ كانت الصحف المصريـة تطبـع طبعـة خاصـة بالاقليم الشمالي وتذكر فيها بعض اخبار هذا الاقليم ولكن ابنـاء الاقليم الجنوبي لا يقـرأون شيئـاً عن سوريـة واستمـر هذا الأمـر حتى نهاية الوحدة رغم الملاحظات الكثيرة التي ابداها السوريون بهذا الشأن.

ـ عدم وجود وزير تربية سوري .

ـ عدم وجـود وزيـر صنـاعـة سوري وبـالأخص تركيـز منح الرخص باقامة المصانع الجديدة في القاهرة .

ـ عدم ارسـال البعثـات الـدراسيـة للدول الاشـتراكية واستدعاء من كانوا يدرسون فيها .

ـ حصر الرئاسة ووزارات الدولة لشؤون الرئاسة والحربية والخارجية بالمصريين .

ـ اهمال اشراك السورين بالمؤتمرات الدولية .

ـ عزل سوريـة تمامـاً عن الأقطار العربية عامة وعن الأقطار المجاورة بشكل خاص . مما ادى إلى اغلاق كثير من الأسواق العربية بوجه المنتجات والصناعات السورية ، وانقطاع الصلات الفكرية تماماً مع هذه الأقطار .

ـ تسلط المبـاحث على المـواطنين واكتشاف بعض الشبكات التابعة للقاهرة مباشرة أو التي تعمل مع عبد المحسن وعدلي حشاد وغيرهما وتخرب على شبكات السراج .

وليس هذا الا غيض من فيض شغـل عقـول المواطنين وقلوبهم ولعل مما زاد في حدة تأثـيره هو تعـوُّد الشعب بكـامله في سوريـة على تتبـع سيـاسـة جمهوريته الـداخليـة والخـارجيـة ، وتكتله حول حكـومـاتـه في الأزمـات الأخيرة التي كانت تستهدف استقلال سورية ونجاح هذا الشعب بفضل وعيه وتكتله في التغلب على جميـع العقبـات التي صادفتـه بعد الاستقلال ، رغم قلة عدده ، الأمر الذي أكسبه سمعة عظيمة بين شعوب العالم المتطلعة للتحرر من الاستعمار . هذا بالاضافة إلى ان بعض أعضـاء المجلس التنفيـذي كانـوا يسـاهمون بدور أسـاسي كبير في رسم سياسة سورية وتنفيذها منذ سنوات بعيدة خلت ، بالاضافة إلى قيامهم بدور فعال في السياسة العربية أكسبتهم سمعة عظيمة في الوطن العربي مما جعلهم يستغربون الكيفية التي طبق فيها نظام الحكم الرئاسي في الجمهورية العربية المتحدة خاصة ، مما لا شبيه له بين الأنظمة الرئاسية في العالم كله . . وهم عندما يتطلعون لا يجدون

من يمثل سورية في القاهرة على مستوى الحكم في الاقليمين بينما يرون على عكس ذلك، ان بعض الموظفين المصريين غير المسؤولين يمارسون بالفعل اختصاصات تناقض مسؤوليات الوزراء عامة، ونواب الرئيس بشكل خاص بالاضافة إلى ما يحاوله بعض الموظفين الصغار الذي ندبوا من الاقليم الجنوبي للعمل في بعض الوزارات، إلى ما يحاوله هؤلاء من تجاوز صلاحياتهم لدرجة تذكر المواطنين بالمستشارين الفرنسيين، ولقد أصبح بعضهم وخاصة في وزارتي الصناعة والتربية والتعليم محور العمل (مثل أبو درة، وحكمت نامق).

غير أنه رغم كثرة المشاكل التي أخذت تتراكم يوماً بعد يوم وتعطي للوحدة معنى وشكلاً جديدين، فان مظعمها ان لم يكن جميعها يمكن تصنيفها ضمن اطار المسائل الجوهرية التالية:

١ ـ عدم مشاركة الاقليم الشمالي في الحكم على مستوى الجمهورية العربية المتحدة، مما أسبغ على الوحدة شكلاً من الضم أو التوسع المصري.. أو الامتداد لحكم جمال عبد الناصر شخصياً.

٢ ـ عدم وضوح نظام الحكم في الدستور المؤقت، فلا سلطة عليا مشتركة تشمل الاقليمين ولا صلاحيات لنواب الرئيس ولا صلاحيات للمجالس التنفيذية، وبالتالي عدم التقيد بالنص الدستوري رغم غموضه.

٣ ـ أصبح النظام الرئاسي عبارة عن دكتاتورية فردية ألغت الحريات والمنظمات السياسية وحولت الجيش إلى جهاز أمن وأقامت جهاز الشرطة والأمن للارهاب، وألغت حرية الصحافة والنشر، واعتمدت على الدعاية والشرطة والمخابرات أساساً لادارة الحكم في سورية وذلك لمنع الشعب من ممارسة حرياته وحقوقه.

٤ ـ عدم قيام جهاز أو لجنة مشتركة تشرف على تطبيق الوحدة خلال الفترة الانتقالية وترسم مراحلها المتتابعة.

زيارة امين النفوري لبغداد:

ذكرت فيما سبق تلك العلاقة التي نشأت بيننا وبين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف خلال وجودهما في الاردن مما جعلنا نستبشر كل الخير بسبب قيادتهما لثورة ١٤ تموز العراقية وقوي أملنا في اتحاد الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة. وكنا نأمل ألا يطول الوقت حتى يعلن ذلك قادة الثورة، خاصة بعد ان اتجهت محاكم الثورة إلى محاكمة السياسيين الذين عزلوا العراق عن الدول العربية وتآمروا على استقلال سورية وعلى الجمهورية العربية المتحدة فيما بعد، وقاوموا الوحدة بين سورية ومصر ـ بل حاولوا تخريب هذه الوحدة.

وكنا في الحقيقة عندما نتناقش في مصير ثورة العراق وتضامنه أو وحدته مع الجمهورية العربية المتحدة نخشى أولاً عليها من الفشل بسبب عدم خبرة الضباط العراقيين بالأمور السياسية بعد تحريمها عليهم منذ ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١، وبسبب طبيعة الشعب العراقي الثورية التي لا تقبل الحلول الوسط، والتطرف الذي يمتاز به الضباط العراقيون، وبسبب البوادر الخطيرة التي أخذت تظهر في الصحف حول التنافس بين عبد الكريم قاسم والعقيد عبد السلام عارف. وبسبب حماقة الاستعمار التي ظهرت بعد اقدامه على انزال القوات في لبنان والاردن، وتحريضه لحكومات حلف بغداد واسرائيل على اثارة المتاعب صد ثورة العراق والجمهورية العربية المتحدة.

وبرزت لنا أثناء ذلك فكرة الاتصال المباشر بقيادة الثورة العراقية لمعرفة المتاعب التي تواجهها الثورة على الصعيدين الداخلي والخارجي ونقل وجهة نظرنا في الأحداث التي تلت الثورة وتقديم ما يمكن من مساعدات مادية ومعنوية لها كي تسير إلى أهدافها، وربط مصيرنا بمصيرها فيما اذا تعرضت لأي خطر خارجي.

وتحمس الأخ أمين النفوري للقيام بهذه المهمة وصارح بذلك جميع الاخوان في المجلس التنفيذي فوافقوا على سفره ونوقشت الأمور الرئيسية التي يجب بحثها مع قادة الثورة العراقية في نطاق ضيق اشترك فيه كل من الأخوان:

طعمة العودة الله واحمد حنيدي وعفيف البزرة، وكانت أهم النقاط هي :

١ ـ يجب عدم افساح المجال للاختلاف بين قاسم وعارف.

٢ ـ اقامة مجلس ثورة يشرف على تنفيذ أهداف الثورة خلال المرحلة الانتقالية وعدم افساح المجال للعملاء والانتهازيين السياسيين لوأد الثورة أو تحويلها عن أهدافها.

٣ ـ العمل على توحيد العراق مع الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر خلال فترة يجب ألا تتجاوز ستة أشهر. شريطة ضمان المشاركة الفعلية في الحكم وايضاح ذلك بصراحة عند بدء المفاوضة مع عبد الناصر من أجل الوحدة، والنص على ذلك في الدستور وتجنب الخطأ الذي وقع فيه الاقليم الشمالي عندما سلم بالوحدة مع مصر بزعامة عبد الناصر دون قيد أو شرط مما جعل الوحدة تسير في غير ما كان يتوقعه الشعب في سورية. كما يجب لفت النظر إلى أن انضمام العراق للوحدة يزيد في قوة التيار العربي الاصيل في الجمهورية المتحدة، ويقوي من مركز سورية المادي والمعنوي كما يشجع على انضمام الاردن إلى هذه الوحدة ويمهد السبيل لتحرير فلسطين من الصهيونية ويعمل على سرعة تحرر بقية الوطن العربي من الاستعمار ووحدته الشاملة.

٤ ـ معرفة المساعدات العاجلة التي تحتاجها الثورة العراقية وخاصة منها العسكرية للعمل على تأمينها بأسرع وقت.

٥ ـ تحذير قاسم وعارف من الأخطار التي قد تترتب على عدم الاهتمام بوحدة ضباط الجيش في هذه المرحلة، وعدم اشراك الضباط الذين ساهموا في تحقيق الثورة بالمسؤوليات السياسية كما حدث في الاردن أو الانقلابات المتكررة في سورية. وتحذيرهما أيضاً من تدخل الأحزاب في الجيش وما قد ينتج عن ذلك من نكسات خطيرة جربناها في سورية ويجب ان يتجنبوها هم. وما دام الجيش هو الذي قام بالثورة فلا بد له ان يتحمل مسؤوليتها بنفسه خلال المرحلة التي يجب ان تنقضي لايصال العراق إلى الحكم الشعبي الصحيح وتحريره من النفوذ الاستعماري وتحقيق الوحدة مع الجمهورية المتحدة.

واتصـل الأخ أمـين بالقاهرة وحصل على موافقة الرئيس بالسفر إلى بغداد وسافر فعلاً ومكث فيها حوالي أسبوع. وأذكر أنه لخص لنا الوضع في العراق كما يلي:

١ ـ هناك فعلاً جفوة بين عبد السلام وعبد الكريم، وانه حاول مصالحتهما فتعانقا وأقسما على القرآن أمامه ألا يتخالفا.

٢ ـ الاحـزاب تحاول السيطـرة على الثورة وتوجيهها: كل حزب لصالحه. وأنشط هذه الأحزاب هي:

آ ـ الحـزب الـديمقـراطي الـوطني بزعـامـة الجـادرجي، وهويرى التريث بالـوحـدة ويفضـل ان تكـون على أسـاس الاتحـاد وان تضمن استمرار الحريات والديمقراطية وممارسة النشاط الحزبي.

ب ـ الحزب الشيوعي: وهويقاوم الوحدة غير المشروطة ويرفع شعار الاتحاد والحريات الديمقراطية.

ويحـاول هذان الحـزبـان التودد لعبد الكريم قاسم واثارة مخاوفه من الوحدة ومن عبـد السـلام عارف، وتنضم اليهـما العنـاصـر الأخرى التي تخشى الوحدة، كالأكراد وغيرهم من أقليات العراق وبقايا السياسيين القدامى.

ج ـ حزب البعث الاشـتراكي: ويطـالـب بالـوحـدة مع الجمهورية المتحدة فوراً، ويحـاول تبني عبـد السـلام عارف، يؤيـده في هذا عنـاصـر من حزب الاستقلال، وكذلك القوميون العرب.

٣ ـ الجيش: يمانـع عبـد الكـريم قاسم وعبد السلام عارف في اسهام كبار الضبـاط الاحـرار في مسؤوليـات الثـورة السيـاسيـة ولا يوافقـان على قيام مجلس للثـورة، ويشجـع ذلك اشتراك السياسيين من حزبيين ومستقلين في الحكومة التي شكلت بعـد الثـورة مبـاشرة الأمر الذي يثير عدداً من الضباط البارزين، ولا يدل على الاستقرار.

٤ ـ الثورة في العراق بحاجة للمساعدات العسكرية العاجلة وأهمها.

ـ الطائرات.

ـ المدفعية المضادة للطائرات، والمضادة للدرع.
ـ الأسلحة الخفيفة والرشاشة منها خاصة.
ـ الذخيرة بأنواعها.

ذلك لأن حلف بغداد لم يكن يضع هذه الأنواع من الأسلحة تحت تصرف الجيش العراقي وكذلك الذخيرة خوفاً من أن يصبح خطراً على النظام الملكي وعلى النفوذ الاستعماري المتمثل في حلف بغداد.

٥ ـ الاقلية الكردية تطمع في اعتراف الثورة بنوع من الحكم الذاتي ضمن الكيان العراقي الجمهوري.

٦ ـ يستحسن تعيين سفير سوري لتمثيل الجمهورية العربية المتحدة في العراق ممن لهم خبرة في الشؤون العربية عامة وشؤون العراق خاصة، الأمر الذي يعطي فكرة حسنة عن الوحدة بين مصر وسورية والتكافؤ بين الاقليمين ويشجع العراقيين على الدخول بالوحدة.

٧ ـ ان تصرفات الملحق العسكري المصري العقيد عبد المجيد فريد سيكون لها عواقب وخيمة لأنه يحاول التدخل بشكل مفضوح في أمور ضباط الجيش باسم الرئيس عبد الناصر مما يعرضه للنقد ويظهره بمظهر المتحيز لكتلة دون أخرى، علماً بأنه يتهم بالتحيز لعبد السلام عارف، الأمر الذي يورط الجمهورية العربية المتحدة في مشاكل ويسبغ على سياستها طابع الانحياز، مما يؤدي إلى معاداة الكتل الأخرى للجمهورية العربية وبالتالي للوحدة.. وخاصة ان طبيعة الضباط العراقيين لا تساعد على هضم مثل هذه السياسة التي طبقت في سورية من قبل عبد المحسن ومحمود رياض. وهي سياسة طبقها عبد المحسن في السودان كما يقال، وحاول تطبيقها السفير المصري في الاردن ولم تكن عواقبها سليمة في جميع الحالات بل لقد أدت إلى كوارث قومية معروفة.

وعندما عاد امين إلى دمشق قابل المشير عبد الحكيم عامر وكنت آنذاك معه، وكان قد مضى على عودته أكثر من اسبوعين دون أن يتلقى جواباً من الرئيس على طلبه لمقابلته كي يشرح الوضع له في العراق. ومن هنا شعرنا بان

زيارته لم تجد صدى حسناً لدى الرئيس وبأن الملحق العسكري المصري أوغيره لا بد ان يكون رفع تقريراً للرئيس شوه فيه أقواله واتصالاته في بغداد.

وشرح الأخ النفوري للمشير الوضع كما رآه في العراق وبين له ما طلبه الزعيم قاسم والعقيد عارف، وشدد على ضرورة ارسال سرب من الطائرات العربية وفوج من المدفعية المضادة للطائرات فوراً، لكي يتأكد فعلاً موقف الجمهورية العربية المتحدة من الثورة العراقية. ولم يفصح المشير عن رأيه في الموقف كما شرحه أمين بل طلب إليه الذهاب إلى القاهرة لمقابلة الرئيس. وعندما قال له بأنه لم يتلق دعوة بذلك رغم انه أعلم الرئاسة بعودته فور رجوعه، أجاب المشير بأنه سيبلغ الموقف للرئيس بعد عودته إلى القاهرة.

غير انه لم يعلق بشيء يستدل منه على التشكك في أقوال أمين ولم يبد أية ملاحظة حول الاقتراحات التي أوصى بها. وظهر فيما بعد ان المشير أوفد العقيد طعمة العودة الله إلى العراق ليحقق في المباحثات التي أجراها أمين مع عبد الكريم قاسم والأقوال التي صرح بها لرجال الثورة. وكان اختيار طعمة العودة الله بالذات لهذه المهمة تصرفاً بارعاً ينطوي على سوء النية وبذر الفتنة بالاضافة إلى عدم توجيه أي سؤال للوزير نفسه أو استقباله بعد عودته والاستماع اليه. ومما لا شك فيه ان الرئيس بيت امراً ضد أمين واصبح واضحاً انه يتحين الفرص لضربه أو اخراجه من الوزارة وبدأت الاشاعات تروج حول أمين بالذات وزيارته للعراق.

سفر العقيد احمد الحنيدي إلى العراق:

وفي هذه الأثناء قدم العقيد احمد الحنيدي، وكان آنذاك عضواً في القيادة العامة في القاهرة إلى دمشق في طريقه إلى بغداد بمهمة رسمية تتعلق بتلبية طلبات القيادة العراقية واجراء مباحثات عسكرية معها لوضع خطة دفاعية مشتركة بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية. وكان العقيد احمد الحنيدي قد عين في شهر حزيران ١٩٥٨ عضواً في القيادة المشتركة بعد استقالة الفريق عفيف

البـزرة من قيـادة الجيش الأول بسبب رفض المشير عامر تعيين احمد الحنيدي قائداً لسلاح المدرعات او اسناد مهمة له في القيادة العامة كرئيس للشعبة الأولى. ثم لم يلبث المشير عامر أن ضم العقيد الحنيدي إلى مكتبه الخاص وعينه فيما بعد مديراً لأحد مكاتبه في القيادة العامة.

ودعـوت العقيـد احمد حنيدي للغداء في مقهى الفردوس بالربوة وحضر كل من العقيـد طعمـة العـودة الله والفريق عفيف البزرة والسيد أمين النفوري وجرت بيننا أحاديث حول الوضع العام وضرورة دعم الثورة العراقية كيلا تفشل. واتفقنا على ان يدعم العقيـد احمـد حنيـدي نفس وجهـة النظـر التي أبداها أمين نفوري للقيادة العراقية. وبالأخص النقاط الثلاث التالية:

١ ـ تشكيل مجلس قيادة وتمتين وحدة الثورة والجيش.

٢ ـ اعتـماد الثـورة على الشعب كاحتيـاطي للقـوات المسلحة عند التهديد بالخطـر الخـارجي كما حصـل في سوريـة عام ١٩٥٧ اثنـاء محاولة العدوان التركي والتهديدات الاستعمارية.

٣ ـ اقـامـة الـوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة شريطة التكافؤ الكامل بين البلدين وذلك قبل نهاية عام ١٩٥٨.

وكنـا جميعـاً متفقـين على ان دخول العراق في وحدة مع الجمهورية العربية المتحـدة سيـدعم موقف سوريـة ويسـاعـد على ايجـاد تعـادل بين مصـر من جهة والعـراق وسـوريـة من جهـة ثانيـة، فلا تطغى جهة على أخرى بالاضافة إلى ان انضمام العـراق إلى الجمهورية المتحدة، يزيد في امكانية تحقيق الوحدة ـ الشاملة ويساعد على سرعة تحرير الوطن العربي من الاستغلال الخارجي والداخلي ويخلق نواة قويـة للوحـدة الشـاملة شرقي البحـر المتوسط وفي شمالي أفريقيا ويعطي لقيادة الثورة نوعيات ثورية جديدة ويسبغ عليها الطابع العربي الاصيل. وكتب الفريق بزرة كتاباً بهذا المعنى سلمه إلى العقيد احمد حنيدي مفتوحاً لتوصيله إلى الزعيم عبد الكريم قاسم وكلفه بان ينقل إليه تحياتنا جميعاً.

ولم يمض وقت على عودة احمـد الحنيـدي حتى أصبحنـا نسمع الاشاعات

حول رسالة بعثها عفيف البزرة لعبد الكريم قاسم يوصيه بعدم قبول فكرة الـوحـدة[٨]. وأن الكتلة المؤلفـة من النفـوري وعبـد الكـريم وعودة الله والجنيدي وجادو تقف وراء هذه الرسالة لأنها تفضل الاتحاد على الوحدة وهي لهذا متفقة مع الحـزب الشيـوعي في ذلك الموقف. وكان وراء هذه الشائعات عبد الحميد السراج والمخابرات المصرية.. وكانت ولا شك مقدمات لتصفية هذه الكتلة من الضباط الحياديين.

تأزم الوضع في العراق:

وانبرت بعض الأيدي التي تحركها أجهزة عبد الناصر لاستغلال هذا الموقف وزاد في تعقيـد الأمـور الاحداث الهامة التي أخذت تجري ي العراق بعد ان اتخذ مجلس الـوزراء العـراقي قراراً بابعـاد العقيـد عبد السلام عارف إلى المانيا الغربية وذلـك باقـتراح من عبـد الكـريم قاسم، وبعد ان بدأت مرحلة من المهاترات بين العراق والجمهورية المتحدة أو بالأحرى بين عبد الكريم قاسم وجمال عبد الناصر.

وتطـورت هذه المهـاترات إلى حملات سباب مكشوفة واتهامات صريحة بعد عودة عبـد السـلام عارف من المـانيـا الغـربيـة إلى بغـداد واتهـامه بمحاولة اجراء انقـلاب عسكري ضد قاسم بالتعاون مع السيد رشيد عالي الكيلاني وبتحريض من الجمهورية العربية المتحدة.

---

٨ ـ تبـين لي فيـها بعـد أن بعض العنـاصر من السوريين اليساريين الذين فروا إلى لبنان خوفاً من الاعتقـال، بالاضـافـة إلى بعض قيادات الحزب الشيوعي السـوري، كانوا يطلعون زملاءهم في العـراق على الأوضـاع في سوريـة ويحـذروهم من ارتكـاب نفس الخطيئة التي ارتكبها السوريون عنـدمـا قبلوا بالـوحدة الاندماجية، وضحوا بحرية الاحزاب علماً بانه لم يكن من الصعب على العـراقيـين معـرفة حقيقة الأوضاع في سورية من مصادر مختلفة. ومن الخطأ الفادح اتهام العناصر التي ساهمت باقامة الوحدة بهذه التهمة الملفقة:

واتخذ الصراع الداخلي في العراق شكلاً واضحاً انقسم الناس فيه إلى قسمين:

١ ـ قسم مع عبد الكريم قاسم يقف ضد الوحدة ويعادي جمال عبد الناصر وأهم عناصره الشيوعيون والحزب الوطني الديمقراطي، وجميع الأقليات غير العربية في العراق واصحاب الامتيازات القديمة وكذلك بعض القوى الرجعية التي كانت تقف مع العائلة الهاشمية.

٢ ـ والقسم الآخر مع عبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني ويطالب بالوحدة مع الجمهورية ويدعم هذا الاتجاه أتباع عارف في الجيش وهم قلائل جداً، والقوميون العرب وحزب البعث العراقي، وظهر جلياً أن كفة قاسم قد رجحت تماماً عندما ألقى القبض على عبد السلام عارف والكيلاني وزجهما في السجن واعتقل عدداً من الضباط والمدنيين، وألغى الصحف التي تنادي بالوحدة، وشكل محكمة أسماها محكمة الشعب واسند رئاستها إلى العقيد فاضل عباس المهداوي وجعل منها منبراً للحملة ضد عبد الناصر وقادة الجمهورية المتحدة.

وتحول نشاط المحكمة عن محاكمة السياسيين القدامى من أمثال فاضل الجمالي وبرهان الدين باش اعيان والسويدي المتهمين بالتآمر ضد سورية والجمهورية العربية المتحدة وضد جمال عبد الناصر والعمل لخدمة الاستعمار، إلى محاكمة المتآمرين الجدد المتهمين بالتآمر ضد ثورة ١٤ تموز وضد استقلال العراق والتعامل مع جمال عبد الناصر لقلب الأوضاع في الجمهورية العراقية.

وتحولت محكمة المهداوي إلى محاكمة عبد الناصر نفسه واتهم بالتعامل مع الاستعماريين الاميركان والانكليز، وظهرت المحكمة وكأنما يسيطر عليها الشيوعيون تماماً، ولم يسكت الرئيس عبد الناصر والسلطات في الجمهورية العربية المتحدة عن أوضاع العراق رغم أن عراق الثورة يختلف تماماً عن عراق نوري السعيد فحكومة الثورة ترفع شعارات تقدمية متطرفة أساسها:

ـ الديمقراطية والحرية وتحمل على الديكتاتورية والاستعمار وتعادي الوحدة بزعامة ناصر، وتسكب الدموع على سورية التي يستعمرها ناصر باسم الوحدة..

ويحولها إلى سجن كبير بالتآمر مع الاميركيين والاستعمار عامة. بينما كانت حكومة نوري السعيد والعائلة الهاشمية عميلتين صريحتين للاستعمار وحلف بغداد ومفضوحتين أمام الشعب العربي كله وتنال تأييد الشعب العراقي نفسه.

ومن هنا كان الوقوف في وجه عبد الكريم قاسم وثورة العراق بزعامته أمراً ليس سهلاً، وكان لا بد لجمال عبد الناصر من اتخاذ تدابير واجراءات خاصة للإعلان صراحة عن معارضة عهد عبد الكريم قاسم والعمل على ازالته ان امكن.. وسلوك تكتيك جديد وستراتيجية جديدة غير ما كان متبعاً ضد النظام الرجعي في ظل حلف بغداد والعائلة الهاشمية ونوري السعيد.

وعندما أخذ الوضع في العراق يتكشف عن خطر واضح ضد نظام الحكم في الجمهورية المتحدة وضد جمال عبد الناصر، أخذت الدعاية في القاهرة تحذر من احتمال استلام الشيوعيين للسلطة الفعلية هناك، وتحويل العراق إلى قاعدة شيوعية في قلب الشرق الأوسط والعالم العربي بالذات، وهكذا صورت الوضع الدعاية الغربية أيضاً متفقة في ذلك مع الجمهورية المتحدة، واتضح تماماً الخط الكبير الذي سلكه جمال عبد الناصر في محاربة عبد الكريم قاسم، ألا وهو «اتهامه بالشيوعية والالحاد». الأمر الذي تؤكده تصرفاته وخضوعه للشيوعيين.

الجزء الرابع

تعديل نظام الحكم بما يتعارض
مع الدستور المؤقت وإقامة الحكم المركزي

تشكيل الحكومة المركزية :

بتاريخ ١٩٥٨/٨/٤ تلقيت برقية تدعوني للذهاب فوراً إلى القاهرة وقد تبلغت البرقية وأنا على الطريق بين حمص وحماه. وأخبرني المحافظ هناك ان الامانة العامة للمجلس التنفيذي أبلغته ضرورة عودتي والسفر فوراً إلى القاهرة لمقابلة الرئيس.

وعدت مساء إلى دمشق وغادرتها إلى القاهرة صباح اليوم التالي. وعند وصولي دعيت لزيارة المشير عبد الحكيم عامر. فأعلمني بعزم الرئيس على تشكيل وزارة مركزية يدخل فيها عناصر جديدة منتقاة من الاقليمين الغرض منها :

١ ـ القيام بالمهمتين التنفيذية والتشريعية على مستوى الجمهورية باقليميها وتخطيط سياسة الجمهورية الداخلية والخارجية مع رئيس الجمهورية.

٢ ـ الاشراف على تنفيذ الوحدة بين الاقليمين خاصة ورسم السياسة العربية عامة.

٣ ـ وضع السياسة العامة للوزارات التنفيذية في الاقليمين ومتابعة تنفيذ هذه السياسة وتنسيق العمل بين الوزارات المختصة في الاقليمين.

وأضاف بأن ذلك يقضي على كل العيوب والمحاذير التي ظهرت من جراء عدم وجود سلطة عليا مشتركة من الاقليمين إلى جانب الرئيس، تدعم الوحدة

وتؤمن التفاعل بين العناصر القيادية في الاقليمين وتملأ الفراغ الذي كنتم تشعرون به بسبب عدم وجود عناصر مسؤولة من سورية إلى جانب الرئيس في القاهرة وبشكل دائم.

ورحبت من قلبي بهذه الفكرة التي طالما كنا نشعر بضرورتها وبدت لي وكأنها الوسيلة التي تلبي معظم آمالنا وتملأ الفراغ الذي كنا نلمسه كل يوم والذي اتسع مؤخراً بيننا وبين الرئيس من جهة، وبين الاقليمين من جهة أخرى، حتى أصبح يخلق العقبات أمام تنفيذ الوحدة على أسس سليمة.

واعتقدت ان الرئيس آمن أخيراً بما كنا نذكره له حول خطورة استمرار الأوضاع كما كانت في السابق، واعتماده في شؤون سورية على تقارير المباحث والمخابرات العامة والمكتب الخاص وتقارير المستشارين السياسي والعسكري محمود رياض وعبد المحسن ابو النور وكذلك السراج. وخيل إلي في البداية ان الرئيس يحاول معالجة المشكلة بشكل جذري.

الرئيس يريد ابعاد أمين النفوري عن الوزارة:

وعندما آنس المشير مني تأييداً للفكرة وسروراً بها، نقل الحديث إلى ميدان آخر. فسألني عن امين النفوري وأعماله ثم بادرني بالسؤال التالي:

- أتعرف ماذا عمل فينا زميلك أمين؟...

فقلت ماذا حدث؟..

فقال: لقد حمل علينا وعلى الرئيس بالذات أمام عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف ونصحهما بعدم الدخول في وحدة مع الجمهورية لأن المصريين ينظرون إلى سورية على أنها مستعمرة مصرية ولا يعاملون السوريين معاملة الند للند، الخ. وفوجئت بالحديث ولكني أجبته بعد فترة صمت. قائلاً: يا سيادة المشير أرجو ألا تصغوا للدسائس والأقاويل المغرضة التي تريد تحطيم الوحدة وذلك بإيقاع الفتنة وتشويه سمعة الأشخاص المخلصين الذين ساهموا بأهم الأدوار

لتحقيق الـوحـدة، وأمـين عنصـر مخلص ذو نزعـة قومية خالصة، وقد ساهم بدور أساسي في الوحدة، وهو يكرس كل جهده وفكره لبناء عهد الوحدة الجديد ضمن اطار عمله في الوزارة، هذا مع العلم بانه شرح لك صراحة ماذا تم بينه وبين عبد الكـريم قاسم وعبـد السـلام عارف عندما قابلناك معاً في استراحتك بدمشق بعد عودتـه من بغـداد. . ولكن المشـير لم يقتنـع بل أصر بان أمين لم ينقل لنا حقيقة ما جرى بينـه وبـين العراقيين وانه انحرف فعلاً، وأشار بان الرئيس غاضب جداً من تصـرفـاتـه. ولّمح بان التعاون معه أصبح من الصعوبة بمكان. . فقلت له انني لا أصدق أي شيء عن لسان أمين غير ما صرح لي به، وما لخصته لك في المقابلة، وانـه من الـواجب سماع رأيـه فان لديه من الصراحة والرجولة ما يكفي لكي يجيب على كل سؤال يوجـه اليـه سواء من الـرئيس أو منـك شخصيـاً مهـما كان نوعه. وعندما لاحظت عدم قناعة المشير. . رأيت ان لا بد من مواجهته برأيي صريحاً لا اعوجاج أو لبس فيه. فـبادرته بقولي: أرجو ان تعلموا يا سيادة القائد بأنني اعترف أمين منذ نيف وعشر سنوات، ولقد زاملته في العمل في أخطر الفترات التي مرت على سورية وصاحبته خارج سورية لمدة سنة تقريباً عندما كنا سوية في كلية الأركان في فرنسا، ثم اشتركت واياه في أخطر الظروف التي مرت بعد العدوان الثلاثي وأثناء المؤامرات والضغط على سورية ووضعت وإياه أخطر وثيقة بعد العدوان الثلاثي أثناء الوحدة[1] وأصبح باستطاعتي التأكيد على أنني أفهم تفكير وسلوك أمين وحتى أخـلاقـه ومشـاكله الخاصة أكثر من أي شخص آخر، بل أؤكد أن سبب صداقتنا يعـود إلى ثقتي الـواسعـة به وبسبب التقائنا في التفكير والرأي حول معظم المسائل الاسـاسيـة من قوميـة وسيـاسيـة واجتماعية واقتصادية. ومن بين هذه الآراء ايماننا المشترك بالوطن العربي والوحدة الشاملة، واعتقادنا بأن الوحدة بين مصر وسورية بزعـامـة عبـد النـاصـر هي الطـريق إلى الـوحـدة الشـاملة، بالاضافة إلى ايماننا بالـديمقـراطيـة والاشـتراكيـة وبـان الوحدة هي ثورة سياسية لأنها طريق للوحدة

١ ـ المقصـود هنـا هومذكـرة القيـادة العـامة للقوات المسلحة عن الوحدة بين مصر وسورية والتي قمت بصياغتها مع السيد امين النفوري بتكليف من مجلس القيادة العامة.

الشـاملة والتحـرر من الاستعـمار، وثـورة اجتـماعيـة لأنها الطريق إلى الاشتراكية والديمقراطية في كل الوطن العربي. وان حديث أمين مع قادة الثورة في العراق لم يتعـد هذه الحـدود وأنـه أبلغهم رأينا بضرورة الاتحاد مع الجمهورية المتحدة خلال هذا العام وعلى أسس متينة تزيد في دعم فكرة الوحدة العربية.

ولـذا أجـدني مضطراً لأن أعلن لكم بأنني مسؤول عن تصرفات أمين وعن سلوكـه منـذ اشـتراكه بالوزارة وعن كل ما صرح به لقادة ثورة العراق، واذا كانت هنـاك تهمـة واضحـة فيجب الاعلان عنها ومحاكمته من أجلها وأنا أول من يساهم بمحـاكمتـه. أما اذا كانت القضية عبارة عن دسيسة وأنكم تريدون التخلص من أمـين كخطـوة أولى ثم التخلص من غيره ثم تصفيـة العناصر الرئيسية.. فليعلم بأن مصيرنا واحد.. وانني لا يمكن ان ابقى في الحكم ثانية واحدة..

وتبدلت مباشرة لهجة المشير وحاول تغيير الجو بعد أن وصل الأمر إلى هذه الدرجة من التوتر مستغلاً ثقتي به التي نشأت خلال عملي معه في القيادة المشتركة بين عام **١٩٥٥ إلى مطلع عام ١٩٥٧ وأكـد لي بأن الـرئيس لا يمكن أن يصـدق** الوشايات بحق أمين ولا يمكن ان يتخذ قراراً بشأن أمين إلا بعد أن يستمع إليه، وسيستدعيه حتماً ليتأكد مما سمعه على لسانه. وأعلمني بأن الرئيس حدد لي موعداً في الغد ليتحدث معي حول بعض المسائل.

مقابلة الرئيس:

وفي اليـوم الثـاني استقبلني الـرئيس في منـزلـه بمنشيـة الكبرى ورحب بي وأعلمني أنـه أخـذ علماً بما جرى بيني وبـين المشـير.. **وهنـا تجدر الإشـارة إلى الاسلوب الذي يتبعه الرئيس عادة للاتصال بوزرائه أو بالشخصيات البارزة التي يريـد بحث بعض الشؤون معهـا.. انـه يحاول استطـلاع رأيهم بواسطـة احـد الأشخاص ممن لهم علاقة ودية وصلة ما معهم ويكون ذلك بمثابة تمهيد للمقابلة او البحث ليستطيع فيما بعد توجيه البحث او النقاش حسب ما يوحي الاجتماع أو الاجتـماعـات التمهيـدية ويسلك السبيل الذي يتفق وآراء الشخص المطلوب.. والأشخـاص الـذين يستخـدمهم لهذه الغـايـة كثـيرون ويختلفـون بحسب**

الشخصيات المعنية وحسب المواضيع المقصودة . . وقد تبدأ بأحد ضباط المخابرات او الارتباط وتصل إلى وزراة الدولة امثال علي صبري وكمال رفعت، وعبد القادر حاتم، ثم نواب الرئيس : البغدادي وعامر، وبين اولئك وهؤلاء يمكن ذكر محمد فهمي السيد، وصلاح الدسوقي ومحمود رياض واحمد انور وتوفيق عبد الفتاح وعباس رضوان وصلاح نصر ومراد غالب، الخ . . . وقد كان يحضر مهمة الاستطلاع بالنسبة لنا بواسطة المشير وذلك بسبب صلاته القديمة بنا . ثم بواسطة علي صبري، وبعد ذلك حاتم ودسوقي وكمال رفعت . . وقد أعلمني الرئيس بأنه قرر تشكيل حكومة مركزية وذلك بعد ان تبين له من التجربة التي مرت منذ قيام الجمهورية المتحدة بانه لا بد من وجود حكومة مركزية تعالج مشاكل الاقليمين معه وتكون على مقربة منه بشكل دائم يمكنه من الاجتماع بها مرة في الأسبوع على الاقل ولكي تخطط وتضع السياسة العامة للجمهورية وتشرف على تنفيذ الخطوات والمراحل اللازمة لاتمام الوحدة بين الاقليمين وخاصة من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية وتملأ الفراغ الذي كان قائماً خلال الفترة الفائتة بينه وبين الوزراء في الاقليم الشمالي مما سبب كثيراً من الأخطاء وسوء الفهم . ثم أشار إلى أنه سيستدعي السيد أمين النفوري ويستمع إلى رأيه ولم يتعد ذلك . وتابع فطلب رأيي حول الاسماء التي يمكن ترشيحها للوزارة التنفيذية أو المركزية ولما قلت له بأنني لم اكن مستعداً للاجابة على مثل هذا السؤال الحّ ـ علي وقال بأنه إذا لم نساعده نحن على مثل هذه الأشياء فمن سيثق به غيرنا، كما ذكر لي بأنه استدعى عبد الحميد السراج لهذه الغاية وسأله، وانه استشار أكرم الحوراني بذلك وكان يريد أن يعرف بعض الأسماء من العسكريين والمدنيين فذكرت له الأسماء التالية :

طعمة العودة الله، احمد حنيدي، جادو عز الدين، أكرم ديري من العسكريين، ووجيه السمان، وصبحي كحالة ومحمد العالم وبشير العظمة ورياض المالكي عبد الله عبد الدايم من المدنيين .

ثم أوضح لي أسباب الاستغناء عن السيد صبري العسلي وأنه كان لا بد

من التخلص منه بعد فضح وثائق حلف بغداد من قبل الثورة العراقية وتساءل عما يمكن عمله مع السيد فاخر الكيالي الذي لا يصلح لشيء والذي لا يؤتمن على سر فأجبته بهذا الصدد بأنني أعتقد بضرورة المحافظة على فاخر الكيالي بسبب الدور الشريف الذي لعبه في أيام محنة سورية عام ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ وانه لولا ما قام به مع السيد صبري العسلي لما أمكن ضمان دعم الحزب الوطني لحكومة التجمع بل ومساهمته فيها وتحمله مسؤولية دعم سورية لمصر أثناء العدوان الثلاثي والوقوف في وجه المؤامرات التي تلت العدوان، ثم التوقيع على الوحدة بين مصر وسـ ـرية. ولهذا فالواجب الوطني يقتضي تكريم هذا الشخص واستمرار التعاون معه رغم كل المآخذ التي يمكن أخذها عليه، فأجاب بأنه رغم تقديره لكل هذا فانه محتار «يعمل فيه أيه»؟.. وبعد ذلك أعلمني بأنه قرر انتقاء خيرة العناصر لكي تساهم في تشكيل الحكومة المركزية ولهذا وقع اختياره على الاسماء التالية التي تضمن له تحقيق الهدف من تشكيلها:

السيد اكرم الحوراني	نائب رئيس ووزير عدل مركزي
السيد صلاح البيطار	وزيراً للثقافة والارشاد
السيد حسن جبارة	وزير خزانة
السيد أمين نفوري	وزير مواصلات
السيد احمد عبد الكريم	وزير للشؤون البلدية والقروية.

ولم يذكر لي أسماء من سيختارهم للمقاعد التي ستشغر في الوزارة التنفيذية وسألني هل لدي مانع من استلام وزارة البلديات المركزية فرحبت بذلك وقلت بأنه لا مانع لدي من استلام أية مهمة يسندها إلي في القاهرة أودمشق.. ثم ودعني وانصرفت.. وفي المساء تقابلت في الفندق مع السيد أمين النفوري الذي أعلمني بأنه استدعي اليوم لمقابلة الرئيس، وكذلك قابلة معظم الاخوان من الوزراء السوريين، كما كنت أقابل يومياً العقيد احمد حنيدي وكذلك الفريق عفيف البزرة في فندق شبرد.. غير انني لاحظت ان العقيد طعمة العودة الله يحمل حملة شعواء على أمين النفوري ويوجه له بعض الاتهامات الغامضة، وعندما دافعت عنه اتخذ

موقفاً غريباً مني وقال انك بتمسكك بأمين النفوري ستضر نفسك. . **وأعلن انه بعد الآن كل واحد مسؤول عن نفسه!!** . . ولكن تدخل العقيد احمد حنيدي أعاد للجو بعض الهدوء وتراجع طعمة بسرعة وكأنه شعر بأنه يكاد يكشف عن سر لا يجوز الكشف عنه. . وعندما أعلمت أحمد وطعمة بأسماء العسكريين الذين شرحتهم للرئيس تظاهر بالغبطة وقال بأنه لا يمكن ان يقبل الوزارة وانه لا يترك الجيش إلا إلى بيته. وفي اليوم التالي عدت إلى دمشق وفي المساء أعلن راديو القاهرة قرار تشكيل الوزارة المركزية واملاء الشاغر في الوزارة التنفيذية. وقد فوجئت فعلاً باسناد منصب وزارة البلديات للسيد طعمة العودة الله بالذات لأنني شعرت بسوء النية من جراء هذا التعيين. وشعرت أيضاً بان الرئيس بعد أن لمس تمسكي بأمين النفوري اخذني واياه إلى القاهرة. ولكي يوقع بيني وبين طعمة أسند اليه وزارة البلديات، وظهر لي كما ظهر لمعظم الواعين في الاقليم الشمالي ان تشكيل الوزارة المركزية بهذه الصورة، وتعيين أربع وزراء جدد من البعثيين في الوزارة التنفيذية يحتمل تأويلات كثيرة منها:

١ ـ ابعاد العناصر القوية من دمشق وعزلها في القاهرة.

٢ ـ استخدام البعثيين في العراق وفي سورية خلال الأزمة مع الشيوعيين وعبد الكريم قاسم.

٣ ـ زرع الشقاق بين العسكريين وخاصة كتلتنا المستقلة.

٤ ـ ابعاد بعض الضباط القادة عن الجيش.

ولم تكد تعلن أسماء الوزراء حتى كثرت الشائعات ومعظمها يدور حول النقاط الأربع المذكورة وبعضها يؤكد ذلك بالاستناد إلى بعض التصريحات التي كانت تصدر عن المصريين الذين أكدوا بأن الوزارة المركزية لن يكون لها في القاهرة أي عمل وانها ماهي إلا عبارة عن منفى، وان الرئيس تخلص من صبري العسلي وسيتخلص من عبد الكريم والنفوري مستغلاً وجود البعثيين والسراج وطعمة وخاصة اكرم الحوراني وصلاح البيطار وانه لن يبقي احداً من العناصر التي ساهمت في اقامة الوحدة.

ورغم ما كنـا نلمسـه من البـوادر التي لا تدعـو للتفاؤ ل غير أننا، ويجب ان نعترف بهذا، كنا نرفض تصديقها ولم نكن نتوقفع ان يذهب الرئيس في سلوكه تجاه سوريـة إلى هذا الحـد، بل لم يكن يعقـل بان يتخـذ معنـا مثـل هذه المنـاورات والمداورات رغم كل ما بذلناه من أجل الوحدة ومن أجل زعامته في البلاد العربية، وكيف يمكن لمن يرفـع الشعـارات التقـدميـة والعربية والاشتراكية ان يسلك هذا المسلك البعيـد عن الـوفـاء والخلق المستقيم تجاه العناصر المؤمنة بهذه المبادىء. .
لقـد كنـا حتى ذلـك الـوقت نرفض الشـك بتجرده ومثاليته وايمانه الأكيد بالوحدة والديمقراطية والاشتراكية، وعندما كنا نناقش الأخطاء التي ترتكب في سورية من غير ان تصدر عنه كنا نردها إلى عدم توفر المعلومات الوافية والحيادية وكنا نحاول الصـاق المسؤوليـة بمسـاعـديه أو بمن يوكل اليهم بعض المسؤوليات الجوهرية في سوريـة كريـاض والسراج، بل لم نكن نعلن شكوكنا بسياسة الرئيس تجاه الشعب العـربي في سوريـة عامـة وتجاه العناصر المشتركة في الحكم خاصة. . ولكن الأيام التي قضينـاهـا في مصـر جعلت شكـوكنـا يقيناً وأتاحت لنا معرفة الكثير عن مصر والمصريين عامة وعن رجال الثورة والرئيس عبد الناصر بشكل خاص، وسأتناول بعض هذه الأمور خلال حديثي عن الفترة التي قضيتها في الوزارة المركزية.

الاجتماع الكبير للوزارات المركزية والتنفيذية في قصر القبة:

بعـد صدور القـرار الجمهـوري بتشكيـل الـوزارة المـركـزيـة بتـاريـخ ١٩٥٨/١١/٨ استـدعينـا الى القاهرة لحضور مراسيم اداء اليمين للوزراء الجدد ثم عقـد اجتـماع عام يضم الـوزراة المركزية والوزارتين التنفيذيتين وتم ذلك مساء يوم ١٩٥٨/٨/٩ في قصر القبـة وبلغ تعـداد الوزراء حوالي ٥٠ عضواً، ولعل هذا العـدد يعتـبر رقـماً قياسياً بالنسبة للوزارات في العالم، ومن المؤكد انه أضخم عدد لأية وزارة في الشرق الأوسط كله.
وشـرح الـرئيس في هذا الاجتماع الأسباب التي دعت لهذا التشكيل الجديد

وأكـد بأنـه تجربـة جديـدة تلبي معظم النـواقص التي ظهـرت منذ قيام الجمهورية المتحـدة كما تسـاعـد على تنفيـذ الـوحـدة عمليـاً. وأوضـح بان **الوزارة المركزية ستكـون السلطـة التنفيـذية والتشريعية العليا في الجمهورية إلى جانب الرئيس. وانها مسؤولة امامه عن تخطيط ووضع السياسات العامة ومتابعة تنفيذها بواسطة اجهـزة الـوزارات التنفيـذيـة**. وقـد أبـرز ناحيتـين هامتـين أعتـبرتـا منذ البداية متناقضتين مع الهدف المطلوب من التنظيم الجديد وهما:

١ ـ عدم وجـود صلاحيـات لرئيسي المجلسـين التنفيذيين واقتصار مهمتهما على الأمـور الشكليـة المتعلقـة بتأمـين الاتصال بين الوزارات وبين الرئاسة وحتى هذه المهمــة لم تكن صريحـة وواضحـة اذ أعطي للوزارة الحق بالاتصـال مبـاشـرة بالـرئـاسـة ولم يترك للمجلس التنفيذي مجتمعاً أية اختصاصات، وأصبح الوزراء نتيجة ذلك يتمتعون بحرية الاتصال المباشر بالرئيس أو بالوزارات المركزية حسب **الظـروف ولم يعـودوا مقيـدين برأي رئيس المجلس التنفيـذي أو قرارات المجلس التنفيذي نفسه**.

٢ ـ اعتـبر جميع الـوزراء من تنفيـذيـين ومـركـزيين مسؤولين تجاه الرئيس وأعطي لهم الحق بالاتصـال مبـاشـرة به ورفـع ما يشـاؤون من مشاريع قرارات أو قوانين بصرف النظر عن الوزارات المركزية أو المجالس التنفيذية.

وهكذا كان واضحاً جداً رغم كل الشكليات والدعاية الطنانة التي رافقت هذا التنظيم، كان واضحـاً انـه خلق ميتـاً وانه سيكـون سببـاً في تعطيـل عمـل الوزارات التنفيذية بالاضافة إلى ما سينتج عنه من مشاكل شخصية بين الوزراء المـركـزيـين والتنفيـذيين.. خاصة اذا كان بعض هؤلاء ممن يعتبرون أصدقاء أو زمـلاء قدامى ملئت قلوبهم بالحـماس وبالرغبة في العمل والانتاج والغيرة الشديدة على السلطة!!.. أما اذا اخذنا بعين الاعتبار حداثة بعض أعضاء الوزارة وضآلة خبرتهم بالشؤون الادارية العليـا من جهة وبالمناورات السياسية الملتوية من جهة أخـرى أمكننـا التنبؤ منـذ البـدايـة بالمصاعب التي ستعترض سير النظام الجديد

الـذي لم يخالف الـدستـور المؤقت فحسب بل خالف أبسـط قواعد تنظيم ادارات الحكم المعـروفـة في العالم. ولم يكن اهداف الاجتماع الكبير مناقشة التنظيم نفسه فذلـك أمـر بت به مسبقـاً كالعـادة من قبل الرئيس وحده، وانما ترك لهم الحرية في مناقشـة شكليـات العمـل والقـواعـد التي ستبنى عليهـا العلاقات بين الوزارات المـركـزية والتنفيذية وبين هذه الوزارات كلها والرئاسة، وبينها أيضاً وبين رئاسات المجالس التنفيذية . . والحقيقة انها شبكة معقدة تصلح لتعطيل أدق جهاز اداري او سيـاسي مهـما بلغ المسؤولـون عنه من الكفاءة والدقة والتجرد والنوايا الحسنة، ولكن أين لهذا العدد الضخم المتناقض كل أو بعض هذه الصفات، ومن أين لهذا الجهـاز القـدرة على تنفيـذ المهـمات الضخمـة التي تلقى على حكومة الجمهورية العـربيـة المتحـدة ـ طليعـة الـدول العـربيـة ـ وأمل الشعب العربي ونواة الوحدة الشـاملة والمسؤولـة عن تحريـر الـوطن العـربي وبنـاء المجتمـع الـديمقـراطي الاشتراكي . . التعاوني . . ولا أريد النيل او التشكيك بالكفاءات الفردية ولكني أؤكد عدم وجود الانسجام في التفكير على الاقل اذا لم أتعد ذلك فاشك بالقصد من وراء هذا التشكيل الضخم المعقد المقعد . ولن اسمح هنا لعواطفي بالانطلاق بل سأحاول التقيد ما أمكن بالحدود الموضوعية ولكن أليس من حق كل مواطن ان يربـط بين الأهـداف والـوسـائـل بل بين المبـادىء والأشخـاص وان يربط النتائج العمليـة لأيـة سياسة بمدى التعاون بين الأفراد المكلفين بتخطيطها أو تنفيذها . . ولنترك الأمـور تتحـدث عن نفسهـا منـذ ذلـك الـوقت حتى تاريخ قبول استقالة الوزراء السوريين ومنذ تاريخ الاستقالة حتى الآن مما لم يعد يخفى على المواطن الواعي .

ولنعـد الآن إلى اجتمـاع مجلس الـوزراء حيث تعـرض الـرئيس في هذا الاجتـماع إلى موقف الحكومة العراقيـة برئـاسة الـزعيم عبـد الكريم قاسم من الجمهورية المتحدة وخضوع قاسم للشيوعيين وأبدى تخوفه من النتائج المترتبة على استمرار الوضع في العراق على هذا الشكل وقال بان ذلك يلقي على الجمهورية أعبـاء ضخمـة باعتبارها المسؤولة عن القومية العربية . كما نوه بالتبدل الواضح في

سياسة الاتحاد السوفياتي بعد ثورة ١٤ تموز العراقية واتجاهه نحو دعم الشيوعيين هناك للسيطرة على الثورة واستغلالها، كما أشار إلى الوضع العربي المتفكك بسبب تدخل الدول الاستعمارية في لبنان والاردن والسعودية وتونس وموقف حكوماتها العميلة، ثم تكلم عن طريقة العمل في الوزارة المركزية ورأى ان يكون معتمداً أساساً على اللجان ذات الاختصاص وقرر تشكيل اللجان التالية :

١ ـ لجنة تشريعية .
٢ ـ لجنة تنفيذية .
٣ ـ لجنة خدمات .
٤ ـ لجنة اقتصادية .

على ان تصدر فيما بعد القرارات التي تحدد لكل من هذه اللجان اختصاصاتها وأسماء أعضائها. وعينت عضواً في لجنتين منها هما : لجنة الخدمات واللجنة الاقتصادية .

اللجنة العليا للاتحاد القومي والوحدة :

كما قرر تشكيل لجنة عليا للاتحاد القومي مهمتها وضع المبادىء العامة والتنظيمات المختلفة لهذه المنظمة التي تضم كل المواطنين على اختلاف طبقاتهم وطوائفهم ونزعاتهم وآرائهم باستثناء الشيوعيين الذين اعلنوا موقفهم من الوحدة ومن نظام الحكم ومن مبدأ حل الاحزاب. وشكلت هذه اللجنة كما يلي :

السيد عبد اللطيف البغدادي	رئيساً
السيد اكرم الحوراني	نائباً للرئيس
السيد زكريا محي الدين	
السيد كمال الدين حسين	
السيد صلاح البيطار	أعضاء

السيد احمد عبد الكريم
السيد كمال رفعت

على أن تعمل بالاتصال الوثيق مع الرئيس لأن مهمتها بالاضافة إلى بلورة المبادىء الأساسية وتنظيم الاتحاد القومي فان لها علاقة وثيقة بتخطيط الوحدة نفسها ووضع الأسس الفكرية والاقتصادية والاجتماعية التي ستبنى عليها هذه الوحدة.

طي مؤامرة عبد الكريم الدندشي:

وتعرض الرئيس في نهاية الاجتماعات إلى المشاكل الداخلية ومنها المؤامرة التي اكتشفت في سورية قبل قيام الوحدة بين الاقليمين، وقرر وضع اضبارة التحقيق في هذه المؤامرة تحت تصرفه بعد ان رأى عدم ضرورة تقديمها للقضاء في هذه الظروف التي تمر بها الجمهورية المتحدة واستعمل هنا عبارة: «كفاية مؤامرات وخونة». . .

وطالبت شخصياً بتقديمها للقضاء لينظر بأمر المتهمين فيها ويطلع الشعب كله عليها وينال المجرمون جزاءهم وترفع الشبهة عن الأبرياء وكذلك طالب السادة أكرم الحوراني والسراج ورياض المالكي بنفس ما طالبت به. غير ان الرئيس اصر على رأيه **بعدم ملاءمة الظروف العربية والداخلية والدولية وانه يمكن اثارتها اذا تطورت الظروف. . ولعل الرئيس كان يريد منذ ذلك الوقت استغلالها لمساومة بعض السياسيين السوريين أو تهديدهم بها. . اذا لم تكن هناك مآرب أخرى غير ما ذكرت، مما لا أرى مجالاً لذكره.**

وانتهى الاجتماع بعد أن وعد الرئيس بأن يجتمع بكامل الوزراء مرة كل شهر. . غير انه كان أول اجتماع وآخر اجتماع للمجالس التنفيذية مشتركة.

بين القول والتطبيق :

ما كاد الاجتماع ينفض حتى عاد جميع الوزراء السوريين إلى دمشق لينهي البعض علاقـاتهم بوزاراتهم السـابقـة ويستلم الـوزراء الجـدد أعمالهم، وعـدت شخصياً إلى دمشق لتصفية علاقتي بوزارة البلديات وتسليمها للسيد طعمة العودة الله. وكان الرئيس قد طلب إلي ان أبقى في دمشق أطول مدة ممكنة لتسهيل العمل أمـام السيـد طعمـة واطـلاعـه على كافة المشاكل التي واجهتها الوزارة. وحاولت مسـاعـدة طعمـة من كل قلبي وبـدأت اعمـل معـه ليـل نهار لتسهل عليه مباشرة مهمتـه، وكنت أطلب من جميـع المـوظفـين ان يمنحـوا ثقتهم للوزيـر الجديد وان يقدموا له كل امكانياتهم لتستمر الوزارة في اندفاعها وانتاجها. . ولكن لم يمض إلا يومـان حتى بادرني الأخ طعمـة بقـولـه ان الاشـاعـات تروج حول امتناعك عن تسليمي الـوزارة وانـه سمـع ذلـك من المكتب الخـاص بوزارة الـداخلية ولذلك يستحسن اتمام الأمر بالسرعة الممكنة فرحبت بذلك كل الترحيب وقلت لا حاجة للإشـاعـات ولا للتقـولات، فانني اكـون ممتناً لو انهيت علاقتي فوراً وذهبت إلى القـاهـرة قبل ان يحيك السراج قصة طويلة حول هذا الموضوع. . وفعلاً انجزت كل شيء في ذلك اليوم وسافرت إلى القاهرة في اليوم التالي. . بعد ان ظهر لي ان وراء الأكمـة ما وراءهـا، وان هنـاك بوادر تدل على صدق ما يقال أويشاع، وان بقائي في دمشق وكذلك بقاء كل من عينوا في الوزارة المركزية غير مرغوب فيه. . .
وهكذا ولخلو ذهننا من أية فكرة سيئة بادرنا بالرحيل إلى القاهرة. .
منفـانـا الجـديـد، تاركـين سوريـة وشعبهـا للسيد السراج ولعبد المحسن ابو النور والشبكات السرية والعلنية من مباحث ومخابرات وغير ذلك مما يذكره المواطنون.

في الوزارة المركزية :

كنت أعتقد حتى ذلك الوقت ان من واجبي بذل كل الجهود لانجاح النظام

الجديد لأن فشله بعد فشل النظام القديم يؤثر على سمعة الجمهورية المتحدة، بل ويسيء إلى فكرة الوحدة نفسها. ولذلك بادرت إلى وضع خطة ألزمت نفسي بالسير عليها، وألخصها فيما يلي:

١ ـ تجنب أي صدام شخصي مع الوزراء التنفيذيين حتى ولو أدى ذلك إلى عرقلة العمل (وهنا لأول مرة في حياتي أعترف بأنني احترفت بكل أسف عن الطريق الذي كنت ألزم نفسي بالسير عليه).

٢ ـ العمل بالسرعة الممكنة، وضمن الشرط أعلاه، على انجاز تنظيم الوزارة ووضع مشروع اختصاصاتها واخراجه واقامة جهاز للعمل يلي الأهداف التي يريدها الرئيس من هذا التنظيم الجديد.

٣ ـ السعي لتحقيق وحدة فكرية بين الوزراء السوريين وخلق جو من الثقة والتعود على هذه الثقة، ومن ثم ايجاد الظروف الملائمة للتعرف على الزملاء المصريين والتفاعل فكرياً معهم بقدر الامكان.

٤ ـ التعرف على الاقليم الجنوبي ومشاكله الاقتصادية والاجتماعية بقدر الامكان.. والتعرف على المسؤولين ومحاولة تبادل الثقة معهم ان امكن..

٥ ـ تجنب المشاكل مع الرئاسة والتسلح بالصبر والحكمة او السير على المبدأ القائل (تمهل وراقب) كي نعطي الفرصة الكافية للرئيس ليقف على حقيقة الرأي العام في سورية لعله يعدل عن سياسته، وخوفاً من ان نتسرع قبل ان تتكشف خفايا سياسة عبد الناصر في سورية والعالم العربي عامة.

بداية سيئة:

لعل من دلائل ارتجال النظام الجديد وعدم جديته، عدم تهيئة مقر للحكومة المركزية، مما جعل الوزراء السوريين يظهرون بمظهر اللاجئين السياسيين الذين لا عمل لهم سوى التردد، لبعض الوقت، على المكاتب التي خصصت لهم في مجلس الشيوخ والنواب وليس لديهم سوى الحجاب الذين رأوا لأول مرة في حياتهم

وزراء بلا عمـل ولا حاشيـة ولا مراجعـات، حتى ولا زوار مما جعلهم يتغـامـزون ويرفعون حواجبهم، ثم اخذت تنتقل هذه العدوى من الحجاب إلى الكتبة ثم إلى مدراء المكـاتب الـذين كانـوا يلازمـوننـا كظلنـا، ومـا لبثت ان اصبحت احاديث المـركـزيـين والتنفيـذيـين على ألسنـة العـامة والخاصة يتندرون فيها على «طريقة الحشاشين» ويخترعون النكات حولها. أما بقية وقتهم فقد كان قضاؤه من أصعب المشـاكـل العـويصـة التي عانـاها الوزراء السوريون في القاهرة بل لعلها من أشق الأعباء التي وضعت على كاهلهم في ظل النظام الجديد.

أما بالنسبة لي شخصياً فلم أجد صعوبة في حل هذه المعضلة لأنني سبق ان واجهت مثلهـا عنـدمـا كنت عضـواً في القيـادة المشتركة طيلة عام ١٩٥٦ فقررت القيـام بجـولات على جميـع المحافظات المصرية للتعرف عليها، كما سارعت إلى الانتسـاب إلى نادي الجـزيـرة ووضعت لنفسي برنـامجـاً واسعاً للمطالعة والترجمة لكيـلا أشعـر بوطأة البطـالـة المـرفهة ولم ألتفت إلى مبدأ «الوقار» الذي يجب ان لا يتخلى عنـه الـوزراء لكي تحافظ المهنة على اسطورتها في نظر العامة من الشعب، ولكي لا تصاب هيئة الحكم ورهبته بأذى من جراء شعبية الوزراء السوريين وابتذالهم!!..

ولكن ما دمنـا غير مسؤولـين عن الاستخفـاف المقصـود ليتحمـل غيرنـا مسؤولية «هرقلة الحكم»...

غير ان عقليـة الحكم في مصـر يمكنهـا التساهل في كل شيء ما عدا مظاهر العظمـة والهيبـة لأن ذلـك قد يزيـل القناع عن حقيقة الحكام وبالتالي يطيل ألسنة المحكـومـين ويشجعهم على التطـاول، الأمر الذي يجب محاربته حتى الموت.. ولـذلـك سرعـان ما أعطيت التعليـمات المشددة لوضع الحرس على بيوت الوزراء ووضـع المـرافقـين والسكـرتـيرين والسيارات اللازمة تحت تصرفهم واخلاء اقدم الفنادق الضخمة في مصر الجديدة وتحويله بسرعة مذهلة إلى مقر الحكومة المركزية وصـرف الأمـوال الطـائلة عليـه لتحـويـل غرفه وصالاته المعدة للنوم والاستراحة والرقص إلى مكاتب حكومية للوزراء والكتبة والحجاب. وكانت هذه العملية من

أهم الوسائل التي استغلت لتبرير «بطالة الوزراء السوريين المركزيين» . . واعطت للرئيس فرصة لا تقل عن ستة اشهر للتخلص من الاجتماعات التي كان من المفروض عقدها مع الحكومة المركزية . . غير ان هذه الحجة زالت بعد انتقال الوزراء المركزيين إلى فندق «هليوبوليس بالاس» أو المقر الجديد للوزارة المركزية ، وخصص لكل وزارة عدد من الغرف وعدد مقابل من الحجاب والفراشين ، كما أثثت مكاتب الوزراء بأفخم المفروشات وألحقت فيها قاعات للاجتماعات وغرف كافية لمدراء المكاتب والسكرتيرين بالاضافة إلى غرف الاستحمام وغير ذلك مما يساعد على استمرار العمل ليل نهار، كما خصص لهذا المقر الفخم حرس خاص ينظم الحراسة على الوزراء ويتحكم بالدخول والخروج واعطاء الهيئة المناسبة للمقام . ولم يبق هناك مبرر للكسل أو البطالة او التكاسل .

لحن لم يتم :

وهنا برزت المشكلة الاساسية وهي ميزانيات الوزارات المركزية وملاكاتها والأجهزة اللازمة لها وكل ذلك يستلزم صدور قرارات تنظيم هذه الوزارات وتحديد اختصاصات لها[٢] .

وطلب إلى الوزراء واللجان المركزية العمل على انجاز ذلك لكي يمارس المركزيون عملهم . . وعندما بدأنا نحاول معالجة هذا الموضوع لم يعد لدينا أدنى شك من اننا ندور في حلقة مفرغة لا نهاية لها ولا قرار . . وان مهمة الوزراء

٢ ـ ومن اطرف الحوادث التي وقعت اثناء مناقشة اختصاصات الوزارة المركزية ذلك الحوار الثقافي الذي جرى بين الاستاذ البيطار وزير الثقافة والارشاد المركزي وبين السيد ثروت عكاشة الوزير التنفيذي . وقد اصر السيد عكاشة على عدم التخلي عن الثقافة المصرية الاقليمية ورفع مذكرة للرئيس بهذا الشأن تلخص مفهوم الطبقة المثقفة المصرية للوحدة ، واصرارها على الطابع الفرعوني الخاص بالثقافة المصرية ، وكانت النتيجة ان اخذ الرئيس بوجهة نظر عكاشة ، واستمر الاستاذ البيطار على انطوائه .

المـركـزيـين كانت كما يبـدو القيـام بدور «الخلفـاء العبـاسيـين» في عهـود الاتـراك والمماليك . . أما اذا تجاوزوا ذلك فلن يكون مصيرهـم أقل سوءاً من مصير سلسلة المعتصمـين والـواثقـين الخ . . على ان ذلك لم يكن ينطبق على الوزراء المركزيين المصـريـين من أمثـال كمال الـدين حسـين وعبد المنعم القيسوني ، والسيد مرعي ، وعـزيـز صدقي ، فقـد اصدر هؤلاء القرارات الجمهورية التي تحدد اختصاصاتهم الواسعة وتعطيهم الصلاحيات للتدخل بالصغيرة والكبيرة في شؤون الوزارتين التنفيذيتين .

أما اختصاصات الوزراء السوريين فقد بقيت دون تحديد حتى زوال الوحدة .

وجـاءت حوادث العـراق لتقـوي حجـة الـرئيس وتسبغ على موقفه بعض المنطق وتبر ر انشغاله أو تشاغله وابطال أو بطالة الوزارات بلا استثناء . .

الرئيس وحده يعرف ما يريد :

لم يمض على تشكيـل الـوزارة المـركزية إلا شهر ونيف حتى صادف مرور «عيـد النصـر» الـذي يحتفـل به في بور سعيـد لاحيـاء ذكرى جلاء قوات العدوان الثـلاثي عن أراضي مصـر . وفي هذا الاجتـماع هاجم الـرئيس لأول مرة بخطـابه الـذي ألقـاه في الملعب البلدي ، هاجم عبـد الكـريم قاسم والحـزب الشيوعي في سورية والبلدان العربية وندد بالشيوعية الدولية وأكد بان «انذار الاتحاد السوفياتي» لدول العدوان الثلاثي على مصر جاء متأخراً بعد ان اصبح في حكم المؤكد وقوف دول العالم في هيئة الامم المتحدة ضد العدوان واصدار الجمعية العامة القرار بوقف اطـلاق النـار . ونـوه بالمؤ امـرات الشيـوعية على الوحدة وأعلنها حرباً شعواء على الشيـوعيـين ووصفهم بالعمـلاء والمأجورين ، وكان خطابه بداية حملة صليبية ضد الشيـوعيـين وغـير الشيـوعيـين من الأحرار والفئات التقدمية والمفكرين والنقابيين

والعسكريين الواعين وطغت على سورية موجة من الارهاب لم تشهد لها مثيلاً في أحلك أيام الاستعمار التركي والفرنسي[٣]. وانطلت شعارات هذه الفترة علينا وعلى «حزب البعث العربي الاشتراكي» الذي كان له النصيب الأوفى من السلطة في الاقليم الشمالي بسبب وجود اكثر من سبع وزراء من هذا الحزب في الحكومتين المركزية والتنفيذية بالاضافة إلى عدد كبير من ضباط المخابرات والمباحث والموظفين الكبار الذين أخذوا يملأون معظم الوزارات. وتحول الكثير من انصار هذا الحزب إلى مخبرين وعملاء للمخابرات والمباحث وبات معظم المواطنين يتوقعون كل شيء من الزج في السجن بدون سبب إلى التعذيب إلى التسريح وحتى قطع الرزق.. ولم يجد الكثيرون سبيلاً للنجاة سوى التقرب من السلطات وخاصة من السيد عبد الحميد السراج وزير الداخلية وحاكم سورية المطلق الصلاحية.

غير ان تحري الحقيقة يقتضي منا عدم الانسياق مع العاطفة وتقرير الواقع الذي يتحكم في تسيير الحوادث في سورية وراء كل هذه الغيوم والفوضى. وهنا يجدر بنا ان نؤكد بأن بعض العناصر التقدمية كانت طيعة وغير واعية بين عدد من الوسائل الأخرى التي استخدمها جمال عبد الناصر للقضاء على حرية الفكر في سورية وكبت الحريات السياسية والنقابية ونذكر منها على سبيل المثال:

- وزير الداخلية ومكتبه الخاص والمباحث.

- المخابرات العامة المصرية وعملاؤها الكثيرون الذين غطوا مدن وريف سورية تحت أسماء وأشكال مختلفة كضباط الحرس الوطني والمقاومة الشعبية، ومكاتب الثقافة، والمدرسين والخبراء والمراسلين الصحفيين وموظفي البنوك، الخ..

- قيادة الجيش التي اصبح يسيطر عليها الضباط المصريون من امثال اللواء

---

٣ - لقد اطلع المواطنون على الكثير من المآسي التي وقعت خلال هذه الفترة عن طريق التصريحات والوثائق التي نشرت بعد ٢٨ ايلول مما لا اجد مجالاً للخوض فيه.

انـور القـاضي والعميـد عبـد المحسن ابـو النـور والعقيد احمد علوي وحسني عبد المجيـد والعقيـد احمـد زكي وغـيرهم من مئـات الضباط الموزعين في كافة المناطق العسكرية والوحدات الصغرى (واللواء فؤاد بدوي).

ولتغطيـة هذه الحملة كان لا بد من اللجـوء إلى مسـرحيـة رنـانـة تستخدم كستارة تخفي حقيقة الخطة التي يجري تنفيذها في سورية واستخدام وسائل الدعاية المختلفة لتضليل الرأي، بل خدع اكثر العناصر وعياً وإدراكاً ووضعهم في ظروف لا يستطيعـون فيهـا فهم المـوقف الحقيقي في سوريـة ولا في الجمهـوريـة العـربية المتحـدة ولا في الـوطن العـربي. وهنـا يجب ان نعـترف ببراعة اجهزة عبد الناصر وكفاءتها التي بزت مثيلاتها حتى في الدول المتطورة.

اللجنة الثلاثية مقدمة لتصفية البعثيين:

عندما انفضح أمر النظام الجديد وظهرت الحقيقة التافهة التي اخفيت وراء الحكومة المركزية، وبدأ الرأي العام في سورية يتململ من الحكم البوليسي الذي لا مبرر له، ويـرفض قبـول الحجـج التي يسـوقها الرئيس والسراج ليبرروا حملات القتل والاعتقالات والتعذيب والتسريح والفتن ونقل الضباط بالمئات الى الاقليم الجنـوبي أو احـالتهم على التقـاعـد وزجهم في السجـون.. وعنـدمـا لمس جميع المـواطنـين كذب الادعـاءات والشعـارات التي طالمـا رددتهـا وسـائـل الدعاية عن التخطيـط والانـماء والتصنيـع والـديمقـراطيـة والتعـاونيـة والاشتراكية وعن القوة الضاربة التي اصبحت اعظم قوة في الشرق الأوسط وعن اقتراب مصير الصهيونية واسـرائيل.. وعندما اخذ معظم افراد الشعب يتلمسون الخطوط الرئيسية للخطة التي ينفـذهـا عبـد الناصر في سورية تحت الشعارات الزائفة للوحدة.. والتي تقوم على تدمـير القـوى التقـدميـة في سوريـة باسم مكـافحة النشاط المعادي للقومية العـربيـة والـوحدة.. وعندما شعر المواطنون بان سورية ليست شريكة في الوحدة

وانـما اصبحت اقليـماً تابعـاً لمصر وان الحكومة المركزية ليست سوى منفى يستخدم لعـزل القـادة عن الشعب بعـد ان تم الاجهـاز على كل المنظمات الديمقراطية في سورية، وان الوزارة التنفيذية لا تتعدى حدود العمل الفني والاداري، وان اصغر موظف مصـري او ضابـط مبـاحثي يملك من السلطـة ما لا يملكـه اي محافـظ او وزيـر. . عنـدهـا اصبـح النـاس يجاهـرون بانتقـاد الطـريقة التي تمت بها الوحدة وينـاقشـون عيوب النظام الرئاسي الذي لا يخفي وراءه دكتاتورية عسكرية مطلقة فحسب، بل يخفي احتكـاراً ديكتـاتـوريـاً مصـريـاً. واخـذ الناس يتساءلون عن أسبـاب تعطيـل اتفـاقيـة التعـاون الاقتصادي مع الاتحاد السوفياتي وعن أسباب مقاومة التصنيع والتجارة في سورية وحصر المراكز الاساسية التي تتحكم بالسياسة الـداخليـة والخـارجيـة والـدفـاع والاقتصـاد والـتر بيـة والتعليم والـدعاية والنشر والتـوجيـه، بالمصـريـين وحـدهم وتحريم دخول قصر القبة على العناصر السورية وابعاد خيرة العناصر الممتازة من صفوف الجيش بنقلها إلى مصر دون أي عمل أو احالتها على التقاعد او تسريحها.

بعد كل ذلك وغيره كان لا بد من مسرحية جديدة يتلهى بها الشعب. فإذا بالـرئيس يصـدر قراراً مفـاجئـاً يعلن فيه تشكيل لجنة ثلاثية مؤلفة من السادة عبد اللطيف البغـدادي وأكـرم الحوراني وزكريا محي الدين للإشراف على تنفيذ برامج التنمية في سورية ودفع عملية التطور والتصنيع وتذليل العقبات القانونية والمالية امـام جميـع الـوزارات لتكـون في مسـتـوى العهـد الثوري، وتلحق ركب التقدم السـريـع في الاقليم الجنـوبي. . هكذا بصراحة اعلنت عنها الصحافة المصرية. وكان تشكيل هذه اللجنة غريباً ومتناقضاً بالاضافة إلى انه يحمل بين طياته اعقد المشكلات.

فعبد اللطيف البغدادي نائب الرئيس ووزير التخطيط في الاقليم الجنوبي لم يكن يتمتـع بثقـة الـرئيس اذا لم نقـل أنـه كان موضوعاً على الرف منذ أمد بعيد وكانت تجري ضده تحقيقات واسعة في وزارة البلديات بمعرفة السيد علي صبري والسيد محمد أبو نصير، بل لقد قدم استقالته فعلاً بسبب القيود التي فرضت عليه

وبسبب ما أشيع عنه وعن أشقائه من استغلال السلطة والرشوة والاثراء غير المشروع، وزكريا محي الدين يتمتع بسمعة رجعية وارهابية واسعة ويعتبر من أكبر أعداء الديمقراطية والقوى التقدمية عامة في مصر وقد تقلص نفوذه مؤخراً بعد أن اصبح وزيراً مركزياً وعين بدلاً عنه السيد عباس رضوان الذي يعتبر من رجال المشير عامر كما تقدم باستقالته مع عبد اللطيف البغدادي بسبب نزع الثقة منه وتحديد صلاحياته.

أما العضو الثالث فهو نائب الرئيس السيد اكرم الحوراني وهو العضو السوري الوحيد والممثل الأول لحزب البعث الاشتراكي في الحكومة وزعيم الكتلة الثانية في هذا الحزب الذي يتزعم كتلته الأخرى فيه كل من ميشيل عفلق وصلاح البيطار. ومما يجدر ذكره هو ظهور الانشقاق في هذا الحزب بعد حله أثناء الوحدة، حتى لقد اصبح النفور واضحاً بين السيد الحوراني وأتباعه من الوزراء العسكريين والمدنيين أمثال حمدون وقنوت والكلاس ورياض المالكي من جهة وبين السادة صلاح البيطار وعفلق وأنصارهما من جهة ثانية، وحتى لقد أهمل البيطار وأصبح بعض المقربين من قصر القبة يتهمونه بأنه ظل ميشيل عفلق ويتهمون عفلق بالعمل لصالح الانكليز والفرنسيين. وكان واضحاً أيضاً الانقطاع الكامل بين الحوراني والبيطار في مصر لدرجة أصبحنا معها نشفق على الاستاذ البيطار بسبب اهمال الرئيس له وحقده عليه واطلاقه عليه لقب «الوجه الأصفر». . وهكذا أمكن للرئيس عبد الناصر أن يوجه أكبر ضربة مزدوجة لحزب البعث الاشتراكي بعد ان حل هذا الحزب نفسه منذ قيام الوحدة كعربون أولي لقيام الوحدة العربية، وللتدليل على ثقة الحزب بزعامة عبد الناصر وذلك:

١ ـ بتجزئة العناصر القيادية في الحزب وايقاع الانقسام والفتنة بينهم وبين أفراد الحزب بشكل عام.

٢ ـ استغلال وجود ممثلي الحزب في الحكم وتحميلهم مسؤولية المساهمة في ضرب القوى التقدمية في سورية والانتقام من العناصر اليمينية المناوئة بواسطة

حمدون (الاصلاح الزراعي) والكلاس (الاقتصاد) وقنوت (العمل والشؤون الاجتماعية)، والمالكي (الصحافة) والحوراني (كعضو في اللجنة الثلاثية).

ووجد الناس في سورية الفرصة لمهاجمة الوضع دون التعرض لانتقام المباحث والمخابرات فصبوا جام غضبهم على حزب البعث وقادته وعلى العسكريين المساهمين بالحكم وحملوهم مسؤولية تردي الأوضاع، ولم يسلم أحد من التهم العلنية سوى عبد الناصر والسراج اللذين حرصت المخابرات والأجهزة المباحثية على حمايتهما من الألسن مستعملة في سبيل ذلك أفظع الوسائل.

وكان لا بد لاتمام حبك الخطة من توجه حقد الرأي العام في سورية هذا الاتجاه، لذلك نجد اجهزة الدعاية المصرية والاجهزة التابعة لها في سورية بالاضافة إلى مباحث السراج لم تضع ثانية واحدة لتؤكد للناس صحة هذه الفكرة، واستغلت كل مناسبة لابراز مسؤولية الوزراء البعثيين وأكرم الحوراني بالذات، وكانت خطة بارعة ودقيقة لم يستطع الوزراء السوريون كشفها إلا متأخرين، ولم يفطنوا إلى هذه الخطة المكيافيلية حتى كانت الكماشة قد أطبقت على عنقهم وأصبحوا «الكبش» الذي لابد من ذبحه فدية لسمعة العهد...

جاء دورنا بالتصفية:

منذ قيام الحكومة المركزية أراد الرئيس ابعادي وامين النفوري عن دمشق وكان بوده التخلص منا على أقساط ولكن عدم قبولي المساومة بالنسبة لأمين أجبره على تأجيل البت في مصيرنا إلى ظروف أخرى. وفي احد الأيام جاءني رسول من قبل العقيد حسين حدة وكان آنذاك يعمل في القيادة العامة في القاهرة ويتمتع بثقة العقيد عبد المحسن ابو النور، وذكر لي هذا الرسول بان حسين حدة يستغرب موقفي من أمين النفوري واستمراري على دعمه وربط مصيري بمصيره بعدما ثبت تآمره على الجمهورية مع العراقيين والشيوعيين وان جميع الضباط والوزراء

السوريين (وخص بالذكر بعض الأشخاص الذين لا أرى موجباً لذكرهم) وكذلك المصريين يأملون مني تغيير هذا الموقف والتغاضي عن اخراج النفوري من الوزارة لمحاكمته حتى اذا لم تثبت ادانته أعيد إليها. أما انا فستسند إلي رئاسة المجلس التنفيذي في سورية تقديراً لموقفي بالاضافة إلى ما سأناله من تأييد الرئيس والمشير وضباط الجيش. . هكذا. . وقلت للرسول انني اعتبر هذا الحديث مؤامرة خسيسة من المسؤولين ومن أجهزة المخابرات أمثال عبد المحسن ابو النور والسراج وانني أستطيع من جانبي اتهام بعض الشخصيات والمسؤولين الكبار وخاصة السراج والمسؤولين المصريين بالتآمر على الوحدة كما أحملهم مسؤولية تدهور الوضع في العراق واقامة المذابح هناك، واذا كان لا بد من تقديم احد للمحاكمة كمسؤول عن هذه الكوارث فإنني أجد ضرورة تقديم كل أو بعض هؤلاء.

وكتمت الأمر عن السيد أمين النفوري كما سبق وكتمت عنه مساومة المشير عامر أثناء تشكيل الحكومة المركزية والتي كان من نتيجتها ابعادي إلى مصر، وقررت التحدث مع المشير حول هذا الموضوع لأنني اعتبره امراً خطيراً واطلب اجراء التحقيق مع حسين حدة عن المحركين الحقيقيين له والا فان استمرارنا في الحكم يعتبر امراً غير طبيعي مؤكداً اشتراكي بنفس المصير مع أمين.

وعندما فاتحت المشير عامر بهذا الموضوع وعدني بالتحقيق وتهجم على حسين حدة ونعته «بعدم الاتزان وبالطيش»[4]. . ولكن التحقيق لم يجر حتى الآن. .

ولعل من أغرب الأمور التي لاحظناها ذلك الموقف الخطير الغريب الذي أخذ يقفه السيد طعمة العودة الله مني ومن أمين بالذات فقد شعرت منذ استلامه الوزارة أنه لا يريد التعاون معي اطلاقاً بل انه على العكس كان يريد اشعاري في

---

٤ ـ والغريب ان وصف العقيد حسين حدة الذي وضعه الضباط المصريون كما جاء في احدى الوثائق التي عثر عليها في منزل المشير عامر كان لا يوحي بثقة المصريين به، وقد وصفوه بأنه تضرر من جراء قرارات التأميم وانه لا يصلح للخدمة في الجيش. هكذا ورغم هذا كان الدور الذي أراد ان يقوم به لخدمتهم ورغم كل الروابط التي كانت بيننا.

كل مناسبة بأنه معتمد الرئيس وان الوزير المركزي ليس له أية سلطة، ووصلت به الثرثرة في احدى المرات إلى ان باح بأمر خطير كشف لي حقيقة لعبة الرئيس منذ تشكيل الوزارة المركزية، ولم يكن يشعر بمدى خطورة ما يقول، وكان يسهب في ذكر الأمثلة التي تدل على سعة ثقة الرئيس والمشير فيه فذكر ان الرئيس قال له في أول مقابلة بعد تسلمه الوزارة بانه - أي طعمة - اراحه من المتاعب التي كان يسببها له احمد عبد الكريم في الوزارة[*]. . وهكذا تبين ان كلام الرئيس عن أهمية الوزارة المركزية وثناءه على العناصر التي انتقاها لها كان ستاراً يخفي لعبة بارعة كثيرة الجوانب متعددة الأهداف ولم يكن ذلك مفاجئاً لي ولا لغيري وانما جاء بمثابة تأكيد جديد لما كنا نصل اليه في كل مرة نحلل أو نناقش فيه الوضع العام في الجمهورية المتحدة، وسياسة عبد الناصر اللا أخلاقية الغامضة.

ولذا فقد زاد تصميمي على اضاعة الفرصة على الرئيس للإيقاع بيني وبين الأخ طعمة مهما كلفني ذلك وكنت في كل المناسبات أؤكد لطعمة عدم اهتمامي بالوزارة ورغبتي في نجاحه هو واستعدادي لتقديم كل ما استطيع في سبيل دعم مركزه ونجاح وزارته لأنني اعتبره أخي مهما كانت الظروف ومهما سلك الرئيس أو المشير أو السراج وأتباعهم من أساليب للتفريق بيننا.

ولكني في كل مرة كنت أجد فتوراً واضحاً من جانب طعمة يعبر عنه بأسلوب ساذج عندما يركز حملته على أمين النفوري وضرورة عدم ثقتي به لأنه يسبب لنا المتاعب بسبب سلوكه وعنته، بل قد يتعدى ذلك احياناً إلى التهجم على كل من تربطنا به أية صلة أو صداقة وعندما أحاول افهامه ان العمل السياسي يتطلب الاناة والحكمة وسعة الصدر وتفهم الجوانب الخيرة في الآخرين وتقدير الامكانيات لكل فرد والدور الشريف الذي أداه خلال السنين الصعبة التي

---

[*] ـ وكل ذلك كان يدل على الأسلوب الذي كان يتبعه الرئيس والمشير مع الوزراء السوريين لاثارتهم وتفريقهم والتمهيد لاستهلاكهم الواحد تلو الأخر، مما يتنافى مع ابسط قواعد الأخلاق. وقد قدم له السيد عبد الحميد السراج خدمات ثمينة في هذا المجال.

سبقت الـوحـدة وأذكره بالمواقف المختلفة التي مرت علينا، وبالمحاولات المتعددة التي قام بها الخصـوم للفـرقـة بيننا، كان يقتنع أو يتظاهر بالاقتناع ويوجه هجومه ونقمتـه على السـراج الذي يعتبره سبب كل العلل ويتهمه بشتى التهم الأخلاقية وغـيرهـا، الأمـر الـذي يوحي بالـدور القذر الذي كان يلعبه عبد الحميد السراج لتمزيق صفوف المسؤولين وتشويه سمعتهم.

ومما هو جديـر بالـذكـر ان السيد طعمة كان على تفاهم تام مع البعثيين في ذلــك الـوقت واستمـر على ذلـك طيلة المـدة التي انقضت بين تشكيـل الـوزارة المركزية وتكليف المشير عامر بالاشراف على الحكم في الاقليم الشمالي. وكان في هذه الفـترة على زعمـه يلعب دوراً خطـيراً بالتعاون مع السراج لتفكيك الروابط بين الـوزراء البعثيـين وفصـل العسكريين منهم عن المدنيين وكان ألصق بالسراج من ظله بالاضافة إلى انه كان لا يفارق في سهراته وسفراته عبد الغني قنوت الذي كان يستغـل فيـه فترات السـرور ليستفـرغ كل ما في جعبتـه من أسـرار. غير ان واجب الحقيقة يقتضي الا نتجاهل موقف السيد طعمة العودة الله عندما دافع عن النفـوري ورفض بعنـاد المـوافقـة على اتخاذ أي اجراءات ضده عندما بحث أمره بحضور الرئيس عبد الناصر والسيد اكرم الحوراني وعبد الحميد السراج، مما يدل على جوهـره السليم وبسـاطتـه، ولكنـه مع ذلك كتم الأمر عنا إلى ان علمت به صدفـة من جادو عز الـدين عنـدمـا كنت واياه نتناول طعام الغداء في بيت العقيد احمـد حنيـدي بمصـر الجديدة، وتظاهرت يومها بأنني اطلعت على ذلك من احد الـوزراء عنـدمـا ألـح علي جادو عز الدين بعدم البوح به ولكني كتمت الأمر على أمين وأفهمته ان هناك بعض المؤامرات تحاك ضدنا في دمشق وأطلعته على حديث حسـين حدة ومسـاومـة المشـير وقـررنا أن نتسلح بالصبر وان نضيع الفرصة على المشـير واجهـزة المخـابـرات من فوقهـا لاخـراجنـا في تلك الظروف القاسية التي سادت الجمهـوريـة العـربية بعد ثورة الشواف في الموصل والحملة على العناصر التقـدميـة في سوريـة. وكـان بامكـان اجهـزة المخـابرات ان تتهمنا بالشيوعية أو بالاتصـال بقـاسم أو أية تهمة اخرى . . ولم يكن ليردعها عن ذلك وازع قومي أو

وطني أو أخلاقي خاصة بعد ان زرعت الشكوك بيننا وبين رفاقنا في الحكم وأبعدت العناصر الوحدوية في الجيش وبعد أن أصبحنا في القاهرة لا نملك حولاً ولا قوة. . وكثرت الاشاعات آنذاك حول اعتقالنا أو فرض الاقامة الاجبارية بحقنا واقالتنا من الوزارة. وزاد في رواج ذلك اغفال الصحافة والاذاعة لنشاطنا وتجنبها ذكر أسمائنا وعدم مساهمتنا في أي احتفال رسمي بسبب الجفوة الظاهرة التي كنا نقابل بها من الرئيس والمشير ومن الحواشي ولم نفقد أعصابنا بل قررنا المضي بهدوء في خطتنا التي تتلخص بعدم اعطاء الفرصة او السبب المباشر لضربنا، ولهذا امتنعنا عن حضور الحفلات الرسمية وتجنبنا الذهاب إلى سورية واتجهنا نحو دراسة جغرافية الاقليم الجنوبي والتعرف على مشاكله، فقمنا بجولات مفيدة في سيناء والبحر الأحمر والدلتا والصعيد والواحات والوادي الجديد والساحل الصحراوي بين الاسكندرية وحدود المملكة الليبية، واستمرت هذه الجولات الدراسية ما يزيد عن خمسة أشهر كان قطاف البعثيين خلالها قد حان وقارب دورهم على الانتهاء بعد ان فشلت محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم التي قام بها بعض أفراد حزب البعث العراقي وتمت تصفية القوى التقدمية في سورية.

حديث الرئيس مع الصحفي الهندي كرانجيا:

وكنا نعود من جولتنا في الوادي الجديد على متن احدى الطائرات عندما استمعنا إلى تسجيل اذاعي لحديث الرئيس مع الصحفي الهندي كرانجيا والذي شرح فيه سياسة الجمهورية العربية المتحدة الخارجية وعلاقاتها مع الاتحاد السوفياتي وموقف الأخير من الثورة العراقية. فلفتت انتباهنا من حديثه تلك الفقرة التي تحدث فيها عن الوحدة بين مصر وسورية وموقف الشيوعيين منها فإذا بالرئيس يرجع أسباب الوحدة إلى:

وجود مؤامرة شيوعية للسيطرة على سورية الأمر الذي دعاه إلى التعجيل

بالـوحـدة للقضـاء على هذه المؤامـرة الشيـوعية التي استفادت من الأزمة التركية السـوريـة لتنفيـذ خطتهـا . . وهنـا ايضـاً تكشفت لنـا أمـور خطـيرة كنـا نسمع الاشاعات حولها ولا نصدقها حتى أتى تصريح الرئيس فأكدها .

وهكذا اتضح بان الوحدة في نظر الرئيس ليست ، كما يعتقد الشعب العربي كله ، الهدف التي ناضلت من أجله سورية العربية طوال النصف الأول من القرن العشـرين والـذي ضحت باستقـلالهـا من أجله . . وهي لست أيضاً أمل الشعب العـربي في كل الـوطن العـربي . . وإنـما هي وسيلة للوقوف في وجه خطر وهمي هو الخطـر الشيـوعي . . واستغـربنـا هذا التطـابق الخطـير بين استراتيجية الاستعمار الغربي وبين هذا الكلام عن الوحدة . . وتذكرنا يومها ما سمعناه من السيد خالد بكـداش قبـل اعـلان الـوحـدة بأيام قليلة ولم نصدقه آنذاك ، والذي يتلخص بان الـوحـدة لم تكن مفاجئة لامريكا والدول الغربية وانما هي بموافقتها لأنها الوسيلة التي يمكن بواسطتها القضاء على الحركة التقدمية في سورية واخماد صوتها الحر في الأوسـاط الـدوليـة بعـد ان عجـز الاستعـمار عن الـوصـول إلى ذلك عن طريق المؤامـرات والضغـط والعـدوان غير المباشر . ولكننا اعتبرنا ذلك آنذاك مغالاة من جانب بكداش لا مبر ر لها إلا عدم ايمانه بالوحدة العربية .

وعجبت من موقف الرئيس جمال عبد الناصر ، كيف يتجاهل شعور الشعب السـوري ونضـاله الطويل من اجل الوحدة وكيف يتجاهل الدوافع الحقيقية لثورة لبنـان وثـورة العـراق والحركات الشعبية في الاردن والسعودية والمحميات واليمن . وكيف تجاهـل دور الجيش والطليعـة الشعبيـة والحكومة والبرلمان عندما قرر هؤلاء جميعاً الوحدة مع مصر كخطوة اولى نحو الوحدة العربية الشاملة .

ورجعت إلى نفسي فقلت اننا ، على كل حال ، لم نكن ، على الأقل نرى بين الاسبـاب التي دفعتنـا للعمـل على تحقيق الـوحدة أي أثر للخطر الشيوعي ولم نكن نؤمن بوجـود هذا الخطـر ولم يكن يخطـر على بالنـا سوى احتـواء الخطـر الاسـرائيـلي والـدفـاع عن سوريـة ، وعن سياستنا التحررية وحيادنا الايجابي بين

الكتل المتصارعة خلال فترة المؤامرات التي مرت على سورية قبل الوحدة بل كنا اكثر من كل ذلك نعتقد بان التهديد بالعدوان التركي والمؤامرات المحمومة ضد سورية ليست إلا جزءاً متمماً من العدوان الثلاثي على مصر وليس العدوان على مصر والتهديد والمؤامرات على سورية والحرب الاستعمارية في الجزائر والمؤامرة الصهيونية الاستعمارية على فلسطين العربية سوى حلقات من سلسلة واحدة هدفها استعباد الشعب العربي وبسط النفوذ الاستعماري عليه والحيلولة دون تحرره ووحدته وتطوره الاجتماعي. اما المؤامرة الشيوعية على سورية فلم نسمع بها إلا في تصريح الرئيس اللهم إلا اذا اعتبرنا الدعايات التي كانت تشنها على سورية دول حلف الاطلسي وحلف بغداد منذ عام ١٩٥٥ والتي اثبتت الأيام كذبها[٦].

مصير اللواء عفيف البزرة:

ولعل مما يزيد في وضوح صورة الموقف عام ١٩٥٥ تلك المعاملة التي لقيها السيد عفيف البزرة منذ اقالته من قيادة الجيش حتى خروجه من سورية عام ١٩٥٩ . . . ومن المعروف انه اسند لعفيف البزرة وظيفة كبرى في لجنة التخطيط العليا وقد صرح لي الرئيس مرة عندما ناقشت واياه مشكلة البزرة بأنه لم يتخذ **هذا الاجراء إلا بسبب ضغط قادة حزب البعث وانه لا يشك بسلوك البزرة واخلاصه للوحدة رغم كل ما يقال عنه بأنه شيوعي**. وأنه عينه في لجنة التخطيط ريثما تتاح له الفرصة للاستفادة من امكانياته وهو في عمله الجديد يتجنب نقد البعثيين وحملاتهم بالاضافة إلى انه قريب منه ويتمتع بثقته مما يغيظ البعثيين عامة والحوراني خاصة عندما يطالعون في الصحف المصرية نشاطه واتصالاته بالرئيس. . هكذا. .

---

٦ - ويستطيع القارىء ان يحكم على هذه الدعايات عندما يتذكر انها كانت مركزة على اتهام السيد خالد العظم والسيد عبد الحميد السراج بالشيوعية والعمالة للاتحاد السوفياتي!!!.

غير ان الوقت لم يطل حتى ظهر عدم صحة كل هذه المبررات وان البزرة لم يكن من الموثوقين من قبل الرئيس بل كان متهماً بالشيوعية وبتأييد عبد الكريم قاسم. ولذلك فان استمرارنا بالاتصال معه كان موضع استغراب من الرئيس وبقية الحاشية غير أننا لم ننقطع عن زيارته حتى غادر القاهرة. .

وبعد انتقالي إلى القاهرة استدعاني المشير عامر في احد الأيام على عجل واطلعني على تقديم البزرة استقالته من مهمته في لجنة التخطيط، وان الرئيس منزعج جداً من اصراره على الاستقالة بسبب الظروف الحالية وخاصة العلاقات مع العراق وهو يأمل مني اقناع عفيف بالرجوع عن استقالته وابلاغه واستعداد الرئيس أن يرسله بمهمة خارج الجمهورية اويعينه سفيراً في الدولة التي يختارها ليثبت له استمرار ثقته به والح المشير علي للإسراع بالاتصال بعفيف لاقناعه باسترداد استقالته.

وذهبت تواً إلى بيت السيد عفيف البزرة واستطعت اقناعه بعد لأي بالعدول عن الاستقالة وقبول فكرة المهمة الخارجية لمدة سنة خاصة وقد كان آنذاك يشكو من الم عصبي يكاد يقعده عن الحركة. وفي المساء ابلغت المشير نتيجة اتصالي بعفيف فأعلمني بأن الرئيس سيستدعيه في اليوم التالي ويتفق معه على مهمته الجديدة. غير أن الرئيس لم يستدعه في الوقت المحدد وانتظر عفيف هذه المقابلة اكثر من اسبوع ولكن دون جدوى مما افقده صبره فقرر السفر إلى دمشق ولم اجد الحجة المنطقية لاقناعه بالبقاء في مصر لأن صبره كان قد نفذ تماماً بسبب البطالة والاهمال.

كما انني في الحقيقة لم أكن مقتنعاً أيضاً بالحجج التي ساقها لتبرير مغادرته القاهرة في تلك الظروف وكذلك كان رأي الأخ أمين النفوري وكنا نفضل بقاءه إلى ان تنحل الأزمة العراقية وتتحسن الظروف الداخلية في الجمهورية ولكنه اصر على رأيه بسبب حالته الصحية كما كان يدعي لأن جو دمشق الذي تقل نسبة رطوبته عن جو القاهرة قد يساعد على شفائه من مرضه العصبي (العرق الأنسر).

وهكـذا كان مصـير رجـل شريف قام بدور رئيسي في الـوحدة وقاد القوات المسلحـة السـوريـة في احلك الأيـام التي مرت على سورية قبل الوحدة واستطاع خلال هذه الفترة من اثبات جدارته بهذا المنصب الخطير فجمع حوله كافة ضباط الجيش بعد ان كانت وحدة الجيش معرضة للتفكك خلال فترة رئاسة اللواء شقير واللواء توفيق نظـام الـدين. وهـو الوحيد الذي لجأ إلى اسلوب القيادة الجماعية في الجيش فوافق على تشكيل مجلس للقيادة ضم حوالي (٢٤) ضابطاً كانوا يساعدونه في ادارة الجيش ورسم السياسة العامة له.

وكـان مصـير عفيف البـزرة مثـلاً سيئـاً يمكن ان يلاقيـه بقيـة زمـلائه من العسكريين والمدنيين الذين وثقوا بعبد الناصر وعملوا على تحقيق الوحدة واعترفوا بزعـامتـه للقـومية العربية ودعوا لها. ولم يتلق الرأي العام هذه المعاملة بالرضا رغم الظـروف الصعبـة التي كانت تمر بها الجمهـوريـة بسبب نزاعهـا مع حكـومـة عبد الكريم قاسم وما اكتنف ذلك من ملابسات الوضع الداخلي في سورية.

تعيين المشير عامر حاكماً مطلقاً في سورية:

كانت الأوضـاع تسـير في سوريـة من سيء إلى اسـوأ واثبتت الوقائع فشل اللجنة الثلاثية في مهمتها وساءت الحالة الاقتصادية بسبب الجفاف ورداءة المواسم الـزراعيـة وضجت الأوسـاط التجـاريـة والصناعية بسبب اغلاق الحدود العراقية والسعـوديـة والأردنيـة بوجـه البضـائـع السورية واخذت بعض المعامل في دمشق وحلب تسـرح عمالهـا لعـدم تصـريف صناعتها وأغرقت بعض السلع المصنوعة في مصر الأسواق وارتفع الفرق بين العملة اللبنانية والسورية، وعظمت نسبة تهريب الأمـوال خارج الاقليم وزاد في انخفـاض القيمـة الشـرائية لليرة السورية، واقبل بعض التجـار والمـواطنـين على اقتناء الجنيه مما أدى إلى خسارة الكثيرين منهم..
وربـط النـاس بين هذا التـدهور الاقتصادي وبين توسع عمليات بنك مصر وبنك

القاهرة في الاقليم، وتقنينهم رخص الصناعة بالنسبة للسوريين وجعل صلاحيات منح الرخص من اختصاص الوزارة المركزية في القاهرة وتعين امين عام مصري لوزارة الصناعة التنفيذية يتمتع بصلاحيات واسعة جداً فاقت صلاحيات الوزير التنفيذي. **وأصبح واضحاً بان السياسة العليا ترمي إلى اعاقة برامج التنمية والتصنيع في الاقليم الشمالي والتوسع بالصناعة في الاقليم الجنوبي ثم منع الاستيراد لجعل سورية سوقاً للسلع المصرية بدون اية منافسة**. ولعل من ابرزما ظهر في هذه الفترة هو تعطيل مشروع سد الفرات، واستثمار البترول في سورية.

وبدأ الناس في سورية على مختلف نزعاتهم يضيقون ذرعاً بهذه السياسة وأخذوا يهاجمون المصريين ويوجهون الانتقادات اللاذعة للوزراء السوريين الذين يسكتون على مثل هذه المؤامرات التي لا يمكن تفسيرها الا «بالتمصير» **واتجه الرأي العام نحو اتهام الوزراء السوريين بالتآمر على مصلحة الشعب السوري والسكوت على انحراف الوحدة وتحولها إلى تسلط مصري وتبعية سورية**. . وانصب غضب الرأي العام على الوزراء العسكريين والبعثيين بالذات لأنهم يشكلون الأكثرية في الحكومتين المركزية والتنفيذية بالاضافة إلى وجود أكرم الحوراني عضواً في اللجنة الثلاثية ولأن حزب البعث هو الذي حمل لواء هذه الوحدة غير المتكافئة بل كان يدعي بأنه هو الذي فرضها على هذا الشكل. .

واصبحت احاديث المواطنين تتناول الوحدة والرئيس عبد الناصر بالنقد اللاذع، وضاعف في حدة «ازمة الوحدة» سوء الموسم الزراعي ذلك العام وتدهور الاقتصاد السوري وعدم مشاركة السوريين بالحكم واسلوب الارهاب والتعذيب والقتل الذي امتاز به عهد السراج.

فما كان من الرئيس إلا ان اصدر قراراً بقانون يعين فيه المشير عبد الحكيم عامر نائباً له في دمشق وخوله معظم صلاحياته وصلاحيات رئيس المجلس التنفيذي واللجنة الثلاثية والوزارات المركزية بالاضافة إلى تعيينه حاكماً عسكرياً ووزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة. . وكان هذا القرار المفاجيء بمثابة

ضربـة قاصمـة موجهة ضد السيد اكرم الحوراني خاصة وحزب البعث بشكل عام كما كانت بدايـة واضحـة لتصفيـة السـراج بعـد ان سبق هذا القرار تركيز الدعاية لتحميـل البعثيـين مسؤوليـة تدهـور الأوضـاع في الاقليم الأمر الذي يعتبر مقدمة للاستغناء عنهم على الطريقة الناصرية المعروفة.

ومن هنا يمكن القول بأن تعيين المشير عامر كان له صدى عميقاً لدى جميع الأوساط في سورية وذلك للأسباب التالية:

١ ـ زوال سلطـة اكـرم الحـوراني والبعثيـين عامـة الـذين جعلتهم اجهـزة المخـابـرات المصرية مسئولين عن كافة اخطاء الوحدة في سورية، كما ساهم بذلك عبد الحميد السراج الذي كان الرئيس يحتفظ به لهذا الدور الخطير.

٢ ـ اعتقادهم بان نفوذ السراج الارهابي سوف يتقلص وان الرئيس سيعدل سياسته تعديلاً كاملاً في سورية.

٣ ـ الصـلاحيـات الـواسعـة التي اعطيت للمشـير مما يسهـل سير الأمـور ويسرع في حل المشاكل الكثيرة المتراكمة.

٤ ـ اعتقـاد النـاس بأن المشـير وهو الشخصية الثانية بعد عبد الناصر، وان اطـلاق يده في سوريـة معنـاه ازاحـة الستـار نهائيـاً عن الحكم المصـري المباشر في سورية، وفضح سياسة عبد الناصر الحقيقية بعد أن حاول سترها أكثر من عامين.

غير ان ذلـك لم يكن يعني ابـداً قبول غالبية الشعب في سورية بهذا التعيين لأنـه كان يكشف عن سيـاسـة التمصـير ويتجـاهل عواطف السوريين وشعورهم بتسلط المصـريـين على كل شيء، وأخـذ الـرأي العـام الـواعي في سورية يلقب المشير «بالمفوض السامي» منذ سماعه لنبأ تعيينه.

جولة في الاقليم بعد غياب ثمانية اشهر:

في شهر آب (اغسطس) من كل عام تصاب الحركة الحكومية في القاهرة بل في مصر كلها بالشلل بسبب اشتداد الحرارة وارتفاع نسبة الرطوبة اثناء الفيضان،

وفي هذا الشهر تعطل جميع دوائر الحكومة وينتقل الوزراء والموظفون إلى شواطىء المتوسط والبحر الأحمر للراحة والاستحمام. ورغم ما ادعته الثورة المصرية من أنها قضت على انتقال الحكومة إلى الاسكندرية اثناء فصل الصيف إلا انها لم تستطع عملياً ابقاء نشاط الوزارات في القاهرة خلال فصل الصيف وخاصة في شهر اغسطس . . .

لذلك وجدنا انفسنا في عطلة الزامية مدتها شهر وطلب منا الرئيس القيام بجولة اطلاعية في الاقليم الشمالي لمتابعة مشروعات الوزارات التنفيذية واعتبرنا ذلك بمثابة بداية لمرحلة جديدة افرج فيها عن حرية الوزراء المركزيين وسمح لهم بالذهاب إلى الاقليم الشمالي بعد مرور ما يقرب العام.

وسافرت إلى دمشق في اول شهر آب عام ١٩٥٩ وقررت القيام بجولة في كافة المحافظات بحجة الاطلاع على مشاريع وزارة البلديات ولم احضر معي احداً من الموظفين لكي اتجنب اعطاء هذه الجولة الشكل الرسمي . .

وزرت في اليوم التالي لوصولي الأخ طعمة في مكتبه ولكني وجدت منه فتوراً لم أعهده غير أن ذلك لم يثنني عن عزمي على الجولة فاعلمته بقراري ورجوته ان يرسل معي أحد موظفي الوزارة وودعته وانصرفت . . وعندما سألني بعض الصحفيين عن سبب زيارتي أجبته بأنها للإطلاع على المشاريع التي قامت بتنفيذها الوزارة التنفيذية لاعطاء المعلومات الكافية عنها للرئيس عند اجتماعاته المقبلة بالوزارة المركزية . . ولم اعد ثانية إلى وزارة البلديات لأني لاحظت عدم ارتياح السيد طعمة لزيارتي له.

كما تأكد لي ذلك من اصدقائنا من أمثال احمد الحنيدي ووفيق اسماعيل وغيرهم، والحقيقة انني ذهلت لهذا الموقف الشاذ رغم كل ما بذلته من جهود لتجنب الاحتكاك معه بل وافهمته رأيي بصراحة حول النظام الجديد وان هناك محاولات كثيرة للتفريق بيننا وان على كل منا أن يبذل كل ما يستطيع ليفوت الفرصة على الراغبين بذلك . . ولكن عبثاً حاولت واصبحت مقتنعاً تماماً بأن ما

يقـوم به لا يمكن ان يكـون من صنعـه وحـده وانـما هو بالاتفـاق مع المشـير عامـر والسراج وانه جزء من خطة عامة وينفذها عبد الحميد السراج.

وتجـاهلت موقفـه وقمت بجولتي بعد أن مر اكثر من اسبوعين دون ان أتلقى منه دعوة لهذه الزيارة ودون أن يرد لي زيارتي في منزلي واستطعت خلال هذه الزيارة ان استمع إلى الكثير من المواطنين ومن الأشخاص الرسميين واتصلت بمختلف الأوسـاط من سيـاسيـة وتجـارية وصناعية ونقابية ووجدت في كل المدن التي زرتها اجمـاعـاً على شجب سيـاسـة الـرئيس تجاه سوريـة وتـذمراً من عدم التكافؤ بين الاقليمـين ضمن الجمهـوريـة وعـدم مشاركة السوريين في رسم وتنفيذ السياسة العليا للجمهورية وحقداً على الحكم البوليسي الذي ينفذه السراج ودوائر مخابراته.

كما اطلعني محافظ حلب الاستاذ رفعت زريق على تفاصيل اكتشاف شبكة مخابـرات خاصـة مرتبطـة بالـرئيس مباشرة تعمل وفق سياسة مناقضة تماماً لسياسة وزارة الـداخليـة وتتصـل بمعظم العناصر اليمينية كالوطنيين والشعبيين والاخوان المسلمـين والاقطـاعيـين لتشجيعهم على الـوقـوف في وجـه الـوزراء العسكريين والبعثيـين وتعـدهم بدعم السلطات لهم في انتخابات الاتحاد القومي وتبشرهم بأن تكـون الانتخـابـات المقبلة وسيلة للتخلص من البعثيـين والعسكـريين المشتركين بالحكم، واكد لي ذلك السيد مروان السباعي مدير شرطة حلب.

كما علمت بان شبكـات مماثلة اكتشفت في الـلاذقيـة وحمص وحمـاه واصبح معـروفـاً في كل المحـافظـات ان هنـاك سلطـة عليـا فوق سلطة المباحث والمكتب الخاص. ودهشت لما لاحظته من صراحة الناس في انتقاد العهد وعدم خوفهم من التصـريـح بآرائهم.. حتى لقد وصل الأمر إلى درجة ان الموظفين الرسميين كانوا ينتقـدون علنـاً في كل المنـاسبـات سيـاسـة الدولة ويحتجون على سياسة التمصير والعـدد الضخم من المـوظفين المصريين الذين يتواردون على مختلف الدوائر باسم خبراء ويتنـدرون على مستـوى كفـاءتهم وسلوكهم... وكنت اسمـع من جميـع المـواطنـين انهم يحملون الـوزراء السـوريـين وخاصة الموجودين منهم إلى جانب

الرئيس في القاهرة مسؤولية هذا الانحراف بالوحدة والغموض الذي تمتاز به سياسة الجمهورية الداخلية والعربية والخارجية.

وعندما عدت إلى القاهرة في نهاية شهر أغسطس كانت الصورة التي اخذتها عن الوضع في الاقليم الشمالي تشبه إلى حد بعيد صورة أواخر عهد اديب الشيشكلي واصبحت قانعاً تمام القناعة بضرورة مصارحة الرئيس بكل شيء وانه لا بد من معالجة الأمور بشكل جذري في سورية والا فان الوحدة بين الاقليمين ستتعرض إلى هزات عنيفة، وان زعامة عبد الناصر نفسها ستصاب بالصميم لأن المواطنين أخذوا يحملونه علناً مسؤولية كل الأخطاء التي يرتكبها المصريون وكذلك التفكك الذي يمتاز به المجلس التنفيذي برئاسة نور الدين كحالة والذي وصل إلى درجة تثير السخرية.

ولعل ما لفت نظري آنذاك ان الصحف المصرية اخذت تنشر اخبار جولتي في المحافظات كما ذكرت صحيفة الأهرام بعض التصريحات على لساني حول مشروع خطة التنمية الذي تقدمت به إلى الرئيس.. ولم اعرف حتى الآن سبب هذا الاهتمام المفاجيء بنشاطي ولا المصادر التي اوصلت تفاصيل مشروع خطة التنمية للصحف اثناء غيابي عن القاهرة.. وتشاءمت جداً من هذه البادرة لاعتقادي بانها لن تساعد على تلطيف الجوبيني وبين الأخ طعمة العودة الله الذي يستفزه أي حديث عن الوزارة المركزية.. ويعلم الله انني لم اكن مسؤولاً ولا راغباً في كل هذه الدعاية الفارغة.. وعدت إلى مصر دون ان اجتمع ثانية بالأخ طعمة الذي بلغ به الأمر ان اعتذر عن حضور حفلة عشاء خاصة لي وله. كما صادف وجودي مرة وعائلتي في فندق بلودان وكان هناك هو واحمد حنيدي وأكرم ديري وجادو عز الدين والفريق جمال فيصل ووفيق اسماعيل.. ولم يحاول احد منهم الاقتراب مني والسلام علي.

وايقنت منذ ذلك الوقت بان اجهزة المخابرات نجحت فيما لم يقدر عليه الاستعمار، الا وهو تدمير العناصر التي استطاعت ان تقف في وجه المؤامرات على سورية منذ عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٥٨، مبتدئاً بعفيف البزرة وصبري العسلي

ثم بقادة حزب البعث الاشتراكي وبعد ذلك بي وبأمين النفوري وسيأتي دور السراج والوزراء الآخرين.

كما استطاعت الايقاع بين اعز الاصدقاء وبين رفاق السلاح والدراسة مستخدماً في ذلك جميع الوسائل، ومعتمداً على اثارة الغرائز الفردية والانانيات الشخصية والاغراءات المتعددة ليبعد الأخ عن اخيه ويعزل كل من تعاونوا معه عن اصدقائهم ثم يتركهم ليحطموا بعضهم البعض ويوجه الرأي العام ضدهم.. وساعده على هذا الدور ايماننا العميق بالوحدة والامكانيات الواسعة التي كانت لديه ووجود بعض التناقضات والعنعنات بين الوزراء السوريين وقلة وعي بعضهم ووصولية البعض الآخر... وفوق هذا وذاك اجهزة المخابرات والاعلام التي لم يستطع حتى الاستعمار ايصال اجهزته إلى مستواها.

مقابلة الرئيس:

عدت إلى القاهرة في ١ ايلول ١٩٥٩ مقتنعاً باستحالة الاستمرار في الحكم اذا لم يبادر الرئيس إلى معالجة الأمور بصراحة في الاقليم الشمالي بشكل يضمن اقتناع الشعب السوري بانه يشارك فعلاً في الوحدة على قدم المساواة مع الشعب مع الشعب المصري وانه يساهم في رسم مصيره، ولا يهم اطلاقاً بقائي أو بقاء كافة العناصر المساهمة في الحكم، وإنما الأساس هو أن ينتقي الرئيس من يشاء من السوريين وان يمنحهم ثقته الكاملة وان يشركهم معه في رسم سياسة الجمهورية وتنفيذها بما يضمن زوال الشكوك التي سيطرت على الشعب في الاقليم الشمالي خلال عام ونصف واقتناعهم بأن الوحدة كما يطبقها الرئيس عبد الناصر ليست إلا شكلاً من الاستعمار المصري وأن الوزراء السوريين ليسوا إلا دمى وأن الحكومات المركزية عبارة عن حكومة منفى كالحكومات التي عرفها العالم خلال الحرب العالمية الثانية....

وفي اليوم الثاني لوصولي إلى القاهرة دعيت لمقابلة الرئيس واستمرت مقابلتي معه لمدة ثلاث ساعات تحدثت فيها بكل صراحة وبينت له ان الوضع في سورية يتردى من يوم لآخر وانه يذكر بايام الشيشكلي الأخيرة وان غالبية الشعب السوري تعتقد بان سورية لا تشارك في الحكم وهم يسخرون بنظام الحكم وسلوك الموظفين المصريين وصلاحيات الوزراء المصريين في جميع المجالات وبالمهاترات التي يسمعونها عن الوزراء واجتماعات المجلس التنفيذي وهم يعتقدون بان قصر القبة محرم على السوريين وان الرئيس يهتم بشؤون «قطر» اكثر مما يهتم بشؤون سورية وانه لا يقيم وزناً للرأي العام هناك. وهم يحملون الوزراء المركزيين مسؤولية السكوت عن انحراف الوحدة وعن تسلط المصريين وانفرادهم بالسلطة . . وان نظام الحكم في الجمهورية نظام فردي مطلق وان الناس لا يعرفون من هو المسؤول عن مصائرهم. واطلعته على صدى اكتشاف بعض شبكات المخابرات المصرية التي تعمل في سورية بدون علم السلطات هناك والتناقض بين سياسة المسؤولين السوريين وبين توجيهات، القاهرة ودعاياتها . . وان الناس يستدلون من ذلك بأنه لا توجد وحدة فكرية بين الرئيس ووزرائه السوريين . . ويتوقعون استخدام انتخابات الاتحاد القومي لتصفية القوى التقدمية وتمزيق قاعدتها الشعبية تمهيداً لضرب كل او بعض الذين تعاونوا مع الرئيس منذ قيام الوحدة ومن ثم التخلص من البقية الباقية على مراحل متتالية . . ويؤكد الناس ان دور البعثيين قد انتهى حسب ما يروجه ضباط المخابرات المصريون.

واستغربت موقف الرئيس مني هذه المرة عندما طمأنني بانه على اطلاع تام على الوضع في سورية. وان من حقه جمع المعلومات عن الرأي العام في الاقليم الشمالي بالطريقة التي يريد وان كل ما يقال ليس إلا من دسائس السياسيين والاحزاب والشيوعيين الذين يريدون تخريب الوحدة . . وانه سوف يعالج الوضع بحزم ولو ادى ذلك إلى ملء معسكرات تدمر بالمعتقلين!

وعندما تحدث عن فشل اللجنة الثلاثية في تحسين الجو في سورية وعدم

انسجام المجلس التنفيذي لمح إلى ضرورة تعيين احد الاشخاص واعطائه السلطة اللازمة لمعالجة الأمور وجعل الوزراء هناك مسؤولين امامه، وتساءل عما اذا كان المشير عامر يصلح لمثل هذه المهمة الخطيرة. فاجبته بانني لا اعتقد ذلك، لأن الشعب في سورية سيصاب بخيبة امل عندما يجد مصرياً على رأس الحكم هناك بينما لا يوجد في مصر أي مسؤول سوري، كما ان الكثيرين من السياسيين يعتقدون بأن هناك عدداً من السوريين يمكنهم القيام بهذه المهمة، وتجاهل هؤلاء سيثيرهم ويزيد في تعقيد الأمور، وهنا حاول الرئيس اغلاق هذا الموضوع عندما قال لي بأنه يحتفظ بالمشير عامر لمهمة اكثر خطورة.

اقتراح عقد اجتماع يضم المسؤولين السوريين والمصريين لتحليل ازمة الوحدة وايجاد الحلول لها:

ثم سألني رأيي عن طريقة معالجة الوضع في سورية.. فحاولت التخلص من الاجابة إلا أنه عندما ألح علي أجبته بضرورة عقد اجتماع خاص، يحضره هو المشير عامر وعدد من الوزراء السوريين أو الشخصيات السياسية التي يراها على ان تناقش فيه بصراحة كافة شؤون الوحدة منذ قيام الجمهورية المتحدة حتى اليوم ويفسح فيه المجال لجميع العناصر كي تبدي رأيها بوضوح، ثم توضع الحلول الجذرية لمشاكل الوحدة الأساسية واهمها:

- مشاركة السوريين في الحكم فعلياً على مستوى الجمهورية المتحدة باقليمها وعلى اساس تكافؤ الاقليمين.

- توضيح نظام الحكم وذلك بتحديد اختصاصات الرئيس ونواب الرئيس والمجالس التنفيذية والوزارات التنفيذية والمركزية والنص على ذلك في الدستور الدائم..

- انهاء الحكم البوليسي واطلاق الحريات تمهيداً للانتخابات العامة.

- معالجة الأزمة الاقتصادية الناتجة عن سوء المواسم الزراعية. وازالة الشكوك التي نشأت من جراء تصرفات وزارة الاقتصاد ووزارة الصناعة المركزيتين.

المشير عامر في سورية :

ولكن ما لبث ان صدر قرار رئيس الجمهورية بتكليف المشير عبد الحكيم عامر بادارة الحكم في سورية ومنحه جميع الصلاحيات الخاصة برئيس الجمهورية فيها وتعيينه مشرفاً عاماً على الاتحاد القومي في الاقليم الشمالي وتعيين عبد الحميد السراج اميناً عاماً للاتحاد القومي في الاقليم.

اللجنة العليا للاتحاد القومي :

ذكرنا فيما سبق كيف ان الرئيس بحث في اجتماعاته مع الوزراء المركزيين مسألة الاتحاد القومي وقرر تشكيل لجنة عليا[٧] لوضع الاقتراحات حول المبادىء العامة وتنظيمات هذا الاتحاد.

بدأت هذه اللجنة اجتماعاتها في مبنى مجلس الشيوخ برئاسة نائب الرئيس عبد اللطيف البغدادي وكانت تعقد جلسة اوجلستين في الأسبوع وسارت المناقشات في البداية بشكل موضوعي يدعو للتفاؤل واستطعنا ان نتبادل وجهات النظر حول الأمور الجوهرية المتعلقة بالمفاهيم العامة : للاشتراكية، والديمقراطية، والتعاونية، والحرية، والقومية، والوحدة العربية، او الاتحاد الشامل والتضامن العربي . .

كما استعرضنا الظروف والأوضاع التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية الراهنة في الجمهورية المتحدة خاصة والدول العربية عامة.

واتضح من نتيجة هذه المناقشات ان الأعضاء السوريين في اللجنة متفقون إلى حد بعيد حول معظم هذه النقاط، اما الأعضاء المصريون فبالرغم من محاولاتهم الظهور بمظهر فكري منسجم غير اننا لمسنا فوارق كبيرة بين وجهات

---

٧ ـ سبق ان ذكرت في مكان آخر اعضاء هذه اللجنة.

نظـرهم . . وكـان أقـربهم إلى رأي السـوريين هو السيد كمال رفعت الذي كانت معلومـاتـه ومفـاهيمه للاشتراكية والديمقراطية علمية إلى حد لا بأس به . كما ان آراءه عن القـوميـة العربية والوحدة والتضامن العربي وعن التنظيم الشعبي كانت أقـرب ما تكـون إلى مفـاهيم الاعضاء السوريين في اللجنة . اما السيد زكريا محي الـدين فلم يكن اشـتراكيـاً ولا ديمقـراطيـاً ولا تعـاونياً وكانت وجهة نظره بالنسبة للقـوميـة والـوحـدة مشبعة بالأفكار الفاشية . . اما السيد كمال الدين حسين فكان يخلط بين المبـادىء الاصـلاحيـة التي ينـادي بها الاسـلام وبـين المفهـوم الجـديـد للديمقـراطيـة والاشـتراكيـة والتعـاونيـة ، ويتفق مع زكـريا محي الدين في عداوته للاشتراكية العملية ويعتبر انها شيوعية ملحدة . . وكان السيد البغدادي يقف في مكـان غامض بالنسبـة لآراء هؤلاء جميعـاً ، ولعل ذلك مرده إلى وضعه السياسي القلق في تلك الأيـام وعـدم ثقة الرئيس به ولذلك لم نستطع الوقوف منه على رأي قاطع في كل الأمور الجوهرية التي بحثت واكتفى بادارة الجلسات فقط وبشكل ينم عن عدم قناعته بكل ما يجري امامه .

وبعـد منـاقشـات طويلة استمـرت اكثـر من ثماني جلسـات فوجئنا بموقف السيـد كمال الـدين حسـين الذي اخذ يلح على انهاء المناقشات ، وبدا وكأنه يدير جلسات اللجنة ، وجاء في احد الأيام ومعه مشروع كامل يتضمن :

١ ـ مبادىء الاتحاد القومي .

٢ ـ تنظيمات الاتحاد .

وقدمه للسيد البغدادي لكي تدرسه اللجنة كأساس لمشروعها وبالرغم من ادعائه بانه استوحى مشروعه من المناقشات التي جرت غير اننا لم نعثر على أي اثر في هذا المشـروع لكـل ما جرى بحثه في اللجنة . . وعندما نبهنا رئيس اللجنة إلى هذه النقطة الجوهرية ، ظهر الحرج عليه واراد ايجاد حل يتجنب به وقوع ازمة بين اعضاء اللجنة ، بسبب محاولة كمال الدين حسين فرض مشروع محضر سابقاً دون اعتبـار لآراء الاعضـاء وعلى الأخص منهم الأعضـاء السوريين الذين شعروا بان اللجنـة ليست إلا ستـاراً لتغطيـة المسؤوليـة الحقيقيـة عن وضع المبادىء والتنظيم

العام للاتحاد، وفرض مشروع جاهز للاتحاد القومي باسم اللجنة المشتركة . وكان لا بد لنا من اتخاذ موقف حازم تجاه هذه المحاولة، الأمر الذي اضطر رئيس اللجنة إلى ارجاء البت في المشروع إلى جلسة أخرى على ان يتقدم الاستاذ صلاح البيطار بمشروع مقابل. . واتفقت مع الاستاذ صلاح البيطار على عقد جلسات خاصة لكي نوحد وجهة نظرنا في بعض النقاط ليكون موقفنا منسجماً قبل تقديم المشروع. . وفي الاجتماع الأخير تقدم الاستاذ البيطار بملاحظاته ولكن السيد كمال الدين حسين أصر على[8] فرض مشروعه وأثار نقطة شكلية تتعلق بصلاحيات اللجنة واصر على انه ليس من اختصاصها وضع مشروع كامل وانما رفع الاقتراحات التي تتوصل اليها، على شكل مبادىء عامة، إلى الرئيس الذي من حقه وحده قبولها او رفضها. .

وأصر على ان يرفع مشروعه «الكامل» للرئيس مع محاضر المناقشات وملاحظات الاستاذ البيطار وان تنتظر اللجنة تعليمات الرئيس لتعاود اجتماعاتها وانتهت الجلسة الأخيرة على هذا الأساس. . وكانت هذه آخر مرة تجتمع بها **اللجنة العليا للاتحاد القومي، بل كانت آخر مرة يتبادل بها السوريون والمصريون** من المسئولين الآراء الصريحة حول المبادىء الأساسية التي يمكن بواسطتها تحقيق التفاعل بين الأفكار وبالتالي الوصول إلى توحيدها. . تدريجياً. . إلا انه للأسف الشديد خاب املنا ثانية هذه المرة. . بعد ان تأكدنا جميعاً. بأن هناك خطة موضوعة، واتجاهات ثابتة لسياسة الرئيس في تنفيذ الوحدة، ولا يمكن ان يحيد عنها، وما هذه المحاولات الا ستار يريد ان يخفي وراءه قراراته التي يصدرها من وقت لآخر وان يلبسها ثوب القرارات الديمقراطية الجماعية ليوهم المواطنين بان

---

8 ـ مما يذكر بهذه المناسبة أن السيد كمال الدين حسن قال في احدى الجلسات عند بحث شروط عضوية الاتحاد ما معناه: بانه يعتقد بان المواطن الذي لا يصلي غير مؤتمن ولا يجوز ان يكون عضواً بالاتحاد، وان امثاله لا يمكن الاطمئنان إلى اخلاصهم لبلدهم. . وكان من الواضح انه يحاول اثارة اعضاء اللجنة من السوريين واستطاع هؤلاء ان يصمدوا لاثارته، بعد ان حاول البغدادي رئيس اللجنة. . تغيير وجهة النقاش. .

السوريين في القاهرة يساهمون معه في سياسة الوحدة.

انتخابات الاتحاد:

قبل اعياد الثورة لعام ١٩٥٩ عقد الرئيس عدة اجتماعات مع الوزارة المركزية ظهر له فيها نتيجة النقاش فشل النظام الجديد للوزارة المركزية والتنفيذية واتضح له ان معظم الوزراء المركزيين بدون عمل اللهم اذا استثنينا السادة كمال الدين حسين وعبد المنعم القيسوني ولكنه تجاهل هذا الوضع وطلب الاستمرار بالتجربة متذرعاً بضرورة الاستقرار الداخلي بالاضافة إلى ان المدة التي انقضت لم تكن كافية للحكم على هذا النظام. . وقال بان علينا ان نعمل في هذه المرحلة على تنظيم القاعدة الشعبية وذلك عن طريق الانتخابات في القرى والأحياء ثم اكمال بقية تنظيمات الاتحاد القومي تمهيداً لاعادة الحياة الديمقراطية واقامة مجلس **الأمة وكان واضحاً من شرحه للاتحاد القومي بأنه مطابق للمشروع الذي تقدم به** كمال الدين حسين للجنة التي تكلمنا عنها. والمح الى ان انتخابات الاتحاد القومي ستعطينا الوقت اللازم للتفكير في كيفية اقامة مجلس الأمة والاختيار بين مجلس واحد او مجلسين او ثلاثة مجالس احدهما اتحادي يشمل الاقليمين. . ودون ان يفسح المجال لمناقشة هذه النقطة الاساسية انتقل فوراً إلى مناقشة انتخابات الاتحاد القومي وبين الطريقة التي ستجري بموجبها، **ثم اشار إلى عدم ضرورة** **مبدأ الشطب لأن ذلك ينال من سمعة الانتخابات لذلك يرى اطلاق الحرية الكاملة لجميع المواطنين للترشيح للقاعدة الشعبية، على ان يصار إلى التحكم فيها بعد بالتشكيلات القيادية للاتحاد،** لتنظيم اللجان العليا حسب الكفاءات المناسبة وطلب إلى جميع الوزراء ان يرشحوا انفسهم في دوائرهم الانتخابية. . ورفعت الجلسات على هذا الاساس. . (ومن هنا يتضح ان الشطب لا موجب له في المراحل الأولى ما دام بالامكان تعيين اعضاء اللجان القيادية بالتسلسل. .).

وانتهت هذه الاجتماعات دون ان نعرف شيئاً عن تفاصيل الكيفية التي

ستجـري فيهـا الانتخـابـات ، ولم يوضـح المبادىء العامة التي ستجري انتخابات العنـاصـر القيـاديـة بمـوجبهـا . . أو التنظيم الـذي سير بـط بين اعضاء القاعدة والقيـادات المتسلسلة . وهكـذا استمـر الاتحـاد القـومي طلسماً غامضاً كما كان في اذهـاننـا في الـوقت الـذي كان الكثـير ون يعتقـدون بأننا ساهمنا في وضع الأسس التنظيميـة له باعتبـارنـا اعضـاء في اللجنة العليا للاتحاد التي ذكرت عنها الصحف والاذاعات الأشياء الكثيرة . .

وفي أواخر شهر ايلول من عام ١٩٥٩ طلب الرئيس الينا السفر إلى سورية لحضور المعركة الانتخابية التي كانت انباؤ ها تصلنا إلى القاهرة ومن اوساط مختلفة وكانت الآراء مجمعة على الأمور التالية :

١ ـ ان الانتخابات موجهة بالدرجة الأولى ضد حزب البعث العربي الاشتراكي .

٢ ـ ان جميـع العنـاصـر المنـاوئة للبعثيين وللعسكريين المشتركين في الحكم ينالون كل التأييد والتشجيع من المصريين .

٣ ـ وان الطابع المميز لهذه الانتخابات هو احياء العصبيات العائلية والقبلية والطائفية وذلك بسبب اجرائها على عدة درجات متسلسلة .

٤ ـ تعم الاقليم موجة رجعية ويطلق بعض المثقفين على هذه الانتخابات لقب «الحملة الصليبية ضد الفئات التقدمية والواعية» .

وفي تلك الآونـة جرت بيني وبـين الاستـاذ صلاح البيطـار منـاقشة هامة في مكتبـه بالـوزارة المركزية يجدر الاشارة إليها هنا . وقد اتفقنا بعد تحليل الموقف على ان انتخـابـات الاتحـاد القومي على هذه الطريقة ستكون نكسة رجعية في الاقليم بعـد ان قطـع شوطاً بعيداً في حياته الديمقراطية والبرلمانية وانها تذكر بالانتخابات التي كان يجريها الفرنسيون أثناء الانتداب ، وستؤ دي إلى تفتيت المجتمع السوري بتدعيم العصبية القبلية والطائفية والعنصرية وغير ذلك بعد ان زالت معظم هذه العنعنـات وقـامت محلهـا علاقـات مبنيـة على المبـادىء والمصـالـح الاجتماعيـة والاقتصادية والفكرية . . وقلت له بأننا في الوقت الذي نواجه فيه مثل هذا الحادث

الخطير بالنسبة لمستقبل الجمهورية والأمة العربية، نرى انفسنا عاجزين عن تغيير مجرى هذه الحوادث بسبب الفرقة والشكوك التي تتزايد بيننا، وفي الوقت الذي تطلق فيه الشعارات نرى ان بعض اخواننا في المجلس التنفيذي في سورية يطلقون لعواطفهم العنان ويحاولون ضرب العناصر التي قامت باكبر دور في الوحدة وفي حماية سورية من المؤامرات الى حد ان بعضهم اقترح على الرئيس التخلص مني ومن أمين النفوري، ووجهت إلينا الاتهامات دون حساب. . وها نحن اليوم نجد بكل اسف ان انتخابات الاتحاد القومي موجهة ضدنا جميعاً وضد القوى التقدمية وخاصة القوى الوحدوية والاشتراكية فما كان من الاستاذ البيطار إلا ان تنهد وقال بأنه غير مسؤول عن كل التصرفات التي يقترفها غيره واشار إلى الوضع الذي هو فيه منذ تشكيل الحكومة المركزية. . وذكرني بانه لم يشترك في أي قرار او أي بحث جدي منذ ذلك التاريخ إلا في لجنة الاتحاد القومي المعروفة فقلت بأن ذلك لا يبعد عنه وعن عناصر الحزب المشتركين بالحكم المسؤولية امام الشعب والتاريخ. . فأقرني على ذلك وقال بأن الحزبيين في سورية يرون نفس هذا الرأي. . . !

وذهبنا إلى سورية فإذا بنا نجد امامنا فعلاً انتخابات لم يعرفها الشعب منذ ايام الانتداب. . وقد اكد لي جميع من قابلتهم بأن الرجعية بكافة أشكالها تعتبر الانتخابات معركتها الفاصلة التي يجب ان تثبت فيها قوتها وقدرتها على دحر العناصر التقدمية وخاصة منها حزب البعث والوزراء العسكريين وان تؤكد للرئيس ان العناصر التي يتعاون معها من العسكريين والبعثيين والفنيين ليست لها أية قوى شعبية وانه اذا أراد ارضاء الرأي العام في سورية لا بد له من التعاون مع عناصر جديدة من بقايا الأحزاب اليمينية والمستقلين والاخوان المسلمين.

وفي هذا الجو اعلنت رأيي صراحة بالاتحاد القومي لاحدى الصحف السورية وقد نقلته عنها معظم الصحف واذاعته محطة دمشق:

وأبرزت فيه «بأن الاتحاد القومي لا يمكن ان يكون وسيلة ولا طريقاً لعودة الرجعية والعشائرية والفساد إلى السلطة». . . وظن كثير من المواطنين خطأ بان هذا التصريح يعبر عن رأي السلطات المسؤولة في الجمهورية المتحدة خاصة

عندما نقلته محطة اذاعة دمشق. غير ان ظنهم هذا ما لبث ان تبخر عندما شاهدوا بأم اعينهم تغاضي السلطات عن اعتداءات الرجعيين والعشائريين على المرشحين من المثقفين والعمال والفلاحين وحتى على بعض الوزراء، وكان يتذرع وزير الداخلية لتعليل هذا التحيز الظاهر بمبدأ «حياد السلطات». . . وهو الذي كان يحمل إلى ايام قليلة خلت، لواء توجيه الانتخابات ويطالب بحق «الفيتو» على المرشحين وبحق الشطب. . ولكنه عندما ذهب إلى القاهرة وقابل الرئيس عبد الناصر قبيل بدء الانتخابات عاد «اصماً وابكماً» وكم كان حياد السلطات مضحكاً ومثيراً للسخرية عندما تدخلت علانية لتزوير الانتخابات في مناطق ترشيح بعض الوزراء. . الأمر الذي جعل هؤلاء الوزراء مضغة في افواه الناس يتندرون عليهم في أحاديثهم، كما اعطى للأوساط اليمينية الحجة القوية للتدليل على ضعف العناصر المشتركة في الحكم. . وعدم ارتباطها بالشعب.

وهكذا حققت انتخابات القاعدة الشعبية الهدف الذي يُرسم لها عندما ادت:

١ ـ **الى تفكيك الروابط الاجتماعية والسياسية**: التي قامت في سورية خلال ربع قرن، واحيت العنعنات والعصبيات الاقليمية والقبلية والعائلية والطائفية والعنصرية. . واعطى انتخاب عناصر القاعدة الشعبية صورة قاتمة ومشوهة للمجتمع السوري الذي عجز الاستعمار والمؤامرات المتلاحقة والضغط السياسي والاقتصادي والعدوان المباشر وغير المباشر، عجز كل ذلك وغيره عن تفكيك وحدته وفشل في ايقاف تطور منظماته الديمقراطية والاجتماعية حوالي نصف قرن. . وثبت للجميع صحة المثل القائل «من مأمنه يؤتي الحذر» ذلك ان الوعي الذي امتازت به القوى الطليعية في سورية لم يحصنها تجاه هذه السياسة التي تنفذ تحت شعار القومية والاشتراكية والديمقراطية.

٢ ـ عزل العناصر القيادية المشتركة في الحكم وخارجه عن الشعب عزلاً نهائياً وذلك باعطاء القاعدة الجديدة المنتخبة ـ نظرياً ـ حق انتقاء اللجان العليا للاتحاد القومي واطلاق يد السلطات (وخاصة المباحث) عملياً لتقوم بتوجيه

الانتقاء، بالاضافة إلى حريتها المطلقة بتعيين العناصر التي تريدها في حدود ثلث تعداد اللجان، وكذلك املاء الوظائف العليا لمكاتب الاتحاد..

٣ ـ اسبغ على الحكم طابعاً ديمقراطياً من حيث الشكل واصبح باستطاعة الرئيس ان يستخدم اجهزة الاتحاد القومي كما يستخدم اجهزة ادارة الدولة التنفيذية.. وصار بمقدور السلطات ان تتغلغل في جميع الأوساط الاجتماعية والسياسية والنقابية والاقتصادية فتوجهها وتفعل بها ما تشاء بالاستناد إلى الحق الذي اعطي للجان الاتحاد القومي في اقتراح او قبول اورفض من تريد من العناصر في جميع المنظمات الشعبية والنقابية والجمعيات التعاونية والهيئات المهنية وكذلك المرشحين للوظائف أو المراكز التمثيلية.. وبذلك اصبح الاتحاد القومي احتياطاً فعالاً لأجهزة الأمن والادارة في البلاد يحصي على المواطنين انفاسهم ويتحكم بمقدراتهم.

وتبين بعد هذه الانتخابات ان السلطة المطلقة التي كان ولا يزال يتمتع بها الرئيس الأعلى للاتحاد القومي، انما تغطي كافة انحاء الجمهورية جغرافياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وفكرياً، وتحول كل من يساعده من الوزراء والمسؤولين الكبار إلى مخلوقات صغيرة منفكة عن التنظيم الجديد للمجتمع اللهم الا الروابط العنكبوتية التي تربطها بالرئيس نفسه، فإذا ما اراد الرئيس يوماً، قطع هذه الصلة سقطت اشلاء هذه العناصر في ارض «حرام» معزولة تمام العزلة الا من بقايا الروابط الشخصية التي تصلها بالمجتمع، مجردة تمام التجريد من أية قوة او سلاح إلا ما بقي لها في ذاكرة المواطنين وقلوبهم، من صلة بتاريخ الحركة النضالية ضد الاستعمار وفي الميادين السياسية والاجتماعية بعد الاستقلال.

واعتقد الرئيس اوخيل اليه بأنه بعد ان تم له تحقيق كل هذه الانتصارات على «اعوانه» وبدون غفلة منهم.. بل برضاهم.. وهذا ابرز ما في معاركه الداخلية بعد قيام الوحدة على الأقل وحتى لا نجانب الدقة.. خيل اليه أن بامكانه منذ ذلك التاريخ ان ينطلق بسرعة إلى تحقيق اهدافه التي كتمها زمناً طويلاً عن شركائه من السوريين على الأقل.. ودون ان يتوقع اية مقاومة بل لعله

كان باستطاعته تسخير جهازه الجديد لتدمير أوعزل أو ابطال كل محاولة لتعديل نظام الحكم أو تقويم سياسة الوحدة.

ومن هنا بدأ أسلوبه الجديد في معالجة القضايا الهامة التي واجهته في الاقليم الشمالي، وفي الجمهورية المتحدة وفي علاقته مع العالم العربي بل وفي سياسته الخارجية. . وكم كان يتردد في فكري ذلك المثل الشعبي الذي كنت أسمعه في صغري من جدتي في مناسبات عديدة فلا أتصور معناه التطبيقي، حتى اذا مررت بهذه التجربة الغريبة أدركت مدى ما ينطوي عليه من الحكمة والفطنة. . انه يلخص حواراً مختصراً وبسيطاً بين اثنين. . «يقول احدهم لزميله: نم حتى أذبحك! . . فيجيبه الزميل الآخر شيء يطير النعاس من الرأس! . .».

ولكن بالرغم من هذا فقد نام رجال سورية اذا لم نقل أن غالبية الشعب قد تخدرت وأسلموا رقابهم إلى الرئيس جمال عبد الناصر ويا ليت هذا فقط انما تعدى ذلك إلى تسليم رقاب مواطنيهم الذين مشوا وراءهم عند مناداتهم بالوحدة وبزعامة عبد الناصر. . ولم يفيقوا من غفوتهم إلا قبيل ذبحهم كما سنأتي على ذكره فيما بعد.

الجزء الخامس

المحاولات الايجابية الجماعية لتقويم انحراف الوحدة واستقالة الوزراء المركزيين السوريين

بدء الحديث عن الاستقالة بين الوزراء المركزيين:

وأخيراً وبعد خراب البصرة، احس معظم الوزراء السوريين عامة والبعثيون خاصة، بعمق الطعنة التي وجهت إلى نحورهم تحت سمعهم وبصرهم.. ومن واجب الحقيقة علينا ان نعترف بان القاعدة الشعبية لحزب البعث كانت قد تنبهت منذ زمن إلى المصير الذي ينتظر قادة حزبها ولذلك فقد كان بعض أفراد هذه القاعدة يطالبونهم بالاستقالة منذ ان اقال الرئيس السيد رياض المالكي وزير الثقافة والارشاد في الاقليم الشمالي، وقبل بدء انتخابات الاتحاد القومي، وقبل تشكيل اللجان العليا للاتحاد القومي، وتعيين أعضاء مجلس الأمة.. والحقيقة ان سكوت الوزراء الحزبيين عن اقالة زميلهم السيد رياض المالكي وبقاءهم في الحكم يحملهم مسؤولية هذه السياسة.. كما يعتبر تخاذلاً شجع الرئيس على الاستمرار في سياسته تجاه سورية عامة وتجاه حزب البعث خاصة.

إلا ان نتيجة انتخابات الاتحاد القومي، وتعيين المشير عامر حاكماً مطلقاً على سورية، كانتا نهاية فترة التعاون بين قادة البعثيين وجمال عبد الناصر، لذلك وجدنا ان السيد اكرم الوراني يعبر عن امتعاضه واحتجاجه على هذه التصرفات عندما حاول التأخر في سورية مهدداً بالاستقالة.. ولم يطل هذا الموقف اذ ما لبث

ان عاد إلى القاهـرة ولكنـه لم يخف اشمئزازه من الوضع في هذه المرة وتحول سلوكه فجأة تجاهنـا وتجاه بقيـة الـوزراء السـوريين فبادر بزيارتنا في مكاتبنا واخذ يعترف بالاخطـاء التي وقعت منـذ قيام الوحدة ويستعرض الشواهد على انحراف سياسة الرئيس في سورية وينحي باللوم على نفسه وعلى رفاقه بسبب السكوت عن هذه السياسة حتى ذلك الوقت، ويرد الأمر إلى الحرص على الوحدة وإلى سلامة النية والتمسك بالقواعد الأخلاقية، والثقة غير المحدودة التي أوليناها جميعاً للرئيس. . وقال بأنه مع اعترافه بكل هذا فانه يعتبر ان من اقل واجباته ان يمد يده للتعاون مع اخـوانـه في الـوزارة المـركزية وبالذات معي ومع السيد أمين النفوري والدكتور بشير العظمة ويعتذر عما بدر منه ومن رفاقه تجاهنا.

وكنت وأمـين عنـدما نحلل الوضع الداخلي في الجمهورية المتحدة عامة وفي الاقليم الشـمالي خاصـة نجـد ان نقطـة الضعف الاسـاسيـة تكمن في موقف قادة حزب البعث الاشـتراكي ومحـاولاتهم المستمـرة للتفـرد في السيطـرة على الحكم وضرب كافة العناصر التي لا تماشيهم في هذه السياسة، لا فرق عندهم بين عدو وصـديق وبـين من يلتقي معهم في كثـير من مبـادئهم وأهـدافهم العامة وبين من يتنـاقض معهم في كل شيء. . كما كنـا نتتبـع بصـبر مصير الأحداث في سورية. متأكدين بانه لا يمكن الوقوف في وجه السياسة الناصرية التي تفهم الوحدة على انها تبعية وتسلط، إلا اذا توحد موقف السوريين او على الأقل اذا وقف الوزراء المـركزيون السوريون موقفاً موحداً وجابهوا كل المحاولات والمؤامرات التي تبذل لتفـريقهم وعـزلهم عن الشعب. حتى اذا فشلوا في اقنـاع الرئيس بوجهة نظرهم بالوحدة أولاً وبسياسة الجمهورية العربية المتحدة الداخلية والعربية ثانياً وبنظام الحكم ثالثاً او على الأقـل فرضوا. . مبدأ المشاركة السورية في الحكم. . عندئذ ليس لهم إلا ان يستقيلوا دفعـة واحـدة وان يرجعـوا إلى الشعب بعـد نشـر بيـان يوضح بالتفصيل الظروف والمسببات لهذه الاستقالة الجماعية.

وكنا نلمس كل يوم أن الرئيس عبد الناصر يدرك هذه الناحية ويحاول بشتى الـوسـائـل وضـع جميـع العـراقيل في وجه وحدة الوزراء السوريين. ويسلك جميع

السبـل لزرع الشكـوك وتغـذيـة المتناقضات فيما بينهم لتمزيقهم متمشياً مع نفس المبدأ الذي استعمله الاستعمار: «فرق تسد». .

ومن هنا أيضاً وجد موقف السيد اكرم الحوراني كل الترحيب من قبلنا رغم ما ساد علاقـاتنـا من شوائب خلال الأشهـر المـاضيـة وصلت إلى حدود الاتهـام بالخيانة احياناً، وبالشيوعية احياناً اخرى. . هذا بالاضافة إلى محاولاتهم المتعددة للتخلص منـا في الجيش قبـل الـوحـدة وفي الحكم بعـدهـا. . **ووجدنا ان واجبنا القومي يحتم علينا نسيان انفسنا ومد يد التعاون الصادق الشريف مع البعثيين في سبيـل المحـافظـة على الـوحـدة عن طريق تقويم انحرافها وتحقيق التساوي بين الاقليمـين ضمن اطـارها وفرض مشاركة السوريين في الحكم وفي رسم السياسة العليـا للجمهـوريـة واصـلاح نظام الحكم بشكل يضمن السير بالجمهورية نحو الديمقراطية واطلاق الحريات للشعب وحمل رسالة الوحدة العربية الشاملة على هذه الأسس التي آمن بها الشعب السـوري، قبـل الـوحـدة مع مصر، من أجلها وفي سبيلها.**

وفي أول حديث لي مع السيـد أكـرم الحـوراني طلبت اليـه ان نفتح صفحة جديـدة في علاقـاتنـا وان نحـاول ازالـة الشكوك بيننا وان نقيم بدلاً عنها جواً مبنياً على الصـراحـة والثقة، وذلك هو السبيل الوحيد للوصول إلى وحدة الفكر بيننا. وابدى استعداده باسمه واسم رفاقه الوزراء لأن نتعاون جميعاً، للعمل على تحقيق الأهـداف التي ذكـرتهـا، حتى اذا فشلنـا في تحقيقهـا قدمنـا استقالتنا الجماعية من الـوزارة المركزية. . وتركنا الحرية كاملة للوزراء التنفيذيين السوريين بالاستقالة أو الاستمـرار بالتعـاون. ولـا كان كل من السيدين صلاح البيطار وأمين النفوري في سوريـة ذلـك الـوقت أرجأنـا منـاقشـة التفصيلات إلى ما بعد عودتهما. . الا انني لاحظت تخوفاً من جانب السيد الحوراني من موقف الاستاذ البيطار رغم تأكده من مشاركته التامة بالرأي وفي تقدير الموقف بشكل عام.

مناقشة خطة التنمية مع الوزراء المركزيين وموضوع تحويل مجرى نهر الاردن :

دعا السيد الرئيس الوزراء المركزيين والوزراء التنفيذيين للاقليم الجنوبي إلى سلسلة من الاجتماعات التي تعقد في قصر القبة برئاسته لمناقشة مشروع خطة التنمية في الاقليم الجنوبي ، وفي أول جلسة فاجأ الوزراء باستعراضه للوضع العام في الجمهورية العربية المتحدة ، وعلاقاتها مع الدول العربية . . والدول الأجنبية ، وأتى على ذكر المباحثات الأخيرة التي أجراها وزير الخارجية السيد محمود فوزي في اجتماعات الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في نيويورك ، وذكر اجتماع فوزي بالسيد داغ همرشولد أمين عام هيئة الامم المتحدة ، وتعرض الأخير لمشكلة «تحويل مجرى نهر الاردن» واصرار بن غوريون على تنفيذه ، وعرض وساطته في هذا الموضوع مقترحاً احياء مشروع جونسون . . وأبدى استعداده لارسال «جونسون» من جديد إلى القاهرة وعواصم الدول العربية لبحث الموضوع مع الرئيس عبد الناصر وبقية المسؤولين العرب واكد «والكلام هنا عن همرشولد» نصيحته بقبول مشروع جونسون مقابل قرض مالي تستفيد منه الجمهورية المتحدة يساعدها على تنفيذ برامج تنميتها . لأنه واثق من ان اسرائيل ستنفذ التحويل في عام ١٩٦٠ وان الظروف الدولية لا تساعد الدول العربية على منعها لأن ذلك يعتبر بمثابة عدوان أو حرب تستنكرها جميع دول العالم . . كما تهدد أمن المنطقة وتقع المسؤولية بذلك على العرب .

وبعد ذلك طلب الرئيس من السيد محمود فوزي ابداء وجهة نظره ، فإذا بالسيد فوزي يؤكد عدم ملاءمة الظروف الراهنة لاثارة الموضوع في هيئة الأمم لأن ذلك سيعطي الفرصة للدول الغربية واسرائيل لطرح مشكلة فلسطين عامة وقضايا اللاجئين بشكل خاص ، ويخشى بنتيجة ذلك ان تتخذ قرارات جديدة مناقضة للقرارات السابقة التي يتمسك بها العرب مثل : قرار التقسيم وحق اللاجئين بالعودة والتعويض ، ووقف العمل في تحويل مجرى الاردن ، ومنعها من الملاحة في قناة السويس ، الخ . . .

ثم عاد الرئيس إلى تحليل الموقف العام والتعليق عليه فوصل إلى النتيجة التالية:

١ ـ ان الجمهورية العربية تعبىء جهودها الآن من أجل تنفيذ خطة التنمية التي تهدف لمضاعفة الدخل القومي خلال عشر سنوات، وان أي تأخير او اعاقة لتنفيذ هذه الخطة ليس من صالح الشعب العربي ولا يخدم قضية فلسطين.

٢ ـ ان اعتراض اسرائيل ومنعها من التحويل لا يجدي إلا باللجوء إلى القوة، الأمر الذي سيورط الجمهورية العربية المتحدة في حرب ليست مستعدة لها ويظهرها بمظهر المعتدية... مما يثير العالم ضدها ولا يضمن لها التأييد في هيئة الامم المتحدة... بالاضافة إلى ان الدول الغربية كلها وخاصة اميركا وانكلترا وفرنسا والدول التابعة لها ستقف صراحة إلى جانب اسرائيل.

٣ ـ ان الوضع في العالم العربي وخاصة العلاقات الراهنة بين الجمهورية المتحدة من جهة وحكومة عبد الكريم قاسم والمملكة الاردنية وتونس والسعودية يشجع اسرائيل والاستعمار على تحدي الجمهورية المتحدة ويجعل الظروف الحالية أكثر ملاءمة لتحقيق أطماع اسرائيل في مياه الاردن، وانه ليؤكد بأن الدول العربية المتاخمة لاسرائيل سوف تقف موقف المتفرج من أي نزاع جديد بين المتحدة واسرائيل. بل قد تتعدى ذلك بتشجيع من الدول الاستعمارية فتحاول تحطيم الوحدة بين سورية ومصر، وأشار هنا إلى بادرتين هما:

أولاً ـ تصريح الملك سعود الذي يندد بالملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة ومحاولة ابعاد المسؤولية عن نفسه والقائها على الجمهورية المتحدة.

ثانياً ـ تصريح اللواء عبد الكريم قاسم حول احياء مشروع «الهلال الخصيب».

وربط بين هذه التصريحات وبين موقف بن غوريون عندما صرح مؤخراً بعزمه على تحويل مجرى الاردن رغم أنف الجمهورية العربية المتحدة.. واستخلص من هذا التقدير للموقف ما يلي:

١ ـ ما دامت الجمهورية المتحدة غير مستعدة للدخول في نزاع مسلح، فانه يرى قبول عرض داغ همرشولد بالوساطة، شريطة ان لا يتدخل المستر جونسون في الموضوع، لأن اسمه يذكر الشعب العربي بمشروعه القديم.

٢ ـ انه يوافق مبدئياً على قدوم همرشولد نفسه إلى القاهرة لبحث الموضوع معه والاستفادة من هذه الفرصة لأخذ بعض القروض من البنك الدولي أوغيره.

٣ ـ ان مشكلة تحويل مجرى نهر الاردن بل ومشكلة فلسطين كلها يمكن حلها عندما تقوى الجمهورية العربية المتحدة وعندما تسنح الظروف الدولية الملائمة في المستقبل. وواجبنا الآن هو التفرغ لبرامج التنمية.

وعندما انتهى الرئيس من هذه الخلاصة طلب من الوزراء الاشتراك في المناقشة على ان تبدأ مناقشة خطة التنمية بعد الانتهاء من ذلك. .

وطلب السيد اكرم الحوراني الكلام فشرح خطورة الموضوع وضرورة التمهل في اخذ قرار بشأنه وقال بأنه مع قبوله مبدأ بحث الموضوع مع همرشولد، الا انه يجب رفض الموافقة على التحويل ولو أدى ذلك إلى استخدام القوات المسلحة.

وبعد ذلك، طلبت الكلام، فشرحت بايجاز ما ينطوي عليه مشروع جونسون القديم وبينت خطورته على قضية فلسطين واعتبرت قبول مبدأ التحويل بمثابة «قيام الصلح» بين اسرائيل والدول العربية، ثم ذكرت المراحل التي مر بها مشروع جونسون منذ عام ١٩٥٣ حتى اليوم، وكيف وقفت سورية وحدها في البداية في وجه المشروع ورفضته وكيف وافقت عليه مبدئياً بعض الدول العربية عام ١٩٥٣ ومن بينها الجمهورية المصرية، ثم كيف تحولت مصر والسعودية عن موقفهما ودعمتا موقف سورية، وبالتالي كيف اضطرت بقية دول الجامعة العربية إلى رفض المشروع رغم الضغط الذي قامت به الدول الغربية وخاصة اميركا على جميع الدول العربية، وكيف اضطرت الجمعية العامة للأمم المتحدة نتيجة مقاومة سورية تنفيذ مشروع التحويل بالقوة، إلى اصدار قرار يجبر

اسرائيل على وقف العمل بالتحويل . . وكيف استمر ايقاف العمل بالمشروع منذ ذلك التاريخ حتى اليوم . .

وانتقلت بعدها إلى شرح الأسلوب الذي يمكننا من مقاومة التحويل دون المبادرة بالعدوان وذلك بالتزام موقف الدفاع ، لأن اسرائيل لا تستطيع اجراء التحويل إلا اذا استخدمت «بأمان» الضفة الشرقية للنهر التي تقع بين يدي القوات السورية . وعند عدم اطمئنانها إلى أمن العملية فانها لا بد ستحاول ارسال قواتها إلى الضفة الشرقية ولا يتم ذلك إلا بالعدوان المفضوح على أراضي وقوات الجمهورية المتحدة .

ولهذا لا بد ان يكون العدوان من قبل اسرائيل ، وان العمل في تحويل مجرى النهر في المنطقة المجردة أوخارجها في المناطق الواقعة قبل مصب النهر في بحيرة طبريا سيكون دائماً تحت رحمة الجمهورية العربية المتحدة . . ولا يستبعد ان تكون الغاية الاساسية من اثارة هذا الموضوع في الوقت الحاضر هو امتحان لقوة الجمهورية المتحدة ، وبالتالي فرض البوليس الدولي على الحدود السورية ، على غرار ما جرى على الحدود المصرية ، الأمر الذي يضمن لاسرائيل أمنها وبالتالي يلقي مسؤولية حماية اسرائيل على هيئة الامم المتحدة نفسها بعد ان كانت الدول الغربية مضطرة لحمايتها وتحمل كراهية وحقد الشعب العربي عليها ، وبذلك يكون قد ضرب عدة عصافير بحجر واحد .

وانتقلت بعد ذلك إلى الاشارة إلى موقف الشعب العربي من هذه القضية وضرورة اطلاعه على حقيقة الوضع الراهن ، لأنه من الصعب عليه ان يفهم ويقدر حقيقة الظروف التي تدفع الجمهورية العربية المتحدة إلى السكوت عن التحويل ، رغم قوتها وعدد سكانها الذي يقارب الثلاثين مليوناً ، بينما استطاعت سورية عام ١٩٥٣ الوقوف وحدها في وجه اسرائيل ومنعتها بالقوة من تنفيذ التحويل يوم كانت وحدها ولا يزيد عدد سكانها عن أربعة ملايين .

وهنا نفذ صبر الرئيس بعد ان استمر استعراضي للقضية اكثر من نصف ساعة فقاطعني قائلاً : ماذا تريد ان تقول يا احمد؟ هل تحاول ان تتهمني؟ فأجبت :

معاذ الله يا سيادة الرئيس، ولكنني لا أقصد سوى اطلاعكم واطلاع الأخوان جميعاً على كل ما أعرفه بسبب صلتي السابقة بمشكلة فلسطين عندما كنت عضواً في لجنة الهدنة المشتركة السورية الاسرائيلية، وليس لي أية غاية سوى القيام بواجبي كمسؤول تجاه هذه القضية العربية . .

وعاد السيد أكرم الحوراني إلى المشاركة بالمناقشة فأبدى رأيه بضرورة اطلاع الرأي العربي على آخر تطورات المشكلة وتعبئته للصمود في وجه هذه المؤامرة الجديدة وليقف صفاً واحداً تجاه هذه المحاولة الجديدة. وان ذلك سيلزم كل من يحاول من الحكام العرب التهاون او التملص من مسؤولية ضياع حقوق العرب في مياه الاردن.

ورفعت الجلسة في ذلك اليوم بشكل دل على مفاجأة الرئيس بموقف الوزراء السوريين ودون الوصول إلى قرار ودون فتح مناقشة خطة التنمية.

واستؤنف النقاش في اليوم الثاني حول المشكلة نفسها واشترك فيه عدد من الوزراء: البغدادي وعامر وحسين من المصريين يؤيدون وجهة نظر الرئيس، واشترك من السوريين السيد أمين النفوري . . واكد ضرورة اطلاع الشعب على حقيقة الموقف وأصر أيضاً على ضرورة مقاومة تنفيذ المشروع بالقوة ولو أدى ذلك إلى الاصطدام مع القوى الاستعمارية التي تقف وراء اسرائيل . . لأن تنفيذه سيسمح لاسرائيل بزيادة سكانها إلى خمسة ملايين او اكثر مما سيجعلها في المستقبل قادرة على الانتقال إلى مراحل توسعية اكثر خطراً على العرب. وتكلم بعد ذلك الاستاذ صلاح البيطار وألح على ضرورة اطلاع الرأي العام العربي وتعبئته للوقوف في وجه هذا الضغط، ثم بحث الموضوع في الجامعة العربية. وعندما تأكد للرئيس من ان الوزراء السوريين وخاصة نحن والبعثيين نقف في صف واحد متحدين في أفكارنا لا نتزحزح عن اصرارنا على مقاومة المشروع، اضطر إلى تحويل القضية إلى لجنة فرعية مؤلفة من:

السيد عبد اللطيف البغدادي   رئيساً

السيد صلاح البيطار   عضواً

السيد علي صبري	عضواً
السيد احمد عبد الكريم	عضواً
السيد احمد عبده الشرباصي	عضواً
السيد فريد زين الدين	عضواً

على أن يشترك في اللجنة السادة محمود رياض والمهندس احمد سليم وان تقوم اللجنة بدراسة هذه القضية من جميع النواحي السياسية والعسكرية والفنية تمهيداً لعرضها على دول الجامعة العربية من قبل الجمهورية العربية المتحدة، واتفق كذلك على ضرورة السماح للصحف بطرح القضية على الشعب. . وقد عارض السيد اكرم الحوراني مبدأ تحويل القضية إلى لجنة فنية لأن ذلك بمثابة تجميد لها وتقليل لأهميتها.

ومما تجدر الاشارة اليه تلك القصة التي رويت لنا على لسان المرحوم صلاح سالم من قبل شخصية كبيرة من رجال الثورة المصرية قال: بأن الرئيس اتصل بعد انتهاء الجلسة الأولى بصلاح سالم المشرف على ادارة الصحف المصرية وقال له: اسمع . . ان السوريين أثاروا مشكلة تحويل الاردن ويصرون على طرحها امام الرأي العام العربي بواسطة الصحافة وجميع وسائل الدعاية، ولذا لا بد من التعرض لها، ولكن يجب ان تعلم بأننا لا نقبل ان يتحول الرأي العام إلى السخط على امريكا التي تساند اسرائيل كما كان بعد العدوان الثلاثي وبعد كارثة فلسطين، ويجب ان ننتبه إلى ان هذا الوضع سيحمل الرأي العام على العطف على الاتحاد السوفياتي لأنه سيبادر إلى مساندة العرب بهذه القضية وهذا ما لا يجوز السماح به. . فعليك اذن أن تكتب عن القضية ولكن ضمن هذه الحدود. .

وهكذا أمكن تجنب كارثة جديدة تضاف إلى كارثة عام ١٩٤٨ أوعلى الأقل أمكن ارجاء وقوعها لأن مشكلة تحويل مجرى الأردن لا تزال قيد البحث والمناقشة بين دول الجامعة العربية وبين أفراد الشعب العربي كلهم منذ ذلك الوقت حتى الآن. . ولا أدري ماذا تم من جانب اسرائيل بعد ان اضطرت إلى ادخال تعديل على خطتها في هذه المشكلة أملاً بالحصول على المياه المطلوبة مهما

كلفها ذلك من الناحية المالية، لأن مشروعها الجديد يهدف إلى ضخ المياه من بحيرة طبريا نفسها من نقطة تبعد حوالي ٨ كم عن الحدود السورية وتقع على الضفة الغربية للبحيرة بجانب مستعمرة «غناصر» وذلك عن طريق ضخ المياه من البحيرة ورفعها إلى ما يزيد عن مائتي متر ثم دفعها داخل قناة وسوقها بعد ذلك إلى بحيرة اصطناعية في سهل البطوف ومن ثم نقلها إلى صحراء النقب.

وتشير بعض المعلومات التي وصلتنا آنذاك بأن اسرائيل جادة في اقامة محطة الضخ التي تؤمن لها هذا المشروع الجديد بمساعدة امريكا وفرنسا صارفة النظر موقتاً عن عملية التحويل التي تثير مشاكل ليست بحاجة اليها في الظروف الحالية.

باشرت اللجنة اجتماعاتها، وبذلك تمكن الرئيس من ابعاد الموضوع عن مجلس الوزاراء وانتقل البحث من الرئيس والوزراء إلى مناقشة خطة التنمية، غير أن الجو لم يكن نقياً وشابه بعض الفتور الذي لم يفارقه اطلاقاً حتى انتهى الأمر باستقالة الوزراء المركزيين السوريين.

استقالة الوزراء البعثيين:

بالرغم من طرح الموضوع على صفحات الصحف منذ صباح اليوم التالي للمناقشة، إلا ان الاشاعات بدأت تروج حول الخلاف بين الوزراء السوريين والرئيس على سياسة الجمهورية المتحدة تجاه قضية فلسطين، وان اكرم الحوراني ينفخ في بوق الحرب ويريد توريط الجمهورية في حرب مع اسرائيل في ظروف غير ملائمة.. ولما كان الجو في السابق كما تقدم عرضه فان هذه المشكلة جاءت لتزيد في حدة التوتر وتزيد في قناعتنا جميعاً بالاستقالة..

وعندما كنا نناقش هذه الفكرة كنا نتفق دائماً على ضرورة تقديم مذكرة للرئيس نبين له فيها الأسباب التي تدعونا لذلك، فإذا رفض بحث هذه الأسباب معنا رفعنا له استقالتنا.. وكان البحث حول هذا الموضوع يجري بين الأشخاص الآتين:

اكـرم الحـوراني، صلاح البيطار، امين النفوري، بشير العظمة واحمد عبد الكـريم. . ولم يكن السيـد فاخـر الكيـالي على علم بها لأننا لم نكن نطمئن اليه. وطالت هذه المناقشات، إلا أننا استطعنا خلالها الوقوف على وجهة نظر كل فرد منا وتـوصلنـا إلى القنـاعـة الكـاملة بصحـة موقفنا. . وأصبح واضحاً للرئيس وبقية الوزراء المصريين ان الجو بين الوزراء السوريين ليس على غير ما يرام وان الصلة بينهم أصبحت أمتن من السابق.

وكانت أنباء سورية تؤكد تركيز المشير عامر على محاربة البعثيين علناً، كما أجريت تسريحات وتنقلات كثيرة في القوات المسلحة وأبعد بنتيجتها عدد كبير من الضباط الممتازين إلى مصر ليضافوا إلى الذين سبقوهم لمقاهي القاهرة دون عمل.

وفي هذا الجـو جرت احتفـالات ذكـرى عيـد النصـر «في بور سعيـد» يوم ١٩٥٩/١٢/٢١، وفي هذا العيـد هاجم الـرئيس الحـزبيـة المخـربة بعنف وغمز كثـيراً حزب البعث. وعنـد رجـوعنـا في القطـار جرى بيننـا وبين السيدين البيطار والحـوراني بحث حول تاريـخ الاستقـالـة، وتمسكت أنا والنفوري والعظمة بفكرة اعداد مذكرة موجزة عن انحرافات الوحدة ومقترحاتنا الايجابية لتقويمها ثم مقابلة الـرئيس وتقـديم هذه المـذكـرة له، فإذا لم يستجب لها قمنا جميعاً بتقديم الاستقالة دفعـة واحـدة. ولم نجد من الاستاذين الحوراني والبيطار ما يدل على عدم قناعتهما بالفكرة. . بل على العكس اتفق الجميع على أن أقوم أنا والأستاذ البيطار بوضع صيغتها في اليوم التالي.

إلا أننـا في مسـاء اليوم التالي أي ١٩٥٩/١٢/٢٢ فوجئنا باستقالة كل من السـادة: أكـرم الحوراني وصلاح البيطار ومصطفى حمدون وعبد الغني قنوت. وتم اعلامنا بذلك عن طريق السيد الدكتور بشير العظمة الذي كلف من قبل البيطار باطلاعنا بعد أن سلمت كتب الاستقالة لمكتب الرئيس. وأشار له البيطار بما معناه أنه يمكننا أن نستقيل اذا كنا لا نزال مصممين لأنه بعد ان تأكدت خيانة جمال عبد

الناصر بمبادىء الوحدة العربية فان الاستمرار بالتعاون معه أصبح في حكم الخيانة.

إلا أننا رفضنا الاستقالة على هذا الاساس وأعلمناهم أنهم بتصرفهم هذا أسبغوا على الاستقالة طابع الحزبية ونزعوا عنها الصفة القومية عندما تأثروا بموقف السيد مصطفى حمدون الذي اغتاظ بسبب تعيين لجنة عليا للإصلاح الزراعي فقرر الاستقالة مع قنوت، وعندما قدما إلى القاهرة في صباح يوم ٢٢ كانون الأول اتفقا مع الحوراني والبيطار على الاستقالة دون اخطارنا بالاضافة إلى أنهم بهذا التصرف أثبتوا أنهم لا يزالون يحاولون التفرد بالعمل وفرض ارادتهم على غيرهم، كما دل الأمر على عدم زوال الشكوك ما بيننا بصورة نهائية. هذا من ناحية الشكل، أما من النواحي الأخرى فانهم أرادوا باعتقادنا استغلال موقف حزب البعث العراقي ومحاولته الفاشلة لاغتيال اللواء عبد الكريم قاسم وتزعم هذا الحزب حركة المعارضة في العراق ورفعه شعار الوحدة مع الجمهورية المتحدة. . ولعلهم كانوا يظنون أن الرئيس لن يستطيع التخلي عنهم في هذه الظروف، الأمر الذي سيعيد اليهم ـ واليهم وحدهم ـ المكانة الأولى في الاقليم الشمالي، ويصبح بامكانهم فرض آرائهم على الرئيس من جديد. . دون مشاركة غيرهم من السوريين. .

هذا على الاقل بعض ما وصلنا اليه من تحليل موقفهم آنذاك. . . ولذا أعلمناهم بأننا لا يمكن أن نستقيل تحت هذه الظروف خاصة وأن جزءاً كبيراً من الرأي العام في سورية سيرحب بابتعاد البعثيين عن الحكم للأسباب التي أوردناها في مكان آخر، مع العلم بأنه يصعب والحالة هذه فهم أسباب وأهداف الاستقالة لعدم شرحها في بيان موجه للرأي العام، وفوق ذلك فاننا نشعر بأن الواجب العام والوفاء نحو الشعب أولاً ونحو القسم الذي أديناه للرئيس ثانياً أن نبين رأينا في مذكرة واضحة نقدمها للرئيس، حتى اذا يئسنا من النتيجة الايجابية كان لنا كل الحق في الرجوع إلى الشعب والاستقالة. . أما وان الأمور سارت بغير هذا الطريق السليم، فاننا نحتفظ بحريتنا كاملة للعمل، ولن نكون أبداً تابعين. . كما

اننا لن نتراجع أبداً عن عزمنا على الاستقالة بعد مصارحة الرئيس بكل ما نعتقده مسبباً ومبرراً لها . .

وكنا ثلاثتنا متفقين تمام الاتفاق في تقدير الموقف وفي القرار النهائي . وكان السيد فاخر الكيالي يبدو كأنه متفق معنا أيضاً على الخطوط العامة ، وهو بهذا انما كان منسجماً مع خطته الدائمة التي تتلخص باصراره على ارجاء قرار الاستقالة .

المشاورات التي سبقت قبول الاستقالة :

في صبيحة يوم ٢٣/١٢/١٩٥٩ اتصل بي السيد علي صبري وزير الدولة لشؤون الرئاسة في تمام العاشرة صباحاً وكنت في مكتبي بالوزارة المركزية . وطلب الي مقابلته في مكتبه بقصر القبة في الساعة العاشرة . من نفس اليوم . ثم اتفقنا على مناقشة الموضوع مع الدكتور بشير العظمة . . وعندما حضر السيد العظمة إلى مكتبي تداولنا في الموضوع على وجه السرعة **واتفقنا على رفض ابداء الرأي في موضوع الاستقالة الا اذا كان ذلك بشكل رسمي ، أي ان تكون مشاورات السيد علي صبري مستندة إلى رغبة من الرئيس نفسه حتى اذا تأكدنا من ذلك أبدينا رأينا الذي يتلخص كما يلي :**

١ ـ اننا نرى ضرورة رفض الاستقالات وعدم قبول مبدأ تخلي الوزراء البعثيين عن الحكم في الظروف الحالية لأنهم يعتبرون في الاصل من دعامات الوحدة مع مصر ولأنهم قاموا بدور رئيسي في تحقيقها ، ولأنهم من المسؤولين عن مصيرها أمام الشعب العربي في سورية وفي البلاد العربية كلها .

٢ ـ اننا نتفق تماماً مع السادة اكرم الحوراني والاستاذ البيطار على الاسباب التي تدعو للاستقالة ومن أهمها :

آ ـ عدم التكافؤ والمساواة بين الاقليمين في الاطار المطبق حالياً للوحدة .

ب ـ عدم مشاركة السوريين في السلطة على مستوى الجمهورية باقليميها

رغم مساهمتها في تحمل المسؤوليات أمام الشعب في الاقليم الشمالي على الأقل، وأمام الشعوب العربية اجمالاً.

جـ ـ عدم وضوح نظام الحكم في الجمهورية المتحدة مما يسبب تداخل السلطات وابطال فعاليات أجهزة الدولة وتحول النظام الرئاسي إلى دكتاتورية فردية مطلقة تعتمد أساساً على البوليس والدعاية، ولا تقيم وزنا للرأي العام.

د ـ تحول الحكم في سورية إلى ادارة مصرية صريحة وصلت ذروتها في تعيين المشير عامر كحاكم مطلق الصلاحيات.

٣ ـ وأما ما نقترحه كعلاج سريع للأزمة الحالية ولحل المشاكل الأساسية الأربع الموضحة أعلاه فاننا نذكر ما يلي:

أ ـ رفض استقالة الوزراء البعثيين.

ب ـ تشكيل لجنة عليا لدراسة المشاكل التي نشأت منذ قيام الجمهورية العربية المتحدة حتى الآن على أن يشترك فيها كافة العناصر التي كانت مشتركة في الحكومة الائتلافية التي وقعت اتفاقية الوحدة وتحملت مسؤولية قيام الجمهورية العربية المتحدة وعلى رأسهم السيد شكري القوتلي، وان يشترك فيها من الاقليم الجنوبي الرئيس ومن يريده من المصريين.

جـ ـ تبحث اللجنة كافة الأخطاء والعقبات التي واجهتها الوحدة بين الاقليمين وتضع الحلول المناسبة لها على أن تهتم بشكل خاص بالنقاط الأربع المذكورة. وأن يقوم الرئيس بتنفيذ اقتراحاتها، وبذلك يمكن ضمان استمرار هذه الوحدة وتطورها إلى وحدة شاملة كما هو مقصود منها.

٤ ـ اننا مع قناعتنا بضرورة الاستقالة إلا اننا لا نوافق على الشكل الذي قدمت به لأنها أخذت طابعاً حزبياً.

وعلى هذا الاساس تمت مقابلاتنا مع السيد علي صبري الذي لم يستطع كتم دهشته واستغرابه لموقفنا مدعياً بأن استقالة البعثيين لم تكن للأسباب التي أوردناها ولخص لنا الاسباب كما يلي:

١ ـ رغبتهم في تشكيل لجنة عليا للوحدة يشترك فيها من سورية كل من

السادة اكرم الحوراني، صلاح البيطار، ميشيل عفلق. ومن مصر: الرئيس واثنان آخران معه على أن تختص هذه اللجنة بتخطيط السياسة العليا للجمهورية.

٢ ـ عدم موافقتهم على تعيين المشير عامر في سورية لأنهم يريدون تسليم هذا المركز للسيد اكرم الحوراني.

٣ ـ انزعاج السيد مصطفى حمدون من تشكيل اللجنة العليا للإصلاح الزراعي التي شكلها المشير عامر بسبب اجماع أصحاب العلاقة على الشكوى من طريقة تنفيذ حمدون لقانون الاصلاح الزراعي.

٤ ـ نقل عدد من ضباط الجيش الأول إلى الاقليم الجنوبي.

وأضاف السيد علي صبري بأن الرئيس لم يوافقهم على هذه الطلبات ولا يمكن ان يعتبرهم وحدهم ممثلين للشعب في سورية ولن يسمح لهم بفرض آرائهم عليه. ولكن هذا التبرير من جانب علي صبري لم يبدل من موقفنا ومن اصرارنا على ان الاستقالة للأسباب التي ذكرناها.

وفي صباح اليوم التالي ١٩٥٩/١٢/٢٤ نشرت الصحف في صفحاتها الأولى نبأ قبول الرئيس استقالة نائب الرئيس اكرم الحوراني، ووزير الثقافة والارشاد المركزي السيد صلاح البيطار والسيد مصطفى حمدون وزير الاصلاح التنفيذي والسيد عبد الغني قنوت وزير الشؤون الاجتماعية والعمل التنفيذي. وهكذا لم نجد أي صدى لآرائنا لدى الرئيس وأيقنا من انه مستمر في سياسته إلى النهاية وأصبح استمرارنا في الوزارة مسألة وقت فحسب لأنه من غير الطبيعي ان نستمر في الحكم ما دامت لنا آراء لا تتفق مع رأي رئيس الجمهورية نفسه.

صدى الاستقالة:

جاءت الأنباء من سورية عن صدى استقالة البعثيين غير مشجعة. فقد استقبلتها بعض الأوساط في دمشق وحلب بالرضى.. وصادف في نفس اليوم

هطول الأمطار الغزيرة في جميع أنحاء سورية بعد انحباس طويل مما جعل الشعب يقابل ذلك بفرحة طغت تماماً على أنباء الاستقالة وعمت الفرحة فعلاً أوساط الاقطاعيين وكبار الرأسماليين بالاضافة إلى أوساط حزبي الشعب والوطني وكذلك الاخوان المسلمين بسبب نقمة هذه الأوساط على قيادة حزب البعث. أما غالبية أفراد الشعب فقد جاءت الاستقالة مفاجئة لهم لأنه لم تسبقها أية مقدمات تمهد لها، واعتبروها بادرة مشؤومة على كل حال. . ولم يقتنعوا بالاسباب والمبررات التي روجتها المخابرات والمباحث المصرية ومكتب السراج الخاص وبعض الصحف لاعتقادهم بأن البعثيين هم آخر من يجب أن يستغني عنهم الرئيس بسبب ما قدموه من خدمات شخصية له وبسبب عقيدتهم المبنية على أساس الوحدة العربية الشاملة ومطابقة معظم شعاراتهم للشعارات التي تطلقها أجهزة الاعلام الناطقة باسم الرئيس.

واتضح تماماً الخطأ المضاعف الذي ارتكبه الوزراء البعثيون عندما انفردوا بالاستقالة، ولم يشرحوا أسبابها للرأي العام.

أما في الأوساط الخارجية العربية منها والأجنبية فكانت الاستقالة دليلاً على تفكك الوحدة بين الاقليمين، وعلى عدم الاستقرار في الجمهورية العربية المتحدة. واخذ الناس يفرقون بين «القومية العربية الحقيقية» كما تدعو اليها الشعوب العربية وبين الوحدة الاندماجية التي تقوم على التمصير واستغلال الشعارات العربية للتوسع الاقتصادي والسياسي على حساب الشعوب العربية المستقلة.

كما دعمت هذه الاستقالة الجبهة المعارضة لنظام الحكم في الجمهورية المتحدة والتي كانت تتبلور وتقوى يوماً بعد يوم، وبرهنت على استحالة استمرار تعاون الرئيس إلا على أساس التبعية، وأزالت من طريق المعارضة عقبة هي حزب البعث العربي الاشتراكي لها جذور شعبية قوية خاصة بين المثقفين وأوساط الطلاب وبعض النقابات بالاضافة إلى ارتكازها على بعض المناطق الجغرافية في بقية الاقطار العربية.

ولم يظهر لدى أنصار حزب البعث أي رد فعل ايجابي مباشر. . ولعل ذلك

راجع إلى التصريحات المطمئنة التي أذاعها كل من السادة اكرم الحوراني وصلاح البيطار بعد قبول استقالاتهم، وعدم استقالة بعض الوزراء البعثيين أو المعروفين بصداقتهم للبعثيين مثل أمجد الطرابلسي واحمد الحاج يونس. . وبتأثير الوضع في العراق ومحاكمات حزب البعث بتهمة تدبير اغتيال قاسم، وبسبب حل حزب البعث وتفرق كلمة أعضائه السابقين وأنصاره، بالاضافة إلى الخوف من الحكم البوليسي الذي كان يسيطر على عقول وأفئدة معظم المواطنين، ولهذه الأسباب كلها وغيرها مما يصعب حصره.

وعلى كل الأحوال فان الصدى لم يكن من القوة بشكل يثني الرئيس عن الاستمرار في سياسته أو على الأقل يحمله على تغيير أسلوبه في معاملة الوزراء ولو إلى حين. . فقد برهنت الأحداث التي تلت على استمراره في تعنته وقلة مبالاته بما ينتج عن هذه السياسة.

أما نحن فقد قررنا الانتظار واختيار الفرصة المناسبة لتقديم الاستقالة وتجنب كل ما من شأنه اعطاء المبررات للرئيس لأخذ المبادرة واقالتنا. ولذلك قررنا الاشتراك في الاجتماعات التي تجري لبحث الخطة وعدم المساهمة في النقاش إلا في الحدود التي رسمناها لأنفسنا.

ملابسات استقالتي الأولى:

وجهت سكرتارية الحكومة المركزية، الدعوة للوزراء المركزيين ولاعضاء المجلس التنفيذي في الاقليم الجنوبي للاجتماع مساء يوم ١٩٦٠/١/١ في قصر القبة لمتابعة مناقشة خطة التنمية، وكان ذلك أول اجتماع للوزارة برئاسة رئيس الجمهورية بعد تاريخ قبول استقالة الوزراء السوريين. . . وتشاء الصدف ان تكون أولى فقرات جدول الأعمال هي: مناقشة مشروع خطة التنمية لوزارة الشؤون البلدية والقروية. . وكان الأسلوب الذي اتبع في الجلسات السابقة هو

أن يرفع الوزير المركزي تقريراً بمشروع خطة التنمية بالاتفاق مع الوزير التنفيذي إلى الرئاسة وان تجري مناقشة هذا المشروع في اجتماعات الوزراء بعد دراسته مع وزير التخطيط السيد عبد اللطيف البغدادي . . وكانت مشاريع خطة التنمية التي قدمتها الوزارات المركزية مبنية على التوجيهات التي تلقتها من الرئيس بعد الاجتماعات المتكررة التي جرت من أجل هذه الغاية .

واستناداً على هذه التوجيهات وبناء على القرارات التي اتخذت في الاجتماعات مع الرئيس حول الاستثمارات المتاحة لمشاريع البلديات والقرى والمرافق العامة قمت بوضع مشروع الخطة بعد المناقشة والاتفاق مع وزير الشؤون البلدية والقروية التنفيذي للإقليم الجنوبي السيد محمد ابو نصير ، بل لقد شكلت اكثر من لجنة فرعية لدراسة مختلف المشاريع بعد أخذ موافقة الوزير التنفيذي على أعضاء هذه اللجان وبالتالي النتائج التي توصلت اليها كل لجنة ، وعند الانتهاء من وضع مسودة عامة لمشروع الخطة أرسلته بكتاب رسمي إلى الوزير التنفيذي لابداء رأيه فيه قبل تاريخ رفعه بأكثر من شهر . وعندما رفعت مشروع الخطة للرئاسة كنت مطمئناً تمام الاطمئنان إلى أنني قمت بكل ما يجب تجاه الوزير التنفيذي ، وبكل ما يستطاع لكي يكون هذا المشروع أقرب ما يمكن إلى الكمال وأن يلبي إلى أبعد حد التوجيهات التي تلقيتها من الرئاسة ومن وزير التخطيط .

على انني اعترف بكل تواضع بأنني لا يمكن ان أكون المرجع المسؤول والكفؤ لوضع مشروع خطة كاملة لأسباب كثيرة أهمها : ان هذه كانت أول مرة أقوم فيها بمثل هذا العمل العلمي الدقيق ، وان وضع الوزارة المركزية وضعف اجهزتها كما سبق ان شرحت لم يكن يسمح لها بالاحاطة بكل المعلومات والعوامل المختلفة التي لا بد منها لوضع مشروع دقيق لخطة التنمية بشكل يكون اقرب ما يمكن من الشيء المطلوب . غير انني استطيع القول بانني بذلت كل امكانياتي وحاولت الاستفادة بقدر المستطاع من الجهاز الموضوع تحت تصرفي ومن العناصر التي تمكنت الحصول على مساعدتها من الوزارة التنفيذية أو من الوزارات الأخرى ممن اشتركوا في لجان الوزارة المختلفة .

وبالنسبة لخطة الاسكان فقد رفعت مشروعاً بدائياً[1] إلى وزير الدولة لشؤون الرئاسة بناء على طلبه كي أحصل على موافقة الرئيس المبدئية على الافكار الرئيسية التي بني عليها المشروع وقد أبلغني السيد علي صبري وزير الدولة لشؤون الرئاسة بأن الرئيس طالع المشروع ووافق على مقترحاتي، وطلب إلي ان أوجه كتاباً للوزارة التنفيذية في الاقليم الجنوبي حول أهم النقاط التي يتضمنها المشروع ليكون بمثابة دليل لها أثناء تنفيذ ما تبقى من مشاريع الاسكان بميزانية ١٩٥٩ - ١٩٦٠.

ولكني لاحظت قبل انعقاد الجلسة تأخر الرئيس عن الوقت المحدد لبدئها واستدعائه السيد محمد ابو نصير الوزير التنفيذي واجتماعه به لمدة تزيد عن نصف ساعة، وعندما دخل وأعلن بدء الجلسة قال بأنه سينتهز الفرصة لاستعراض الظروف التي أدت لاستقالة بعض الوزراء ثم يستأنف بحث خطة التنمية.

وتكلم الرئيس بانفعال زائد، فلخص الأسباب التي استقال من اجلها الوزراء السوريون، ووصف الاستقالة بانها من جانب قادة حزب البعث لفرض رأيهم عليه، وانه لا يمكن ان يرضخ لمثل هذه الأساليب، ولا يقبل مشاركة احد في المسؤوليات والحقوق التي خولها له الشعب عند الاستفتاء على الدستور والرئاسة، وانه لا يمكن ان يقبل تدخل احد في غير الاختصاص الذي حدد له، وانه لا يهتم باستقالة الحزبيين لأن الشعب إلى جانبه وانه لن يتعرض لهم ما داموا ضمن الحدود التي لا تضر بسياسته، اما اذا ما حاولوا تجاوز هذه الحدود فان وضعهم عند حدهم لا يكلفه سوى الوقوف على المنبر لبضع دقائق وفضحهم امام الشعب ليقوم الشعب نفسه بتأديبهم...

ثم قال: ان الدوافع للاستقالة لم تكن ذات علاقة بالمصلحة العامة وانما هي دوافع حزبية، فقد اقترحوا عليه تشكيل لجنة عليا يشترك فيها الحوراني وعفلق والبيطار من سورية لتوجيه ورسم سياسة الجمهورية المتحدة، والوحدة،

١ - وضع المشروع بالتعاون مع أمين عام الوزارة التنفيذية في الاقليم الجنوبي وبعض المدراء في هذه الوزارة.

وانه لا يمكنه ان يعتبرهم ممثلين للشعب السوري وحدهم . . واتهمهم بمحاولة اثارة بعض ضباط الثورة ضده وانهم اتصلوا فعلاً بالسيد توفيق عبد الفتاح وزير العمل والشؤون الاجتماعية التنفيذي وساوموه على ذلك . .

واختتم حديثه قائلاً: ليكن معلوماً لدى الجميع بأنه لا يمكن تغيير أسلوبه في العمل ولا يسمح لاحد بالتجاوز على الحدود التي رسمت له ومن لا يعجبه العمل على هذا الاساس فليستقل . . . وكان واضحاً من سياق الحديث ومن اللهجة القاسية التي تكلم بها أن الرئيس يوجه حديثه إلى من تبقى من الوزراء السوريين وانه يحاول ارهابهم ليستكينوا أو يختاروا الطريق الأخرى فيستقيلوا ولا مكان لأي حل وسط .

وتلت ذلك فترة من الاستراحة بعد أن خيم على الاجتماع جو من التوتر والتشاؤم . وتحدثت مع زملائي من الوزراء السوريين وصرحت لهم عن تشاؤمي من هذه الجلسة لأن البحث سيتناول مواضيع لها علاقة مباشرة باختصاصي . وقلت لهم بأنني لن أحاول الاشتراك في النقاش إلا اذا اضطررت ، وسأترك الأمور تسير حسبما يريد الرئيس لتجنب المناقشة في مثل هذا الجو المتوتر . .

وعندما استؤنفت الجلسة طلب الرئيس من الوزير التنفيذي ابو نصير ان يشرح تقريره ـ وهنا تجدر الاشارة إلى ان ابو نصير كان قد وزع تقريراً عن مشروع خطة التنمية للإسكان قبيل بدء الجلسة ، وكان هذا التصرف شاذاً استغربه كافة الوزراء ، حتى المصريون منهم ، لأن هناك مشروعاً مشتركاً وزع عليهم من قبل سكرتارية الحكومة المركزية وتقدم به الوزير المركزي . وتغاضيت عن ذلك ولم أساهم في جميع المناقشات التي جرت رغم مناقضة تقرير الوزير التنفيذي لتوجيهات الرئاسة السابقة ولمعظم المبادىء المذكورة في مشروعي والتي نالت موافقة الرئيس كما أعلمني السيد علي صبري . . وعندما تكلم نائب الرئيس البغدادي أشار إلى وجود مشروع قدمه الوزير المركزي وهوجدير بالنقاش . . فما كان من الرئيس إلا ان أجابه بسرعة وبشيء من السخرية والتساؤل: أي فرق بين هذا وذاك اللهم إلا بالحجم! . . . وكان يعرض بحجم مشروع خطة التنمية للوزارة

المركزية بسبب ضخامته . وهنا لم يعد بامكاني السكوت لأن اشارة الرئيس تدل على تحدي واضح لي وتعريض بكفاءتي ، بل وتدل على مدى الجدية التي ينظر بها إلي كوزير مركزي وإلى نفس النظام التي قامت عليه الحكومة المركزية . . هذا بالاضافة إلى الأسلوب العملي الذي يريد تأكيده في معاملتي كوزير سوري وكوزير مركزي مما سبق وأشار إليه بوضوح في مطلع الجلسة كما بينت . . وتجمعت كل هذه الأفكار في مخيلتي عندما قررت اخيراً أن أدخل في هذا النقاش وان اخرج عن صمتي الذي وعدت به زملائي ، لأنني وجدت ان سكوتي عن هذه السابقة وعن الأسلوب الذي اتبع يعتبر استهانة لا بواجبي كوزير فحسب ، بل قد يجر ذلك إلى فرض نفس المبدأ في المستقبل على بقية زملائي من الوزراء المركزيين السوريين عندما سيأتي دورهم بالمناقشة ، وسكوتي عن هذه الاهانة معناه قبولي التعاون المهين إلى النهاية . .

فبدأت حديثي مستغرباً قبول تقرير الوزير التنفيذي أولاً ، وعدم الاطلاع على تقريري رغم تأكيد السيد علي صبري لي باطلاع الرئيس عليه منذ أكثر من اسبوعين ثانياً ، وعلى مبدأ تجاهلي كوزير مركزي والطلب للوزير التنفيذي بتلخيص الخطة مع العلم بأن الطريقة التي سبق واتبعت في الجلسات السابقة كانت مبنية على أن يقوم الوزير المركزي بعرض ملخص الخطة ثم يبدي الوزير التنفيذي آراءه واقتراحاته وبالتالي يفتح باب المناقشة للجميع ، وقد اتبعت فعلاً مع كل من وزراء الصناعة والزراعة والاشغال في الجلسات التي سبقت . .

وهنا بادرني الرئيس بقوله : ايه يعني؟ . . لماذا لم تجتمعا وتتفقا على التقرير؟ . . هو انا عندي مجلس وزراء والا مدرسة؟! . . وكان واضحاً بأنه يعرض بي من جديد بشكل أكثر صراحة وقسوة . . ومع ذلك فقد تمالكت أعصابي . . وقلت بانني لست المسؤول عن هذا يا سيادة الرئيس . . فأجاب بعنف : هل تعني انني أنا المسؤول؟ فقلت كلا يا سيدي الرئيس ، انني لا اقصد ذلك . . ولعل النظام الموضوع هو المسؤول!!

وهنا وصل التوتر إلى أقصى الحدود فوقف الرئيس وقطع الجلسة ، طالباً إلى

الـوزيـر التنفيذي بأن يجتمع معي في الغد لوضع مشروع مشترك. . ولكن الأوان كان قد فات! . . اذ هل أصبـح من المعقـول ان استمر؟ . . وكيف يمكنني تجاهل كل ما حدث وهو يؤكد قبل كل شيء نزع ثقة الرئيس بي، ووضعي أمام أمرين لا ثالث لهما: امـا أن أقبـل الاستمـرار في شغـل وظيفـة الوزارة بدون ثقة، وبدون اختصـاصـات واضحـة، بل وبدون كرامة. . واما أن لا أقبل ذلك فأستقيل. ولم يطـل بي التفكـير حتى اخـترت الحـل الثـاني لأنني وان كان بالامكـان الشك في كفاءتي وقدرتي على القيام بمهمتي في الوزارة، إلا أنني لا أقبل اطلاقاً أن يشك بكـرامتي، هذا من النـاحيـة الشخصيـة، أمـا من النـاحيـة العامة فسكوتي على الاهانة، وعلى تجاهلي كوزير مركزي سوري، وعلى عدم التقيد حتى بالقرارات الغـامضـة التي أصـدرها الرئيس وحدد فيها اختصاصات الوزراء المركزيين، يعني افسـاح المجـال لتنفيـذ هذه السيـاسـة على بقيـة زمـلائي من الـوزراء السوريين المـركـزيين الباقين. . وأما اذا أخذنا بعين الاعتبار تلك المقدمة الواضحة الحاسمة التي أعلنهـا الـرئيس في مطلع المجلس والتي قال فيهـا: من لا يريد التقيد بالحدود التي رسمتها له فما عليه إلا أن يستقيل، غير أنه بكل أسف لم يفطن إلى أنه حتى الحـدود التي رسمت في القـرارات التي تضـمنت اختصـاصات الوزراء المركزيين لم يتقيـد بها هو نفســه وأراد ان يرسم حدوداً خاصـة بالـوزراء المـركزيين السوريين عنـدمـا حال بينهم وبـين ممارسـة أي اختصـاص في الاقليم الشـمالي منـذ تشكيل الـوزارة، وأنهيت علاقـاتهم بكـل شؤون الاقليم منـذ تكليف المشـير عامر بادارة الحكم فيهـا. أمـا سلطتهم في الاقليم الجنـوبي فلم تكن في يوم من الأيام تتجاوز حدود الحـاجب والسـائق ومدير المكتب والعدد المحدود من الموظفين، بينما أطلقت أيـدي زمـلائهم من الـوزراء المركزيين المصريين في شؤون الاقليمين، بل وأصبح بعضهم يمارس سلطات تنفيذية واسعة في الاقليم الشمالي كوزراء التربية والتعليم والصناعة والاقتصاد والخزانة والدفاع والزراعة. .

ولم أستطـع النـوم في تلك الليلة، وبت أناقش مع نفسي «فكرة الاستقالة» التي سيطرت علي، وخشيت ان اكون قد تسرعت باتخاذ هذا القرار الخطير، الذي

أعتبره كالطلاق، لأنه فعلاً «أبغض الحلال الى الله» وإلى قلبي بعد حياة طويلة قضيتها في عمل مستمر لخدمة بلدي وأفنيت فيها زهرة شبابي، وكنت لا أزال أؤ من بأن علي الكثير مما يجب ان أقوم به تجاه وطني وتجاه الشعب الذي أدين له بكل شيء وتجاه الطبقة المسكينة التي أنتمي إليها والتي تشكل غالبية الشعب العربي في الجمهورية المتحدة، بل وفي كل الوطن العربي. ولكنني خرجت بنتيجة هذه المناقشة الذاتية أشد تمسكاً واصراراً على الاستقالة، فقد ظهر لي ان مهمتي في هذه الظروف قد انتهت والا فما علي إلا ان اضحي كرامتي من أجل الاحتفاظ بمقعد وجيه، دون ان يبقى بامكاني تقديم اية خدمة لبلادي أو للرئيس. . فالبلاد لا يمكن ان يخدمها من فقد كرامته. . وأما الرئيس فقد قرر كما يبدو عدم حاجته لجهودي بعد ان افصح عن رأيه في امكانياتي باسلوب ساخر. .

بقي شيء آخر وهو مدى ملاءمة الظروف الحالية للاستقالة وامكانية ربطها بالاستقالات التي سبقتها من جهة وامكانية استقالة بقية زملائي الوزراء المركزيين أو على الأقل السيد أمين النفوري والدكتور العظمة.

وخلصت من مناقشة هذه الناحية بما يلي:

أولاً ـ لست مسؤولاً عن الظروف وعما يستتبع ذلك من نتائج أو ردود فعل سياسية لأن ذلك لم يعد يدخل في مسؤوليتي بل كان على الرئيس نفسه تقدير هذه الظروف فلا يضعني في هذا الطريق المسدود. . وأما الناحية الثانية فقد عزمت على تقديم الاستقالة دون اعلام احد وكتم ذلك حتى عن الأخ النفوري لكي لا أضعه في موقف حرج. . خاصة وان لهذه الاستقالة ملابسات شخصية اذا صرفنا النظر عن أسبابها الحقيقية المتصلة اتصالاً مباشراً بالقضية العامة وبموقفنا الموحد من سياسة الرئيس، وقد يكون في استقالتي انذار صريح للرئيس فيبادر إلى اعادة النظر في سياسته في سورية وفي معاملة الوزراء السوريين وتجاهله شعور الشعب السوري، فيعالج الوضع معالجة جذرية. . ولعمري فان ذلك يستحق مني أن أضحي لا بالوزارة فحسب، بل بأي شيء آخر. أما اذا لم تجر الأمور كما توقعت وأدى ذلك إلى استقالة زملائي السوريين. . رغم كتمي الاستقالة عنهم وعدم

استشارتي لهم فيكون ذلك بمحض اختيارهم وبتقديرهم الخاص للظروف وبنتيجة تعنت الرئيس، بل لعل ذلك بالذات هو ما يرمي اليه فقد تجاوزنا الدور! . .

رفع الاستقالة :

كان صباح يوم ٢ / ١ / ١٩٦٠ موعد افتتاح المعرض الصناعي في الجزيرة، وكان على الوزراء جميعاً حضور هذا الاحتفال ليكونوا في استقبال رئيس الجمهورية . .

ولكني ذهبت إلى مكتبي في الوزارة بدلاً من الذهاب إلى مكان الاحتفال وبدأت بكتابة نص الاستقالة ، وقبل ان أنهيها فوجئت بدخول الدكتور بشير العظمة إلى مكتبي ، فأعلمته بقراري وأطلعته على مسودة الاستقالة فوافقني وقلت له أني لاأريد احراج الأخ أمين خاصة ولااحراجك ، فأجابني بأنه توقع مني ذلك وأكد لي الحق في عملي ذاك . . ورجوته كتمان الأمر وتابعت كتابة الاستقالة بشكلها النهائي . ولم أكد اصل إلى نهاية الكتاب حتى قدم إلى مكتبي بقية الوزراء السوريين السادة أمين النفوري وفاخر الكيالي ، وكأنهم شعروا كما يبدو بتغيبي عن الاحتفال ، فأخفيت عنهم نبأ الاستقالة وحاولت نقل حديثهم إلى ميادين بعيدة تمام البعد عن حادث اجتماع الليلة السابقة ، لكي لا يستنتجوا شيئاً من قراري ، واستطعت فعلاً أن أحاورهم حتى بلغت الساعة الثالثة بعد الظهر ، وعندما طلبوا إلي النزول معهم أجبتهم بأنني أقوم بتحضير تقرير الاسكان استعداداً لمناقشته مع الوزير التنفيذي حسب توجيهات الرئيس بالأمس ، ويبدو أنني أقنعتهم فودعوني وانصرفوا . وعندها قمت باتمام كتاب الاستقالة . وأرسلته إلى الرئيس مع سكرتيري الخاص وأوقفت به ملخصاً عن وضعي المالي قبل وبعد استلامي الوزارة مسجلة على استمارة خاصة نموذج «من أين لك هذا» . . فوصله فعلاً وهو يقوم بجولته في المعرض الصناعي حوالي الساعة الخامسة بعد الظهر.

وهكذا أقدمت على أخطر عملية في حياتي بعد أن انقضى علي حوالي ثلاثة عشر عامـاً في الجيش وواحـد وعشـرون شهراً في الوزارة . . وشعرت لأول مرة في حياتي أنني أزيح عن كاهلي كل المسؤوليات وأستعيد حريتي . . وقلت في نفسي : اللهم اني بلغت . . وحمدت الله على هذا المصير الذي اخترته كما شعرت براحة نفسية لأنني أتـرك العمـل راضي الضمـير مطمئناً إلى الدور الذي أديته لبلادي ولجيشي ولأمتي . . وانني لأرجع إلى بيتي شريفاً كما دخلت الكلية الحربية عام ١٩٤٥ وكما بقيت طيلة عمـلي منـذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، وأستطيع أن أقول اللهم أني بلغت متأكداً من ان الاستقالة هي آخر ما أملك . . وعارفاً بأنها قد توصلني وأولادي بل وأهلي إلى الفاقة والجوع . . ونمت ملء جفني وشعرت كأنني في جزيرة منعزلة عن العالم مثل روبنسون كروزويه . . ولم أعلم زوجتي بنبأ استقالتي إلا في صباح اليوم التالي عندما حاولت كعادتها ايقاظي من النوم فتلكأت ثم نهضت وتناولت الافطار مع الأولاد ، وبعـد أن ودعـوني وذهبـوا إلى المـدرسة أعلمتها بالاستقالة فبكت . . ولكنها مع ذلك شجعتني وقالت ليكن ، فانني وأولادي لم نحاول اطلاقاً بل ولم نفكر يومـاً بأن نعتـاد حيـاة الـوزراء واننـا نقبل المصير الذي تريده لنا لأن فيه سعادتنا ، ولكنني كنت أشاهد العبرات تنساب على خديها فودعتها وبدلاً من أن أتوجه إلى عملي الرسمي كالمعتاد توجهت لأول مرة في حياتي إلى النادي في غير أيام العطل لألعب التنس . . تلك الهـوايـة التي فرضتها علي البطالة الممقوتة طيلة فترة الوزارة المـركـزية والتي ساعدتني ، والحق يقال ، على تحمل عناء البطالة ، وأكسبتني كثيراً من الحكمـة والصبر تجاه تلك المشـاكـل التي أتيت على ذكر بعضها . . بالاضافة إلى أنهـا أعـادت إلي نشـاطي ورشـاقتي وأتـاحت لي فرص التعـرف على بعض الاخوان الممتازين من الاقليم الجنوبي ممن يداومون على ممارسة الألعاب في نادي الجـزيـرة ، ويستعينـون بذلـك على قضاء أوقاتهم مثلي . . ومما هو جدير بالذكر أني احتفظ لهذا النـادي الجميـل بأجمـل الذكريات لأن جوه الساحر النشيط كان خير وسيلة لي ولـزمـلائي السـوريـين للترويح عن أنفسنـا طيلة المدة التي قضيناها في القـاهـرة . ولـولاه لكـانت ظروفنـا أكثـر صعـوبـة وقسـوة . . ولـولا ذلـك الطابع

الارستقراطي الذي يمتاز به هذا النادي الرياضي الجميل لتمنيت أن اكون عضواً دائماً فيه. واني لاتطلع إلى اليوم الذي تتاح فيه الفرصة لكل المواطنين من شعبنا ليكونوا أعضاء في نوادي اجتماعية ورياضية على غرار هذا النادي ولكن بدون وسائله الارستقراطية وبيئته المغلقة.

صدى الاستقالة المباشر:

كانت الساعة حوالي الثانية عشرة عندما طلبني السيد عبد اللطيف البغدادي على الهاتف وكنت لا أزال العب التنس.. وعندما أعلمته أنني في النادي أجابني أنه يريد التحدث معي، فهل أفضل أن يحضر إلى منزلي أم أذهب أنا اليه، فأجبته بأنني سأوافيه في منزله. وفعلاً قطعت اللعب وذهبت إلى منزل السيد البغدادي في مصر الجديدة فوصلته حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر، وكانت هذه أول مرة أزوره في منزله. فاستقبلني على باب الفيلا وقادني إلى الصالة في الطابق الأرضي.. ثم بدأ حديثه معي حول الاستقالة، وكان متأثراً غاية التأثر وأعرب لي عن شعوره الطيب نحوي وعن تقديره لي ولعملي وكفاءتي، وأكد لي بأنني أحوز احترام كافة الوزراء المصريين واحترام الموظفين والمهندسين الذين اتصلوا بي أوعملوا معي.. ثم أشار إلى جلسة اليوم الفائت وقال بأن الرئيس كان مزعوجاً جداً للنتيجة التي انتهت اليها الجلسة وانه يأسف لاصطدامه معي، اذ انه يكن لي حباً خالصاً وتقديراً، وانه لا يمكن ان ينتظر مني أن أقدم على الاستقالة ورفض التعاون معه، ثم أشار إلى الوزير محمد ابو نصير ومشاكله وسلوكه وأنه هو الذي كان سبباً في كل هذه الملابسات.. وبعد حديث عاطفي طويل أشار إلى الظروف الدقيقة التي تمر بها الجمهورية المتحدة بعد استقالة الوزراء البعثيين، وبسبب علاقاتها مع بعض الدول العربية وخاصة حكومة عبد الكريم قاسم في العراق والحملة التي تشنها عليها الدول الأجنبية لتحطيم الوحدة بين الاقليمين.. ثم ضرب مثلاً بنفسه وقال بأن ما يحمله على الاستمرار في

الحكم رغم كثير من المصاعب هو خوفه من تعرض وحدة البلاد واستقلالها للخطر وحرصه على أهداف الثورة وعلى سلامة البلاد. وإلا فان لديه الكثير من الأسباب التي تبر ر استقالته . .

وحاولت رغم تأثري الشديد بالأسلوب الأخوي المهذب الذي قابلني به وبالحديث المشبع بالعاطفة الصادقة، حاولت أن أشرح له الأسباب التي تجعلني مضطراً لتقديم الاستقالة والتمسك بها . .

فشرحت له المتاعب التي لقيتها في تعاملي مع الوزير التنفيذي للإقليم الجنوبي، وعدم اهتمامي بكل ما كنت ألمسه منه من بعد عن أصول الزمالة واللياقة، بصرف النظر عن شروط التعاون، وبينت له كيف تجاهلت سلوكه. وأعلمت الرئيس بذلك بعد مرور ما يقرب من ستة اشهر، وشرحت له بأن سكوتي على هذه المعاملة يبر ره حرصي الشديد على ألا أكون سبباً لخلق المتاعب ولأنني أقدر ظروف الرئيس، ولأنني أرغب من كل قلبي بألا تتعرض الوحدة بين الاقليمين إلى أية هزة . . ثم ذكرت كل ما بذلته من جهود للتعاون الصادق مع الوزير التنفيذي خاصة في مجال مشروع الخطة وأبديت استغرابي لموقف السيد علي صبر ي عندما أكد لي اطلاع الرئيس على تقريري وموافقته عليه، بينما ابدى الرئيس في الجلسة عكس ذلك تماماً. وقلت له انني لا أفهم الدواعي للكذب على هذا المستوى . . وبينت له كيف بحثت كل تفاصيل المشروع مع أبي نصير ورغم كل ذلك لم يستح هو الآخر من الكذب في مجلس الوزراء . . وقد شجعه الرئيس على تقديم تقرير خاص بشكل يتنافى عما اتبع مع بقية الوزارات . . وكيف تجاهلني وكلفه بشرح الخطة و. . لم يقتصر الرئيس على ذلك، بل أسمعني ما يدل على عدم الثقة بي وبكفاءتي، فوضعني في موقف لا أستطيع فيه إلا أن أختار احد الطريقين:

أما البقاء بدون كرامة . . وبذلك لن يستفيد هو مني كما لا يمكن ان أكون مفيداً للجمهورية .

واما الاستقالة . . وبذلك أضحي بالوزارة من أجل المحافظة على رأسمالي

الـوحيـد الـذي لا عيش لي بدونـه كعسكري سابق وكمناضل لم يدخل الوزارة كما يدخلها السياسي المحترف.

ولم أتعرض للأسباب السياسية التي تدفعني للاستقالة بل حصرت حديثي معه بالأسباب المباشرة. وأعلمته نهائياً اصراري على التمسك بالاستقالة فودعني بعد أن قضيت معه حوالي ساعتين. . وكان في أشد التأثر. . واني لاذكر له ما لمسته من عواطف صادقة بكثير من التقدير.

الوزراء السوريون يتضامنون معي بالاستقالة :

عدت إلى منزلي في الزمالك بعد مقابلة السيد البغدادي، فوجدت السيد أمـين النفـوري ينتظرني. . كما أعلمتني عائلتي بأن السيد صلاح الدسوقي طلبني أكثر من مرة، وكذلك السيد كمال رفعت. .

عاتبني الأخ امـين لكتـماني الاستقـالـة عنه فأبديت له وجهة نظري في ذلك فاقتنع وأيد فكرة الاستقالة وأكد لي بأنه سيقدم استقالته أيضاً ولكننا اتفقنا على أن ينتظـر حتى يبت الـرئيس في موضـوع استقالتي. وأعلمني بأنه علـم بالاستقالة عن طريق السيـد عبـد القادر حاتم نائب وزير الدولة لشؤون الرئاسة الذي طلب اليه بالحـاح التـوسـط معي للرجوع عن الاستقالة فوعده ببذل أقصى الجهد مؤكداً له بأن الاستمرار في هذا الوضع أصبح مستحيلاً. وبعد قليل قدم إلى منزلي الدكتور بشير العظمة وزير الصحة المركزي فأكد لي ان الاستقالة كان لها وقع الصاعقة بين الـوزراء المصـريـين وأنها حديثهم الوحيد. . وقرر أيضاً عزمه على الاستقالة اذ ما قبـل الـرئيس استقـالتي. . وأعلمنـا أيضـاً بأن نبأ الاستقـالـة اصبح معروفاً لدى الجميع لأن محطة اذاعة لندن أذاعته بل وأضافت إليه بأنه من المنتظر استقالة جميع الـوزراء السـوريـين المـركـزيين. كما اشارت صحيفة الجمهورية في احدى زوايا الأخبـار الـداخليـة إلى ان اجتـماعـاً هاماً عقد في مكتب وزير البلديات المركزي

حضـره كافـة الـوزراء السوريين واستمر مدة طويلة . . وكان واضحاً بأنها تلمح إلى وجـود صلة بين الاستقـالـة وبـين هذا الاجتـماع . ولم يكن ذلك إلا من قبيل التخمين كما سبق وبينت . .

وبينما كنا في المنزل نتبادل الرأي حول الموقف العام اذا بالسيد عبد اللطيف البغـدادي يطلبني على الهـاتف ويعلمني رغبـة الرئيس بمقابلتي في الساعة الثانية عشرة من يوم الغد . . هذا وقد اتصل بي أيضاً السيد فريد زين الدين نائب وزير الخـارجيـة بالهاتف وطلب زيارتي ، وعندما وصل أعلمني بأنه سوف يقدم استقالته متضـامنـاً معنـا لأن وضعه في وزارة الخارجية لم يعد يطاق وانه لم يستلم أية صلاحية منذ تسميته نائب وزير حتى الآن .

الاجتماع بالرئيس :

وفي الموعد المحدد من يوم ٤ / ١ / ١٩٦٠ ذهبت إلى منزل الرئيس في منشية البكـري فاستقبلني كأحسن ما يكـون الاستقبـال ولم يكـد يجلس في مقعـده حتى بادرني بالعتـاب مستعمـلاً العبـارات الرقيقة مؤكداً لي بأنه لا يمكن ان يتوقع مني هذا المسلك لأنه يحتفظ لي بمكانة خاصة ، واخذ يذكرني بمعرفته القديمة لي التي تعـود إلى عام ١٩٥٥ . . ثم بتطـور هذه المعـرفة إلى صداقة مبنية على الثقة ، في الأعـوام التي سبقت الـوحدة . . ثم باختياره لي للدخول في الوزارة الذي بني على التقدير لاخلاصي ولكفاءتي . . ثم انتقل إلى القول بأنه يكاد يجزم بأن الاستقالة لم تكن بسبب محمـد ابـو نصـير ومشـاكل الوزارة المركزية ، كما لا يمكن ان تكون حادثـة الأمس إلا الـذريعـة المبـاشـرة لها . . وطلب إلي ان اصـارحـه بالأسبـاب الحقيقيـة . . فأجبتـه بانني لم اكن في يوم من الأيـام غير صريـح وغـير مخلص في احـاديثي معـه . . كما لم يكن لي أي هدف أو مصلحـة خاصة في كل ما كنت ابديه من ملاحظـات وآراء . ورغم ما كنت ألمسه من اختـلاف النظـرة إلى آرائي قبـل

الوحدة وبعد أشهر من قيام الجمهورية المتحدة . . إلا انني التزمت دائماً الموقف الذي يمليه علي حرصي على الوحدة، وعلى استقرار الجمهورية العربية المتحدة بزعامته. ولم اكن اتوخى من ذلك سوى مصلحة بلادي، وانني عندما قررت الاستقالة لم أتوخ إلا مصلحة بلادي ايضاً، لأن بقائي لا يخدم مصلحتها، بالاضافة إلى ما ينطوي عليه من مهانة وما يترتب عليه من مسؤوليات ليس لها في الواقع ما يبررها. ثم بدأت اسرد له الاسباب القريبة والبعيدة التي تدفعني للاستقالة والتي ألخصها فيما يلي:

١ ـ اننا عملنا من اجل الوحدة وساهمنا في تحقيقها ولا نزال نعتقد بانها السبيل الوحيد لحرية العرب وتطورهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

٢ ـ اننا آمنا بزعامة جمال عبد الناصر وبسياسته التي أعلنها بعد ان اتضح لنا طابعها العربي والتقدمي ومقاومتها للنفوذ الاجنبي بكل أشكاله وكان هذا هو العامل الأساسي في وقوفنا إلى جانب مصر عام ١٩٥٦ وفي المساهمة باقامة الوحدة عام ١٩٥٨.

٣ ـ ان الأوضاع الداخلية في سورية قبل الوحدة كانت تتمخض عن تطور اجتماعي وسياسي عميقين. وقد التقى الاتجاه العام لدى غالبية الشعب ولدى طليعته الثورية مع شعارات الثورة المصرية بزعامة عبد الناصر وخاصة ما يتعلق منها بالقومية العربية، والوحدة، والتحرر الكامل من الاستعمار، والاشتراكية، والحياد بين المعسكرات المتصارعة.

٤ ـ لقد كنا نعتقد بأن استمرار تصارع الأحزاب في سورية وعدم قدرة واستقرار الحكم البرلماني يضيع الكثير من فعاليات البلاد ونشاطها، كما يعيق تطور الدخل القومي ويضعف الامكانيات الدفاعية، ويعرقل التطور الاقتصادي والاجتماعي ويؤخر رفع مستوى المعيشة بالنسبة لأفراد الشعب، ويزيد في ثروات المستغلين له.

٥ ـ ان الجيش السوري كان حامياً للحياة الديمقراطية في سورية وهو الذي كان يرجح كفة الفئات التقدمية التي تبنت الوحدة مع مصر. والحياد في السياسة

الخارجية ومقاومة العملاء والرجعية في الوطن العربي. وكان يؤمن ان من حق هذا الشعب الذي ناضل طويلاً من أجل الاستقلال أن تتغير مفاهيم الحكم وتتجه نحو الاشتراكية والديمقراطية بعد الاستقلال وأن يعاد تنظيم الدولة على أساس علمي وأن تخضع السياسة والاقتصاد والتعليم إلى تخطيط دقيق هدفه مضاعفة الدخل القومي بزيادة الانتاج وتحقيق العدالة في التوزيع وتأمين الوسائل الفنية والبشرية والمالية لذلك وخلق القواعد الشعبية اللازمة لتحقيق وحماية هذه الأهداف.

٦ ـ اننا نؤمن بأن سورية عنصر أساسي بالنسبة للقومية العربية بسبب تاريخها وبسبب ظروفها الخاصة وتطورها الاجتماعي والسياسي والفكري وبسبب موقعها الجغرافي وليس من مصلحة القومية العربية عزلها واخماد نهضتها الفكرية ومقاومة عناصر الطليعة فيها وابعادهم عن مسؤوليات الحكم في الجمهورية المتحدة ومنعهم من المساهمة في تخطيط السياسة العليا الداخلية والخارجية: ما يتعلق بالوحدة بين البلدين خاصة وبالسياسة العربية عامة.

٧ ـ ان أزمة الوحدة ذات علاقة جوهرية بنظام الحكم في الجمهورية وان التجربة خلال العامين الفائتين أكدت ضرورة اعادة النظر فيه على ضوء هذه المرحلة الانتقالية ووجوب اشتراك السوريين بدراسته على قدم المساواة مع المصريين وعدم اجراء أية دراسة في هذا الموضوع بغيابهم. وان يبنى الدستور الجديد على أساس التكافؤ بين الاقليمين والمساواة في المسؤوليات والحقوق بين مواطني الاقليمين أيضاً، وجعل الحكم فيهما لا مركزياً إلى الحدود التي تتلاءم مع ظروف كل منهما.

٨ ـ أننا مع قبولنا بالنظام الرئاسي وبمسؤوليات الرئيس التي حددها الدستور المؤقت نؤكد ضرورة مشاركة الوزراء في رسم السياسة العليا وتنفيذها، كما نؤكد بشكل خاص مساهمة السوريين في وضع هذه السياسة وتنفيذها وتحمل مسؤوليتها على مستوى اقليمي الجمهورية.

٩ ـ اننا نجهل تماماً أهداف سياسة الجمهورية في الحقلين الداخلي

والخارجي ، بل ان الوزراء السوريين أصبحوا يشعرون بأنهم مبعدون وانهم رهائن في القاهرة وان معاملتهم تجري على هذا الاساس . فقد حيل بينهم وبين ابداء رأيهم في مشاكل الاقليم الشمالي ، وهم محرومون أيضاً من حق التدخل في شؤون الاقليم الجنوبي حتى في مجال اختصاصاتهم التي حددتها القرارات الصادرة عن الرئاسة رغم ضآلتها . .

١٠ ـ ان استقالة الوزراء البعثيين لم تكن مفاجئة لنا ، واننا نؤيد الاسباب التي أبدوها في استقالتهم وقد كنا متفقين معهم على ضرورة تقديم مذكرة نبين فيها انحرافات الوحدة والحلول الايجابية لتقويمها ، ولكننا لا نوافق على شكل الاستقالة الذي يتسم بالحزبية وقد ابدينا هذا عندما طلب الينا ذلك في وقته بواسطة السيد علي صبري وزير الدولة لشؤون الرئاسة .

١١ ـ اننا نستغرب الاسلوب المتبع للتفريق بين السوريين على جميع المستويات وخاصة في مستوى الوزراء ، ونعتبر ذلك في غير مصلحة الجمهورية او مصلحة الوحدة ولا ينطبق على شعارات الحكم الديمقراطية والتعاونية والاشتراكية ؛ وذكرت على سبيل المثال المحاولات المتعددة للتفريق بيني وبين السيد امين نفوري وبيننا معاً من جهة وبين السيد طعمة العدوة الله واحمد حنيدي وجادو عز الدين من جهة اخرى . وانني كنت ارغب في الاستقالة منذ زمن بعيد بسبب هذه الأساليب ، إلا انني فضلت الصبر لكيلا يعتقد المدبرون لهذه المؤامرات أنهم يستطيعون التفريق بين الاخوة . . واحمد الله الذي مكنني من تفويت الفرصة عليهم حتى الآن حيث استقيل في الظرف الذي أختاره وللأسباب التي تستحق الاستقالة .

١٢ ـ اننا نستغرب أيضاً أسلوب الحكم البوليسي السائد في سورية ولا نفهم له مبرراً خاصة وقد أصبح المواطنون جميعاً تحت رحمة أجهزة المخابرات والمباحث ، وقضي نهائياً على الحريات العامة وأغرقت سورية بالموظفين المصريين الذين ليسوا في مستوى المهمات التي أوكلت اليهم ، كما أنهم لا يفهمون الوحدة ولا يؤمنون بها .

١٣ ـ لقـد تحولت القـوات المسلحـة إلى جيش مرتزق يسيطر عليه الضباط المصـريـون وقـد سرح أو أبعـد معظم الضبـاط السوريين ويشعر الضباط الباقون بأنهم في طريقهم إلى التقـاعـد أو النفي للإقليم الجنوبي حيث لا عمل لهم سوى ارتياد المقاهي .

١٤ ـ أمـا ما يتعلق بالاسبـاب المباشرة للاستقالة فذكرت له : كيف حاولت الصحف ابـراز صورتي وصـورة امـين النفـوري في نفس الصفحـات الأولى التي ذكـرت فيهـا استقـالـة الـوزراء البعثيين، وان هذه البادرة تنطوي على الكثير من النوايا السيئة التي تظهر على الأقل رضانا عن الاستقالة ومشاركتنا في مسؤولية ما يترتب عليهـا مع العلم بأننـا اوضحنـا رأينـا صراحـة في ذلـك . . ثم شرحت له ملابسات وضع الخطة ومسلك الوزير أبو نصير وكذب علي صبري . . وفوق كل ذلـك الاسلوب الـذي عوملت به من قبله في جلسـة ٢ / ١ / ١٩٦٠ والمعـاملة التي يلقـاهـا الـوزراء السوريون ، والسياسة التي تتبع في الاقليم الشمالي وتحول الوحدة إلى سيطرة مصرية واضحة .

وختمت حديثي الـذي استغـرق حوالي أربـع ساعـات بأنني مصمم على الاستقـالـة ورجـوت من الـرئيس قبـولها مؤكداً تمسكي وحرصي على الجمهورية العـربيـة المتحـدة وايماني بالوحدة ، واستعدادي لتقديم كل تضحية في سبيل ذلك عدا كرامتي لأنها رأسمالي الوحيد الذي لا يمكنني خدمة بلدي بدونها .

وبـالـرغم من اللهجـة الصـريحة التي كنت أستعملهـا طيلة حديثي فانني وجـدت من الـرئيس كل تشجيع وسعة صدر ، وعندما انتهيت بادرني بأنه متأسف جداً لأن الأمـور وصلت بيننـا إلى هذا الحـد دون أن يعلم . . فأجبته بأن ذلك مما يؤكـد عدم وجـود أي رغبـة من قبله بالتعـاون معنـا ، ويبـين مدى اهتـمامـه بآراء المسؤولـين معـه . . وأضفت متسـائلاً : أليس مستغرباً يا سيدي الرئيس أن يصل الأمر بين الوزراء إلى هذا الحد دون أن يكون لكم علم بذلك؟ واكدت له بأن ما أقـولـه ليس إلا جزءاً من الحقيقـة التي وصـل اليهـا زملائي من الوزراء السوريين ولكي لايظن بأنني متأثـر من حادث جلسـة الأمس فإنني أرجـو منه السماح بمقابلة

أي من الوزراء السوريين والاستماع لهم . . واني قد أكون أقلهم برماً بهذه السياسة واستنكاراً لها . . فسألني لماذا لم أطلع المشير عبد الكيم عامر على هذا الجو باعتباره صديقي القديم؟ فأجبته بأنني أستغرب أن لا يعرف المشير عامر أيضاً هذا الوضع بالتفصيل وهو يضطلع بمهمة الحكم في سورية وانه على اتصال بالشعب هناك . . أما ما يتعلق بصداقته لي فلا أظن انها باقية على حالها منذ زمن بعيد!!.

وفجأة انتقل بحديثه إلى ميدان بعيد . . فعرض علي أن أذهب إلى سورية لمساعدة المشير عامر في عمله هناك فأجبته بأنني لا أرجو أن تفهم استقالتي على هذا الاساس لأنني ارفض الاستمرار بعملي كوزير مركزي غير مسؤول مباشرة عن السياسة في سورية ، فكيف أساهم في تنفيذ هذه السياسة التي أعتبرها من أسباب استقالتي؟؟ . . . وهنا عاد إلى موضوع الاستقالة . . فقال بصراحة انني أرفض الاستقالة رفضاً قاطعاً . . فقلت وانني من جانبي اصر عليها . . فذكر لي بان الظروف الحالية لا تلائم مثل هذه الاستقالات واكد لي بانه اقتنع اخيراً بانه لا بد من مواجهة هذه المشاكل بشكل صريح وانه سيحاول الاستماع إلى الوزراء السوريين مجتمعين ليقف على وجهة نظرهم . . وانه سيجتمع بي مرة ثانية خلال مدة لا تزيد عن اربع وعشرين ساعة . . وذكر لي باننا ننتظر زيارة الملك محمد الخامس خلال أيام وانه سيجري افتتاح العمل بالسد العالي بعد أسبوع . . واننا مقبلون على أعياد الوحدة . . ولا يجوز إثارة أزمة داخلية تدل على عدم استقرار الوحدة بين الاقليمين وتعطي انطباعاً سيئاً عنها . . وكرر قوله بانه يرفض الاستقالة ويطلب إلي الرجوع عنها . . فأجبته بانني لا يمكنني الرجوع عنها، فأجاب: يمكنك تركها لي في الوقت الحاضر على أن تداوم على مكتبك لتكذيب الاستقالة عملياً إلى أن ننتهي من زيارة الملك محمد الخامس وحفلات تدشين السد العالي وعندها سأتفرغ لبحث مشاكل الوحدة ومشاكل سورية . . فلم أجد اذ ذاك ما يبرر اصراري على قبول الاستقالة وقلت في نفسي ان من انتظر سنتين يمكن ان ينتظر اسبوعاً أو شهراً، مادام الرئيس قد أبدى استعداده لمواجهة الأمور بصراحة وبجدية هذه المرة . . ووعدته بان أداوم على مكتبي شريطة ألا أقوم بأي

عمـل رسمي ولا أشـترك في أيـة لجنـة. فقبـل بذلك وودعني على أن يقابلني مرة أخرى في اليوم التالي أو بعد زيادة الملك محمد الخامس.

وفي اليـوم الثـاني ذهبت إلى مكتبي وثـابـرت بعـد ذلك على الحضور إلى الـوزارة المـركـزيـة حتى تاريـخ استقالتي الثانية ولكني لم أقم بأي عمل طيلة هذه الفـترة كما لم أحضـر أيـة لجنـة، غير أني كنت أحـرص على حضـور الاحتفالات العـامـة لأؤكـد محافظتي على وعدي للرئيس.. وانتظاري لما وعدني به من معالجة لأزمة الوحدة.

مقاطعة الوزراء السوريين للجان وعزم الدكتور العظمة على الاستقالة:

قاطـع كل من السيـدين أمـين النفـوري والدكتور بشير العظمة اجتماعات اللجـان المـركزية ولم يستجيبوا لجميع الوساطات والمحاولات التي بذلت من بعض الوزراء المصريين لاقناعهم بالعدول عن ذلك. وأخذت بعض العناصر المقربة من الـرئيس تشيـع قرب اجـراء تعـديـلات وزاريـة وتتحـدث عن تعييني نائباً لرئيس الجمهـوريـة، كما أبلغني كل من الصحفيين اسماعيل الحبروك وممدوح رضا بأنني سأعـين نائبـاً للرئيس، حتى لقد أخذ بعض موظفي الوزارة يهنئوني لأن قرار تعييني نائباً لرئيس الجمهورية أصبح قيد التوقيع، وأذكر أنني قلت لممدوح رضا أن هذا الكلام يشبه كلام الحشاشين، فكيف أرفض الاستمرار بالوزارة لأنني لا أجد فيها ضرورة لبقائي وأقبل ان اكون طرطوراً جديداً..

ثم علمت من السـادة الـدكتـور بشـير العظمـة وأمـين النفوري ان بعض المصـريـين همسـوا في آذانهما بأن الرئيس عازم على تعيين كل منهما نائباً للرئيس.. وكـانت كل هذه المنـاورات مكشوفة ومفضوحة القصد منها اغراء كل منا على انفراد بالتخلي عن أفكاره وعن رفاقه للوصول إلى هذا المركز العظيم.

وانتهت زيـارة ملك المغرب المرحوم محمد الخامس وانتهت احتفالات السد

العالي ولكننا لم نر أي رد فعل من قبل الرئيس، فأصبح واضحاً بأن وعد الرئيس باستعداده لبحث مشاكل الوحدة وإيجاد حلول لها بعد انتهاء احتفالات السد وزيارة ملك المغرب ليس إلا مناورة لكسب الوقت. ولكننا مع ذلك وجدنا أنه لا بد من الانتظار لاعطاء الوقت الكافي للرئيس في اختيار الوقت المناسب لبحث هذه القضية الهامة. . وانه لا مانع من ان ننتظر شهراً أو شهرين بعد أن انتظرنا سنتين كاملتين. .

وفي هذه الفترة اصطدم الدكتور بشير العظمة بصفته رئيساً للجنة العليا لاستيراد الأدوية مع وزير الصحة التنفيذي ووزير الصناعة المركزي بسبب مشروع اقامة مصنع للأدوية لاحدى الشركات الألمانية يحتكر أسواق الجمهورية المتحدة وأسواق الدول العربية. . فقد اعترض الدكتور العظمة على شروط الاتفاقية لعدم ملاءمتها لمصلحة الجمهورية المتحدة، غير ان الاتفاقية صدقت من الرئاسة دون أخذ ملاحظاته بعين الاعتبار، وحتى بدون ان يصدق هو على الاتفاقية. . ووجد الدكتور العظمة ان الفرصة قد واتته لتقديم استقالته، ولكننا استطعنا اقناعه بتأجيلها إلى مناسبة أخرى نقدم بها استقالة جماعية دون أن نربط الاستقالة بأسباب مباشرة تقلل من أهميتها. وهكذا عدل عن الاستقالة. غير أنه أبلغ وزير الدولة لشؤون الرئاسة عدم رغبته بالاستمرار في العمل. . فذعر علي صبري وبذل جهوداً كبرى حتى اقنع الدكتور بالسفر خارج الجمهورية المتحدة لحضور احد المؤتمرات الصحية الدولية الذي سيعقد في المكسيك توخياً تأجيل استقالته أولاً، وابعاده عنا ثانياً لعله يفرق بيننا.

المشير عامر يحاول التوسط لسحب الاستقالة، والرئيس يسافر إلى سورية:

وفي هذه الأثناء حاول المشير عامر جس نبض السيد أمين النفوري لكي أعود عن استقالتي نهائياً ولكي نستأنف حضور اجتماعات اللجان. ولكن السيد

أمين النفوري أعلمه بشكل حاسم بأن ذلك مرهون بتنفيذ الوعود التي أخذها الرئيس على نفسه بعد الانتهاء من زيارة ملك المغرب. كما حاول المشير الاتصال بي لنفس الغاية ولكنني كنت في الاسكندرية مع الدكتور العظمة.

الرئيس يذهب إلى سورية فجأة ويشن حملة على الوزراء المستقيلين ويعين بعض الوزراء الجدد:

وبعد يومين فوجئنا بخبر وصول الرئيس عبد الناصر وعدد من الوزراء المصريين إلى اللاذقية دون أن يرافقهم احد من السوريين، وبدأ فور وصوله بشن حملة على الحزبيين والانتهازيين.. وحُشِدت الألوف من القرى والمدن لاستقباله، وظهر جلياً بأنه يحاول استفتاء الشعب السوري على سياسته، واعتبرت هذه الاستقبالات المدبرة بمثابة تأييد له على سياسته فكانت لهجته تزداد عنفاً يوماً بعد يوم حتى وصلت إلى حدود الشتم الرخيص والصاق التهم بالوزراء المستقيلين وتهديد كل من يحاول ان يحذوا حذوهم.. واستمرت رحلته في سورية حوالي شهر، وعند انتهائها كشف عن خطته للمستقبل عندما أعلن املاء المراكز الشاغرة في المجلس التنفيذي في الاقليم الشمالي. وقد اختار أربعة من العسكريين واثنين من الموظفين لملء المقاعد الوزارية الشاغرة.. وكان أبرز ما في هذا التشكيل الوزاري هو اختيار العقيد أحمد حنيدي والعقيد جادو عز الدين باعتبارهما أقرب الناس لي ولأمين، ومن المعروف اننا كنا خلال عشر سنوات تشكل كتلة واحدة في الجيش واننا قمنا جميعا بدور رئيس في سياسة سورية التي أوصلت إلى الوحدة مع مصر. وكان واضحاً أيضاً انه بهذا يريد اصابة اكثر من عصفور بحجر واحد:

١ ـ فقد وضعنا فعلاً في موقف حرج بالنسبة لرفاقنا، لأن تصميمنا على الاستقالة معناه الاختلاف معهم في الموقف أو عدم رضائنا عن تركهم الجيش ليصبحوا وزراء، وبذلك يدخل العنصر الانساني في الموضوع، لأنه ما من شخص

إلا ولديه الطموح ليصبح وزيراً في جمهورية تعدادها ثلاثون مليوناً. واستقالتنا بعد اشـتراكهم فيها معنى الاحتجاج على مسلكهم. ومن الصعب عليهم تقدير ظروفنا بعد ان عزلنا عنهم مدة طويلة. هذا بالاضافة للمؤامرات والمحاولات الكثيرة التي كانت تحاك للإيقاع بيننا، والتي نجح بعضها إلى حد بعيد[٢]. وأكبر دليل على ذلك هو عدم استفسار أحد منهم عن أسباب استقالتي الأولى رغم علمهم بها ووقوفهم على الظروف التي سبقتها. أما اذا تراجعنا فمعنى ذلك موافقتنا على استمرار السياسة السابقة بل وقبول الدور الذي يراد منه تسخيرنا لضرب البعثيين إلى ان يحين الوقت المناسب لضربنا بواسطة عناصر أخرى، اذا لم نقل بواسطة رفاقنا الوزراء الجدد أنفسهم.

٢ ـ اخراج العناصر القوية من الجيش، وبذلك يمهد إلى تحويل الجيش

---

٢ ـ يذكر المواطنون كيف كانت أجهزة الاعلام والمخابرات تمهد للتخلص من العناصر المشتركة بالحكم تدريجياً اوللايقاع بين العناصر المسؤولة لتفريقها وضربها الواحد بالآخر. ونذكر فيما يلي بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

أ ـ كان التمهيد للتخلص من الفريق عفيف البزرة باتهامه بالشيوعية والتحضير لانقلاب لفصل الوحدة.

ب ـ وجهت للسيد محمد حسن الباقوري وزير الأوقاف تهمة اخلاقية واستغلال مركزه لاغراء بعض الممثلات، وانفاق أموال الأوقاف الاسلامية في مثل هذه الأمور، علماً بأن الاستاذ الباقوري من كبار العلماء وانه رافق الثورة منذ عام ١٩٥٢ حتى يوم استقالته عام ١٩٦٠، وهو من كبار المناضلين ضد حكم فاروق الفاسد.

جـ ـ اتهم السيد خليل الكلاس باستغلال مركزه للاثراء بها لم تثبت التحقيقات صحته.

د ـ اتهم السيد عبد الغني قنوت ببعض المسائل الاخلاقية التافهة، ولم يسلم السيد مصطفى حمدون من مثل هذه الاختلاقات.

هـ ـ اتهم الاستاذان صلاح البيطار وميشيل عفلق بالعمالة للاستعمار البريطاني والعمل على تخريب الوحدة.

و ـ اتهم الاستاذ اكرم الحوراني بالاتصال مع الاستعماريين والرجعيين والملك حسين والملك سعود.

←

نهائياً إلى مؤسسة مرتزقة طيِّعة.

٣ ـ اختيار العقيد جمال الصوفي باعتباره بعثياً سابقاً كان ينطوي على معنى تكـريس الانشقاق بين البعثيين خاصة وقد استمر السيد امجد الطرابلسي في عمله كوزير للتربية رغم استقالة جميع رفاقه الذين رشحوه للوزارة.

٤ ـ ان اختيار العسكريين والموظفين الفنيين لملء المراكز الشاغرة يعني ابتعاد الرئيس عن التعاون في الظروف الراهنة على الاقل مع العناصر السياسية التي لها رأي سياسي أو لها صلة بالقاعدة الشعبية بالاضافة إلى ابعاد الرؤوس الكبيرة عن الجيش.

← ز ـ اتهم السيد امين النفوري بتحريض عبد الكريم قاسم ضد فكرة الاتحاد مع الجمهورية المتحـدة، كما اتهمت وإياه بالعمـل لصـالح أمريكا، ثم اشاعت بعض عناصر المباحث بأننا من انصار الشيوعية عندما لم تلاق التهمة الأولى أي صدى.

ح ـ وعنـدمـا احتـدم الصـراع بين عبد الحميد السراج من جهة وبين طعمة العودة الله من جهة ثانية اخذت اجهزة السراج تتهم السيد طعمة العودة الله بالجنون.

ط ـ اتهمت اجهـزة المبـاحث والمخـابـرات السيد يوسف مزاحم بالجنون تمهيداً لصرفه من وزارة الأوقاف.

ي ـ استعـان المشـير عامر بالسادة طعمة العودة الله واحمد حنيدي وجادو عز الدين لضرب عبد الحميد السراج عندما اراد الرئيس التخلص من السراج واتهمه بتحضير انقلاب مع الأوساط الرجعية ليحكم سورية.

ك ـ وعنـدمـا صدر التنظيم الأخـير في ايلول ١٩٦١ ونقل جميع الوزراء إلى القاهرة وشعر الرئيس والمشير بامتعاض السادة طعمة العودة الله واحمد حنيدي وجمال الصوفي من هذا الاجراء الـذي يعتـبر الحلقـة الأخـيرة للتخلص منهم. بدأ المشـير يستخدم السيد جادو عز الدين واكرم الديري ضدهم ويروج عنهم الاشعات الكثيرة.

ل ـ وعندما استحدم المشير السيد جادو عز الدين ضد عبد الحميد السراج اخذت اجهزة السراج تتهم شقيق السيد جادو عز الدين بالاتصال مع عملاء حلف بغداد والقبض منهم.

وهـذا بالطبـع غيض من فيض يضاف إليه تلك المحاولات التي تقوم بها اجهزة المخابرات لنصب الشراك لبعض الشخصيات ثم مساومتهم عليها بعد ذلك مما يستحق بحثاً خاصاً واهتماماً من ذوي الخبرة والاطلاع.

٥ ـ عدم املاء المراكز الشاغرة في الوزارة المركزية ومراكز نواب الرئيس التي كان يشغلها السوريون يدل على اهمال الرئيس للوزارة المركزية وعدم اهتمامه بالرأي العام السوري أو العربي، لأن ذلك يجسم عدم التكافؤ بين الاقليمين.. كما يعطي لهذا الحل صفة الارتجالية أو الصفة المؤقتة وكما يعني توقع الرئيس استقالتنا، وأنه اصبح مستعداً لقبولها في كل وقت بعد ان استنفر الرأي العام ضدنا، وبعد ان أخذ رفاقنا في الوزارة الجديدة.

٦ ـ أصبح السراج بنتيجة هذا التشكيل أبرز شخصية من الوزراء في المجلس التنفيذي مما يعتبر تمهيداً لاستلامه رئاسة هذا المجلس أو تعيينه نائباً للرئيس..

وهكذا لم يعد أمامنا إلا المثابرة على خطتنا، ولذلك تلم نساهم في استقبال الرئيس عند عودته من سورية. وانتظرنا صدور المبادرة منه، غير انه لم يمض إلا يوم أو يومان حتى أعلن رسمياً عن عزم الرئيس للسفر إلى الهند فقررنا بعد مناقشة طويلة الاشتراك في وداعه ولم نستحسن تقديم الاستقالة قبيل سفره إلى الخارج لاعتقادنا بأن ذلك قد يكون له تأثير على سمعة الجمهورية المتحدة أو سمعة الرئيس بالذات، مما يضر في مصلحتنا القومية فأرجأنا الاستقالة إلى ما بعد عودة الرئيس من الهند.

الاستقالة النهائية، وتوقيتها قبل انتقاء اعضاء مجلس الأمة:

عندما عاد الرئيس من رحلته إلى الهند والباكستان اشتركنا في استقباله ولكننا لم نرافقه إلى مجلس الوزراء حيث قام بتوجيه كلمة إلى الشعب عن نتائج رحلته.. وكنا نقصد التفريق بين تصرفنا تجاهه من الناحيتين الانسانية والسياسية.. وعتب رفاقنا احمد حنيدي وجادو عز الدين على هذا التصرف وكانا قد قدما إلى الاقليم الجنوبي لأول مرة بعد ان أصبحا وزيرين للاشتراك في استقبال الرئيس.. وانتهزت هذه الفرصة لأشرح لهما اسباب استقالتي الأولى

والظـروف والمـلابسـات التي رافقتهـا. كما اكـدت لهما مع الأخ أمـين سرورنـا لاشـتراكهـما بالوزارة وطلبنا اليهما ان يبذلا مع رفاقهما في الوزارة كل جهدهما ليثبتا كفـاءاتهـما وان يكـونـا متحدين لأن ذلك يدعم مركزهما ويفيد الاقليم افادة كبرى ويسـاعـد على تحقيق التكافؤ بين الاقليمين ويدعم الوحدة في الداخل والخارج، وأشرنا إلى اختلاف ظروفنا والى عدم ضرورة تقيدهما أو تأثرهما بموقفنا. والحقيقة اننا لم نكن مؤمنين بذلك وانما تقديرنا للعوامل النفسية وأثرها على مسلكهما جعلنا نتصـور لهما موقفهـما على أنـه لا يحمـل معنى التنكـر لأوضاع البلاد اولصداقتنا أو للمبادىء التي عملنا معاً من أجلها. واتضح لنا من أحاديثهما بأن المشير عامر أكد لهما تراجعي عن الاستقالة نهائياً، كما أكد لهما ان القضية اعتبرت منتهية منذ ذلك الـوقت، ولم يطلعهـما على الاسبـاب الحقيقيـة. وبعد ذلك أطلعتهما على موقف الأخ طعمة العودة الله وكيف أنه قدم أكثر من مرة إلى القاهرة بعد استقالتي وتجنبه الخوض معي في الدوافع لهذه الاستقالة. كما ألمحت لهما إلى ضرورة عدم تورطهما في تحمـل مسؤوليـة ضرب العنـاصـر الأخـرى لأن النيـة كما يظهـر من التشكيـل الـوزاري والتصـريحـات الـرسمية تتجه إلى التنكيل بحزب البعث، فلا يصح أن يكـونـا أداة لهذه السيـاسـة رغم كل ما نأخـذه وايـاهم على بعض البعثيـين أثنـاء خصومتهم لنا قبل الوحدة.

وبعد ثلاثة أيام قدم الرئيس سوكارنو لزيارة القاهرة، فلم نلب دعوة الرئاسة لاستقبـالـه أو حضـور مأدبـة العشاء التي أقامها الرئيس على شرفه في قصر القبة، وكـان ذلـك في نظـرنـا على الأقـل ذروة الأزمة ودليلاً واضحاً على تصميمنا على موقفنـا، وعنـدمـا مر أكثر من اسبوع على عودة الرئيس من الهند دون ان يظهر اي اهتـمام بمـوقفنـا قررنا تقديم استقالتنا نهائياً، رغم غياب الدكتور بشير العظمة في امـريكـا (وكـان الدكتور العظمة متفقاً معنا على الاستقالة فور عودته من الرحلة) خاصة وان النية متجهة للإسراع في انتقاء وتعيين اعضاء مجلس الأمة ولذلك رأينا الفرصة مواتية تماماً اذ انها لا بد ان تجلب الانتباه إلى وجود مشكلة جوهرية وانها ستكون بمثابة تحذير او قرع الجرس للرأي العام ولمجلس الأمة المقبل. .

وفي صبيحة يوم ٢ / ٤ / ١٩٦٠ رفعنا استقالتنا في وقت واحد إلى الرئاسة، ولم نذهب إلى مكاتبنا، وقد أذيع قرار قبول هذه الاستقالة في نشرة اخبار الساعة الثانية .والنصف من نفس اليوم دون ان توجه الينا أية استفسارات أو ان تجري معنا أية اتصالات رسمية أو شخصية .

صدى الاستقالة :

يبدو أن تاريخ الاستقالة كان مفاجئاً للرئيس رغم أنه كان يتوقعه ، لذلك جاءت ردود الفعل الرسمية المباشرة غير مدروسة تماماً ومتناقضة . وأول هذه الردود كان محاولة التفريق بالتوقيت بين استقالة السيد أمين واستقالتي عند اذاعة النبأ . واتضح بعد ذلك مما أطلق من اشاعات رسمية لتعليل هذا الاختلاف بأن ذلك كان مقصوداً، فقد أشارت احدى الاشاعات التي روجتها الدوائر المقربة من القصر ان استقالة السيد أمين كانت بناء على طلب الرئيس، أما استقالتي فجاءت نتيجة لذلك . واكد لنا بعض السوريين المنتدبين للعمل في القاهرة بأن موظفي المخابرات كانوا يحاولون استمزاج رأيهم حول الاتهامات التي يستحسن ترويجها ضدنا، وان أحد رجال المخابرات سأل موظفاً سورياً عما اذا كانت تهمة الشيوعية ملائمة، وعندما أجابه بأن الرأي العام يعرفنا تماماً في سورية ويعلم أننا من جملة العناصر التي ساهمت في اقامة الوحدة وحققتها أجاب رجل المخابرات المصري اذن فلتكن تهمة العمل لصالح امريكا والاستعمار . . والتآمر مع البعثيين . وما لبثت احدى الصحف اللبنانية ان نشرت تعليقاً حول استقالتنا واتهمتنا فيه بالعمل لصالح امريكا، وان دوائر المخابرات كانت تتتبع مؤامراتنا وأن الرئيس نصحنا أكثر من مرة بالكف عن هذه المؤامرات إلا اننا لم نرتدع مما اضطره إلى ان يطلب الينا الاستقالة . . مفضلاً هذا الاسلوب بسبب اشتراك بعض أصدقائنا من الوزراء

السوريين والعسكريين بالتآمر معنا . . وقد علمنا من أحد المقربين ان مصدر هذا التعليق كان من القاهرة (دائرة الاستعلامات) . ولم تنفع هده الاساليب في تشويه معنى الاستقالة والتقليل من أهميتها ، فقد أيدت الانباء التي وصلت الينا من سورية ان الرأي العام هناك بدأ يشعر بأن ثمة أسباباً جوهرية دفعتنا للاستقالة خاصة وأنه لم يعرف عنا إلا الاخلاص لبلدنا ، وأننا لانمت لفئة أو حزب ، واستغرب الكثيرون اقدامنا على الاستقالة رغم اشتراك رفاقنا بالوزارة مما يدل على خطورة الاسباب . ونظراً لعدم ارتباطنا بحزب أو فئة يمكن ان تساندنا اعتبرت الاستقالة تصرفاً مجرداً وجريئاً .

وربط الناس بين الاستقالة وبين سياسة الجمهورية تجاه قضية فلسطين وخاصة تحويل مجرى نهر الاردن والملاحة في خليج العقبة وبين تدهور الحالة الاقتصادية في سورية وتسلط المصريين على حكم الاقليم الذي يقف على ذروته المشير عامر، كما عللها البعض بسبب الحكم الارهابي في سورية ، وجعلها البعض تتمة لاستقالة البعثيين ، وعزاها البعض الآخر إلى انها دفاعاً عن كرامة الاقليم الشمالي واحتجاجاً على السياسة الخارجية والعربية . . ولم يستطع الاشاعات التي تطلقها المباحث والمخابرات وأجهزة الدعاية المتنوعة ان تشوه الاستقالة رغم انها لم تقصر في اتهامنا بالخيانة والانتهازية والشيوعية .

أما الرئيس فقد أعلم الوزراء وبعض الشخصيات السورية الأخرى بأن الدافع للاستقالة كان حقدنا الشخصي على عبد الحميد السراج واصرارنا على ابعاده من الاقليم ، وربط استقالة البعثيين واستقالتنا واعتبرهما جزءين لخطة واحدة متفق عليها منذ زمن . . وعندما سئل عن أسباب أخذ رفاقنا العسكريين في الحكومة من قبل احدى الشخصيات السياسية الكبرى اجاب بأنه يصفي آخر دفعة من العسكريين الذين يعملون بالسياسة .

ولكن ذلك كله لم يقنع أحداً من المواطنين وأصبح حديث الرأي العام في سورية وفي البلاد العربية مشكلة الاستقالات المتوالية للوزراء السوريين ، واستدل

من ذلك على الاختلاف بين الرئيس وبين السياسيين السوريين على نظام الحكم وشكـل الوحدة. . ويدأت بنتيجة ذلك تتردد التساؤلات في داخل الاقليمين وفي العـالم العـربي حول مصير الوحدة . واتجهت أنظار العالم كله نحو سورية وكشف الستـار عن الأسبـاب الحقيقيـة لاستقـالـة الـوزراء البعثيين وأصبح كل مواطن في سوريـة يؤمن باستحـالـة التعـاون مع الرئيس عبد الناصر إلا على أساس التبعية والاستسـلام، واخـذ النـاس يحددون لكـل من يتعـاون معـه أجلاً . . ومنذ ذلك الـوقت بدأ الحـديث في سوريـة عن جبهة معارضة لسياسة عبد الناصر، وما زالت تتبلور أهـداف هذه المعـارضة وتشتد يوماً بعد يوم . . بالرغم من اختلاف الدوافع المحـركـة لها والأهـداف المتـوخـاة منهـا . . وعلى الرغم من تخريب كافة المنظمات السيـاسيـة وانعدام حرية الفكر وحرية الكلام والكتابة وحرية الاجتماعات، الأمر الذي يجعل العمل السياسي ضرباً من المستحيلات . .

إلا أن ذلـك كله لم ولن يجدي في منـع الشعب العـربي السـوري من نبـذ خلافاته وتوحيد صفوفه للوصول إلى اهدافه التي لا تتعارض اطلاقاً مع الوحدة، ولكنهـا تتنـاول محتـواهـا والوسائل الكفيلة لاستمرارها ونموها حتى تشمل الوطن العربي كله . .

لماذا لم نصدر بياناً يشرح اسباب استقالتنا:

وقد يتساءل البعض لماذا لم نتوجه إلى الرأي العام فنشرح له الاسباب لهذه الاستقـالـة، لكي نقطع دابر الاشاعات والتقولات، ولكننا نجيب على ذلك بأننا بعـد أن فشلنـا في اقنـاع اخـواننـا الـوزراء البعثيـين لتقديم مذكرة توضح أسباب الاستقـالـة فانـه لم يعـد بامكـاننا أن ندعي تمثيل كافة الشعب في سورية، ولم يبق امامنا إلا ان نستقيل وان نرفض تحمل مسؤولية الحكم وان ننبه الرأي العام قبل ان

يتم انتقاء اعضاء مجلس الأمة وقبل ان يشكل هذا المجلس الذي من واجبه - نظرياً - التحدث باسم الشعب، وقد أعذر من أنذر. .

وهكذا كانت الاستقالات أول عمل ايجابي لمعارضة نظام الحكم المطلق في الجمهورية المتحدة، وأول محاولة ايجابية لتقويم الوحدة بين الاقليمين، وكان من المنطقي ان يتراجع الرئيس عن سياسته في الوحدة وفي ادارة سورية على الاقل، ولكنه كما يبدو كان يصر على الاستمرار في سياسته لاعتقاده أو لاقناعه مما تقدمه له أجهزة المخابرات بأن الشعب في سورية يؤيد كل قراراته ويحقد على البعثيين والعناصر التي استقالت من الوزارة. ولكن أحداث ٢٨ أيلول ١٩٦١ أكدت له خطأ تقديراته، بل وخطأ اصراره على الاستمرار في سياسته التي أدت إلى تدمير الوحدة.

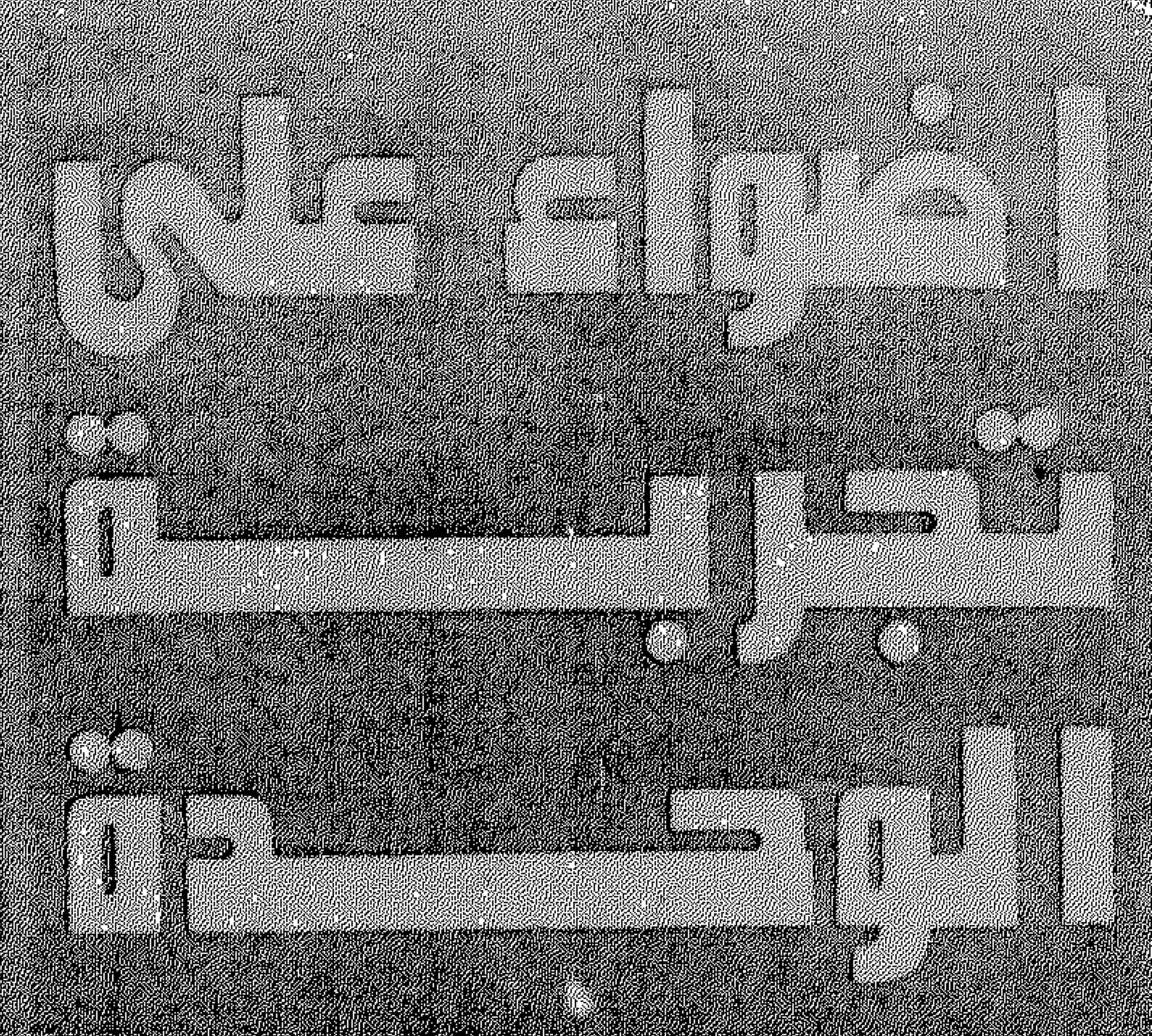
ولعل اكبر دليل على ذلك رفضه للمبادىء الواردة في البلاغ رقم «٩» الذي أريد منه انقاذ الوحدة حسبما صرح قادة عملية ٢٨ ايلول. كما اكد ذلك رفضه مبدأ التفاهم على تصفية آثار النكسة رغم استعداد حكومة الجمهورية العربية السورية برئاسة الدكتور بشير العظمة لاقامة علاقات اخوية بين البلدين، الذي عبرت عنه في بيانها الأول والثاني.

واخيراً فان خطاباته بمناسبة عيد الثورة العاشر في ٢٣ و٢٦ تموز (يوليه) ١٩٦٢ ومحاولاته المتكررة للتشجيع بجميع الوسائل لقلب نظام الحكم في سورية وتشويه سمعة العناصر القيادية السورية في جميع المجالات والمناسبات العربية والدولية، كل ذلك يدل دلالة واضحة على انه لم يستخلص الدروس الصحيحة من تجربته مع الشعب العربي في سورية، رغم اعترافه بوقوع أخطاء عديدة بعد انتفاضة ٢٨ ايلول تلك الأخطاء التي أشار اليها في خطاباته وفي كتابات السيد محمد حسنين هيكل عن اسباب فشل الوحدة بين مصر وسورية. وقد يكون السبب الرئيسي الذي حال بينه وبين تقويم الوحدة وانقاذها وجود مراكز قوى لم يستطع احتواءها» واخيراً فإن الاحداث التي مرت على المنطقة بعد انهيار الوحدة في عام ١٩٦١، وحتى وفاة المرحوم الرئيس عبد الناصر المفاجئة عام ١٩٧٠.

اكـدت اكثـر من مرة صدق توجهـاتـه العربية ورفضه لكل أنواع التبعية ، ومقاومته المخلصـة والحـاسمـة للمخططـات الصهيونية في المنطقة ، وأن نقطة الضعف التي ادت الى اغتيـال الـوحـدة ، واغتيـال سيـاسته الوطنية والعربية ، تكمن اساساً في الأجهزة التي اعتمد عليها لتنفيذ مخططاته ، فكانت اول من غدر به .

دمشق في ٣/ ١١/ ١٩٦٢ .

الفهرس



إن هذا الكتاب ليس بالمذكرات ولا بالتاريخ ولا بالبحث العقائدي أو الفلسفي، إنما هو سرد لحقائق عاشها المؤلف خلال مرحلة الوحدة السورية ـ المصرية، عندما كان وزيراً، عدة مرات، في حكومة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر. يحاول من خلالها إلقاء ضوء على الأحداث التي مرت على تجربة الوحدة، في إطار من النقد والتحليل، ضمن التزام الموضوعية والأمانة التاريخية. إن الرأي العام العربي ما زال بحاجة لمعرفة المزيد عن أول تجربة وحدوية في العصر الحديث، ولعل هذا الكتاب يقدم له بعض ما يحتاجه.

الناشر

10

السعر: ١٤٠ ل.س